الفائزة بالمان بوكر أعظم كاتبة مجهولة

ص12

محمود محيي الدين

فلاح أصيل حاضر غائب قد يعود رئيساً لوزراء مصر

ص8

أزمة نداء تونس تتعقد برحيل الشاهد أو ببقائه

ص4

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/05/27

11 رمضان 1439

السنة 40 العدد 11002

Sunday 27/05/2018

40th Year, Issue 11002

شخصيات جزائرية وازنة تحث بوتفليقة: كفاية

صابر بليدي

❏ **الجزائر** – دعت شخصيات سياسية وحقوقية، الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة، إلى عدم القبول بمشروع الولاية الرئاسية الخامسة، وجعل الاستحقاق الرئاسي المقبل محطة لإعادة الكلمة والقرار للشعب الجزائري، وإنهاء ما يعرف بـ"الشرعية الثورية".

وفي رسالة مفتوحة موجهة للرئيس بوتفليقة، حصلت "العرب" على نسخة منها، دعت 14 شخصية سياسية ومدنية وحقوقية رئيس الجزائر إلى رفض الدعوات التي تدفع به إلى الترشح لولاية رئاسية خامسة، في إشارة إلى الدعوات المتصاعدة في الأسابيع الأخيرة، بقيادة حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم للتجديد له في الانتخابات الرئاسية المنتظرة بعد أقل من عام من الآن.

وتضم قائمة هذه الشخصيات رئيس الحكومة السابق أحمد بن بيتور إضافة إلى وزراء سابقين وحقوقيين ونشطاء في المجتمع المدني وشخصيات معارضة.

وبرر هؤلاء لجوءهم إلى مخاطبة بوتفليقة عبر رسالة مفتوحة بالأوضاع الصحية التي لم تعد تسمح له باستقبال المواطنين والاستماع لانشغالاتهم في مكتبه، الأمر الذي يطرح مجددا مسألة قدرته على أداء مهامه.

وحملت الرسالة، التي جاءت في خطاب هادئ، الرئيس الجزائري مسؤولية الوضع الصعب الذي تعيشه البلاد، مشددة على أن "نتائج السياسات المنتهجة تحت وصايتكم كانت بعيدة كل البعد عن تلبية الطموحات المشروعة للجزائريين، حكمكم الطويل للبلاد أنشأ في نهاية الأمر نظاما سياسيا لا يستجيب للمعايير الحديثة لدولة القانون".

وتعد الشخصيات 14 الموقعة على الرسالة المفتوحة، من أبرز الأسماء والوجوه التي حملت لواء المعارضة منذ الانتخابات الرئاسية التي جرت في 2014، وينتمي أصحابها إلى تيارات ومدارس سياسية وأيديولوجية مختلفة، إلا أن اللافت فيها هو غياب الإسلاميين، ما يرجح الانكفاء التدريجي لإخوان حركة حمس من المعسكر المعارض، والبحث عن موقع قريب من السلطة.

وفي مسح أولي لمواقف الشخصيات الموقعة على الرسالة، يتجلى أن أصحابها من نتاج الحراك المعارض المنبعث في 2014 تحت لواء تنسيقية الحريات والانتقال الديمقراطي، ففيهم زعيم الحزب السياسي والوزير ورئيس الحكومة السابق والأكاديمي والإعلامي والحقوقي والناشط المستقل.

وكان أصحابها في غاية الوضوح والجرأة غير المسبوقة في مخاطبة المسؤول الأول في البلاد، حيث ذكروا بأنه "في الوقت الذي تجتمع فيه قوى خبيثة وتتحرك لدفعكم نحو طريق العهدة الخامسة، فإننا نتوجه إليكم باحترام وبكل صراحة لننبهكم بالخطأ الجسيم الذي قد تقترفونه إن رفضتم مرة أخرى صوت الحكمة الذي يخاطب في أوقات الخيارات المصيرية كما تعلمون، الاختيار هو حتما القبول بالتنازل".

وشدد هؤلاء على أن "اتخاذ القرار الوحيد (التخلي عن العهدة الخامسة)، هو الذي يمكن البلاد من الانفتاح على حقبة جديدة، أين توضع المصلحة العامة فوق مصلحة الأشخاص"، واستندوا على أن التاريخ هو الذي يحكم على محاسن ومساوئ الخيارات السياسية والرؤى والسلوكات التي أثرت في الجزائر خلال عهد بوتفليقة.

وتعد رسالة الـ14 شخصية للرئيس بوتفليقة، المبادرة الأولى للمعارضة، منذ انشطار الكتلة السياسية التي أسست تنسيقية الحريات والانتقال الديمقراطي ثم لجنة المتابعة والمشاورات منذ العام 2014، قبل أن تنفجر في 2017، بسبب خلافاتها حول المشاركة في الاستحقاقات الانتخابية التي جرت العام الماضي أو مقاطعتها.

الولاية اللغز

الحوثيون يستنجدون بغريفيث لتطويق خسائرهم

صالح البيضاني

❏ **صنعاء** – قالت مصادر يمنية مطلعة إن نقاشات كثيرة تجري داخل الجماعة الحوثية لتقييم التحولات العسكرية التي تهدد سيطرة الحوثيين على مناطق عديدة من اليمن.

وتحدثت المصادر عن أن قيادات حوثية ذات تأثير طالبت بالبحث عن حل سريع لوقف تقدم قوات المقاومة اليمنية التي يتزعمها العميد طارق صالح مدعوما من التحالف العربي، داعية إلى الاستنجاد بالمبعوث الأممي مارتن غريفيث وإعلامه بالرغبة في العودة إلى الحوار وتقديم تنازلات ولو شكلية لإقناع الطرف الآخر بوقف المعارك.

لكن أوساطا مقربة من قوات المقاومة، التي يطلق على عناصرها "حراس الجمهورية"، استبعدت أن تقبل تلك القوات وقف المعارك ما لم تتلق مبادرة واضحة وبضمانات جدية ليس من الحوثيين بل من غريفيث وسفراء الدول الراعية لمفاوضات السلام اليمنية.

وأشارت إلى أنه سبق للحوثيين أن استخدموا المبعوث الأممي السابق إسماعيل ولد الشيخ أحمد للحصول على تهدئة في أكثر من مرة دون أن ينفذوا تعهداتهم، ويتضح في الأخير أنها مناورة تستهدف ربح الوقت.

وكشف وزير الخارجية اليمني الجديد خالد اليماني عن تقديم الحوثيين عرضا للأمم المتحدة يقضي بالانسحاب من المدن وتسليم السلاح إلى الدولة، مشيرا إلى إبداء الجماعة الحوثية مرونة أكبر تجاه المقترحات الأممية لإحياء المسار السياسي.

وأكد اليماني، في أول ظهور إعلامي له كوزير للخارجية، أن الأمم المتحدة تلقت رسائل من الحوثيين تفيد بأنهم باتوا جاهزين لعملية السلام والانسحاب من المدن وتسليم السلاح إلى الدولة.

وذكر الوزير أنه لا حل للأزمة اليمنية سوى بـ"دفن الانقلاب ومن ثم الدخول في الإجراءات الأمنية والعسكرية وتسليم الأسلحة والصواريخ ويلي ذلك الترتيب السياسي".

وأشار إلى أن "هذه الترتيبات هامة ولا يمكن الدخول في عملية سلام من دونها"، لافتا إلى أنه "في حال نفذها الحوثيون، فسيكونون جزءا من المعادلة السياسية"، في إشارة إلى إمكانية شراكتهم في حكم اليمن بعد الاتفاق.

وتأتي تصريحات الوزير اليمني بالتزامن مع تحولات كبيرة على الصعيد السياسي والعسكري، والانهيارات المتواصلة للميليشيات الحوثية في مختلف الجبهات، وانتقال العمليات الحربية إلى معاقل الحوثيين الاقتصادية والاجتماعية، وفرار العشرات من المسؤولين وأعضاء مجلس النواب من المناطق الخاضعة لسلطة الحوثيين والتحاقهم بالحكومة اليمنية.

وباتت القوات المدعومة من التحالف العربي والتي تضم المقاومة الوطنية بقيادة طارق صالح وألوية العمالقة الجنوبية والمقاومة التهامية على بعد خمسين كيلومترا جنوب ميناء الحديدة، عقب إحراز انتصارات سريعة وحاسمة في جبهات الساحل الغربي.

واتبعت المقاومة اليمنية استراتيجية عسكرية جديدة باغتت استعدادات الميليشيات الحوثية، من خلال قطع طرق الإمداد وتطويق المدن والابتعاد عن التكتيكات التقليدية التي كانت تعتمد على فتح جبهات مباشرة يعمد الحوثيون إلى إعاقتها بواسطة حقول الألغام والاحتماء بالتجمعات السكانية وتحويلها إلى متارس.

ونجحت هذه الاستراتيجية في تحرير نصف مساحة محافظة تعز تقريبا وبخسائر مادية وبشرية منخفضة للغاية وفي وقت قياسي.

وتشهد المدن والبلدات الواقعة على الشريط الساحلي تقدما كبيرا للقوات المدعومة من التحالف العربي، في ظل انهيارات متسارعة للميليشيات الحوثية التي تؤكد المعلومات أن الكثير من عناصرها لاذوا بالفرار من جبهات القتال ولجأوا إلى مدن بعيدة عن دائرة المواجهات، كما تم سحب المقاتلين العقائديين للالتحاق بجبهات محافظة صعدة.

وتوشك قوات المقاومة على تحرير مدينتي التحيتا والجراحي، بعد الالتفاف عليهما وقطع طرق الإمداد عن الحوثيين، وتمكنت من الوصول إلى مناطق المشرعي ومفرق الحسينية (50 كم جنوب ميناء الحديدة)، وهو الأمر الذي يمهد الطريق نحو الميناء بعد التمكن من اختراق تحصينات الحوثيين على الساحل وانهيار دفاعاتهم وعدم وجود أي مدن كبيرة في المسافة المتبقية يمكن أن تعيق تقدم القوات باتجاه مركز محافظة الحديدة.

لعبة الجولان انتهت سوريا... وبدأت إيرانيا

خيرالله خيرالله

» ص5

مواقف سياسية غير محسوبة تربك وضع استثمارات ألمانيا في السعودية

● المملكة ستستثني الشركات الألمانية من العطاءات الحكومية ● الرياض تنظر إلى برلين على أنها المحامي الأوروبي للنظام الإيراني

❏ **فرانكفورت/الرياض** – لم تخرج العلاقات الألمانية السعودية من دائرة البرود منذ تصريحات غير محسوبة لوزير الخارجية الألماني السابق زيغمار غابرييل عن السعودية على خلفية إعلان رئيس الحكومة اللبنانية استقالته من الرياض قبل التراجع عنها، وسط حديث متزايد عن خيار سعودي يتم تنفيذه يقوم على استثناء الشركات الألمانية من الصفقات المختلفة.

وقالت مجلة دير شبيغل الألمانية إن ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان أصدر أمرا بألا تتم ترسية أي عقود حكومية على شركات ألمانية بعد الآن، في دلالة على استمرار حالة الغضب من سياسة برلين الخارجية في الشرق الأوسط.

وتوترت العلاقات بين ألمانيا والسعودية في العام الماضي، واستدعت المملكة سفيرها في ألمانيا للتشاور بعد تصريحات لوزير الخارجية الألماني آنذاك زيغمار غابرييل عن الأزمة السياسية في لبنان.

ويقول مراقبون إن ألمانيا لم تسع في ما يبدو لتطويق تلك الأزمة، وأنها زادت في إرباك علاقتها بالسعودية من خلال حماسها للحفاظ على الاتفاق النووي مع إيران دون مراعاة مصالحها في دول الخليج، مشيرين إلى أن برلين لم تستوعب أن نقطة الخلاف الرئيسية في الاتفاق تتعلق بأنشطة إيران في الشرق الأوسط وتهديدها للأمن الإقليمي.

وتنظر ألمانيا للحفاظ على الاتفاق من زاوية مصالح شركاتها في إيران دون أن تقرأ حسابا لمصالحها في دول الخليج، وبالذات في السعودية التي تتحرك بقوة وتستثمر وزنها الاقتصادي لخلق مناخ دولي معارض لأنشطة إيران المهددة للاستقرار في المنطقة، وهي النقطة التي فهمها الرئيس الأميركي دونالد ترامب ويتحرك وفقها حفاظا على مصالح بلاده في دول الخليج.

وتتعامل السعودية مع ألمانيا بأنها المحامي الأوروبي للنظام الإيراني من دون تقديم أي مبادرات للتأثير على سلوكه الطائفي، وعلى تدخله لإثارة القلاقل في محيطه الإقليمي. وما يرجع استمرار البرود بين الرياض وبرلين أن تأثير الموقف الألماني في الملف الإيراني هو المؤثر الأكبر على السياسة الأوروبية.

والسعودية شريك تجاري كبير لألمانيا، حيث استوردت منها ما قيمته 6.6 مليار يورو (7.7 مليار دولار) في 2017، وفقا لمكتب الإحصاءات الألماني.

وقالت دير شبيغل، التي لم تنقل عن أي مصادر، إن الخطوة ستلحق الضرر على الأرجح بشركات كبرى مثل سيمنس وباير وبوريتجر إنجلهايم وكذلك دايملر لصناعة السيارات.

وفازت سيمنس العام الماضي بطلبية قيمتها نحو 400 مليون دولار لتسليم خمسة توربينات غاز لمحطة مزدوجة لإنتاج الكهرباء والبخار يجري تشييدها في المملكة. وبعد فترة قصيرة، حصلت دايملر على طلبية من الشركة السعودية للنقل الجماعي (سابتكو) لشراء 600 حافلة من طراز مرسيدس-بنز سيتارو.

وقال رجل أعمال ألماني بارز في السعودية لرويترز، إن قطاع الرعاية الصحية على وجه الخصوص يشعر حاليا بمزيد من التدقيق حين يتقدم بطلب للمشاركة في عطاءات سعودية.

وكان المدير التنفيذي لغرفة التجارة الخارجية الألمانية في الرياض، أوليفر أومس، صرح منذ أيام بأن الشركات الألمانية في الرياض يساورها "قلق بصورة متزايدة" على أعمالها التجارية.

وبدأت أزمة صامتة بين الرياض وبرلين ثم تصاعدت قبل ستة أشهر، بعدما انتقد زيغمار غابرييل وزير الخارجية الألماني السابق السعودية. واستدعت المملكة حينها سفيرها من برلين إلى الرياض احتجاجا على ذلك.

وحتى الآن لم تتم إعادة إرسال السفير السعودي الأمير خالد بن بندر بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود إلى العاصمة الألمانية.

وظلت محاولات الاسترضاء من الجانب الألماني بلا جدوى -على ما يبدو- بما في ذلك مقابلة لغابرييل قبل أن يتم تعيين بهايكو ماس خلفا له، خفف خلالها من حدة نبرته بشكل واضح. ولكن يبدو أن استياء السعوديين ذهب إلى مكان أعمق.

وقال أومس "شركاؤنا السعوديون لديهم انطباع بأن ألمانيا تمتنع عن الاعتراف بإصلاحاتهم التاريخية".

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

حزب الله يحاول التنصل من دعمه للبوليساريو دون أدلة

تنامي وزن المغرب في القارة الأفريقية يربك حسابات إيران

حاول الأمين العام لتنظيم حزب الله اللبناني التأكيد على أن يتخذ موقفا محايدا في ما يتعلق بالنزاع في الصحراء المغربية من خلال نفي دعمه لجبهة البوليساريو الانفصالية، لكن الحقائق على الأرض تشير إلى عكس ذلك خاصة مع عجز نصرالله عن دعم موقفه بالأدلة والحجج.

محمد بن امحمد العلوي

الحقائق أقوى من المزاعم

❑ **الرباط** – سعى حسن نصرالله الأمين العام لحزب الله اللبناني إلى التنصل والتغطية على أحداث ووقائع تورط فيها التنظيم، من خلال نفيه وجود أي صلة تربط حزب الله بجبهة البوليساريو الانفصالية.

وقال نصرالله، في كلمة بثها تلفزيون تابع لحزب الله الجمعة بمناسبة احتفاله بـ"عيد المقاومة والتحرير"، إن وزير الشؤون الخارجية والتعاون الدولي المغربي ناصر بوريطة توجه إلى إيران وقدم ملفا إلى وزير خارجيتها حول البوليساريو، "لكنه لم يقدم في الحقيقة ولو دليلا واحدا على وجود علاقة بين حزب الله والبوليساريو".

ولفت أمين عام حزب الله إلى أن موقفه من القضية ينبني على الحياد، معتبرا أن الملف الذي قدم بخصوص علاقة التنظيم مع الجبهة الانفصالية "فارغ" وأن الاتهامات المغربية تأتي في سياق إقليمي للضغط على المحور الإيراني السوري.

وقال نصرالله إن بوريطة حينما توجه إلى العاصمة طهران، قبل قطع العلاقات معها، لم يقدم إلا أسماء لشخصيات يفترض أنها قدمت الدعم للبوليساريو ولم يقدم بشأنها أي تسجيلات أو صور أو غيرها من الحجج، وزعم أن إسرائيل هي من قدمت هذه الأسماء.

وجاء ظهور نصرالله بعد يومين من تقديم وزير الخارجية المغربي الأدلة التي تشير إلى عقد لقاءات بين قادة حزب الله، حليف إيران، وقادة من البوليساريو بمشاركة مسؤولين داخل الجماعة إذ تناولت اللقاءات العلاقات الخارجية والتدريبات العسكرية والدعم اللوجستي. وأكد بوريطة أن حزب الله لم يستسغ اعتقال رجل الأعمال اللبناني قاسم محمد تاج الدين في 12 مارس 2017 بمطار محمد الخامس الدولي بالدار البيضاء، والذي يعتبر أحد الأرقام المهمة في الشبكة التمويلية لهذا التنظيم انطلاقا من أفريقيا.

> مراقبون يرجحون أن تكون دواعي نفي حسن نصرالله لعلاقة حزب الله بإيران تتعلق بمحاولة تخفيف وطأة القرار الأميركي على طهران

ويعد تاج الدين العنصر الأهم الذي غير طبيعة العلاقة بين البوليساريو وحزب الله. وتم اعتقاله بناء على مذكرة توقيف دولية إذ تطالب الولايات المتحدة بتسليمه بتهمة تبييض الأموال والانتماء إلى حزب الله الذي تصنفه واشنطن ضمن "المنظمات الإرهابية".

وحذر بوريطة من نشاط إيران في شمال أفريقيا، مؤكدا أن هذا البلد يسعى إلى الحصول على موطئ قدم باستهدافه الصراعات الإقليمية والعمل على إذكائها إلى أن تخرج عن نطاق السيطرة. وأوضح أن "قرار المغرب بقطع علاقاته مع إيران كان قائما على تقييماتنا الخاصة ومعلوماتنا وعلى اعتبارات مرتبطة بالأمن القومي ولم يكن بسبب ضغوط خارجية".

ويقول صبري الحو الخبير في القانون الدولي ونزاع الصحراء، لـ"العرب"، إن التحذير المغربي مؤيد بحجتين الأولى من خلال التقرير الأوروبي حول رصد كيفية التزويد السري للتنظيمات الإرهابية في أوروبا بالأسلحة النارية.

وورد في التقرير معطيات تشير إلى علاقة البوليساريو بجماعات إرهابية ناشطة في شمال أفريقيا إلى جانب تمويله بالأسلحة من طرف الجزائر وليبيا، فيما أشار التقرير إلى تمويل الجبهة الانفصالية من قبل حزب الله دون أن يذكرها بالاسم واكتفى بالقول "جهة أخرى من الشرق الأوسط". أما الدليل الثاني، حسب الحو، فيتمثل في الشروط الأميركية على إيران كي تتفادى العقوبات الدولية ومن بينها الامتناع عن دعم التنظيمات الإرهابية وعدم تهديد أمن واستقرار الدول، وهي نفس حجج المغرب في قطع علاقاته مع إيران. وتقوي شروط الولايات المتحدة حجج الرباط وتدعم مصداقية موقفها وقرارها بشأن إيران.

ويرجح الحو أن تكون دواعي نفي حسن نصرالله لعلاقة حزب الله بإيران تتعلق بمحاولة تخفيف وطأة القرار الأميركي على إيران. ويرى أن تفاعل واشنطن مع القرار المغربي بقطع العلاقات مع إيران، وانسجام مواقفهما بشأن تهديدات إيران لأمن واستقرار الدول ودعم التنظيمات الإرهابية، أجبر حزب الله على نفي هذه العلاقة دون أن يجرأ على استعمال لغة التهديد والتحدي التي اعتاد على استعمالها لأنه يحس بانهزام نفسي داخلي بالنظر لصحة الوقائع.

وكانت وزارة الخارجية المغربية قد أعلنت، بداية الشهر الحالي، قطع العلاقات بين الرباط وطهران متهمة هذه الأخيرة بالتورط رفقة حزب الله اللبناني في دعم وتدريب عناصر من الجبهة الانفصالية. ولفت محمد الزهراوي أستاذ العلوم السياسية بمراكش، لـ"العرب"، أن تنمر طهران واستغلال ذراعها حزب الله لاختراق البوليساريو محاولة منها للضغط على المغرب. ويقول الزهراوي إن أسباب تصرف إيران ترجع إلى عودة المملكة إلى منظمة الاتحاد الأفريقي بما يمكنها من كسب أنصار جدد حتى من المحسوبين على المحاور المعادية. ووقعت الرباط شراكات واتفاقات اقتصادية وتجارية غيرت خارطة التوازنات في القارة، بحيث صارت المملكة قوة إقليمية صاعدة تلعب أدورا جديدة تنافس القوى المتواجدة ومنها إيران.

وأفاد الزهراوي بأن الجزائر تعتبر بوابة إيران في أفريقيا أو "وكيلا معتمدا" لخدمة المشروع الصفوي، موضحا "فمقابل الحصول على الدعم الفارسي لإحداث نوع من التوازن مع التحالف المغربي- السعودي- الإماراتي، قدمت الجارة الشرقية كل التسهيلات وكافة أشكال الدعم لإيران لمساعدتها على نشر وتمدد المذهب الشيعي في شمال وغرب وشرق أفريقيا". وأضاف مقابل صفقات التسلح ووعود إيرانية بنقل التكنولوجيا النووية، فتحت الجزائر الباب على مصراعيه إقليميا وقاريا للمشروع الصفوي التوسعي.

وقال بوريطة إن "البوليساريو شكلت فرصة أراد النظام الإيراني استغلالها". وأكد الحو أن المغرب وقوى عالمية أخرى كشفت سعي إيران لزعزعة استقرار سوريا ولبنان والعراق واليمن عبر أذرعها في المنطقة العربية، إلى جانب محاولة إيجاد موطن قدم لها في شمال أفريقيا عبر البوليساريو.

ولفت إلى أن "عمليات إعادة المهاجرين غير الشرعيين إلى الحدود تجري طبقا للقانون الجزائري والالتزامات الدولية للجزائر، وفي ظل الاحترام الصارم لحقوق الإنسان وكرامة الأشخاص المعنيين". وأكد البيان أن الجزائر ما زالت وستظل أرضا "مضيافة"، لأنه لا يمكنها التراجع عن قيمها الإنسانية ولا عن سياستها لاستقبال وإيواء كل من يتعرض للاضطهاد أو من تدفعه الأزمات والنزاعات في بلده إلى المنفى عبر الطرق القانونية.

وكانت المتحدثة باسم مكتب المفوضية السامية لحقوق الإنسان قد انتقدت، الثلاثاء الماضي في ندوة صحافية، ظروف احتجاز المهاجرين الأفارقة في الجزائر وقالت إنها ظروف "لا إنسانية ومهينة داخل مخيمات عسكرية في مدينتي زرالدة والبليدة (وسط البلاد)". كما استنكرت المتحدثة غياب تقييمات فردية للمهاجرين.

وذكرت بأن "السلطات الجزائرية تقوم بتنظيم طرد جماعي للمهاجرين المنحدرين من الدول الواقعة جنوب الصحراء الكبرى"، استنادا إلى تصريحات خبراء وشهادات مهاجرين مرحّلين.

وتوالت ردود الفعل الجزائرية، في الفترة الأخيرة، بشكل يعكس انزعاج السلطات من التقارير الحقوقية والدبلوماسية حول ظروف إقامة وتهجير الأفارقة إلى ما وراء الشريط الحدودي الجنوبي. وسارع مسؤولون من وزارة الخارجية ومدير دائرة الهجرة في وزارة الداخلية إلى الظهور في وسائل الإعلام لشرح موقف بلادهم بشأن المهاجرين غير الشرعيين من دول الساحل.

وأفادت مصادر أمنية بأن السلطات المختصة تعتزم تهجير أكثر من 100 مالي بدعوى انتمائهم إلى تنظيم أنصار الدين المسلح. وترتبط الجزائر ترحيل المهاجرين من أراضيها بالمخاطر الأمنية التي تهدد استقرارها والتي تشكلها التنظيمات المتطرفة التي قد تستغل أمواج الهجرة غير الشرعية بهدف إعادة الانتشار وتنامي حركة المتشددين بما يعرقل الحرب الجزائرية المفتوحة ضد الإرهاب.

وكان مدير دائرة الهجرة في وزارة الداخلية حسان قاسيمي قد كشف لأول مرة في تصريح لوكالة الأنباء الجزائرية عن "تدفق حوالي 90 ألف مهاجر غير شرعي سنويا على بلاده، وأن الجزائر استقبلت أكثر من 400 ألف مهاجر في الخمس سنوات الأخيرة منذ بداية أمواج الهجرة غير الشرعية".

وعبر قاسيمي عن قلق بلاده من تصاعد وتيرة الهجرة غير الشرعية ومن المخاطر البشرية والأمنية التي تنطوي عليها هذه التدفقات البشرية. وشدد على أن الأمر "لم يعد مجرد هجرة بل نزوح وأعداد القادمين من دول أفريقيا جنوب الصحراء تشكل مصدر انشغال حقيقي للسلطات". وقال قاسيمي "ليس هناك بلد يقبل مثل هذا التدفق للمهاجرين غير الشرعيين على ترابه".

وقال إن الجزائر طلبت مساعدة المجتمع الدولي "لكن الأمم المتحدة لم تفعل شيئا يذكر لإنقاذ المهاجرين". وباتت الظاهرة تشكل عبئا حقيقا على الحكومة الجزائرية، التي رصدت 20 مليون دولار للتكفل بهؤلاء المهاجرين.

اضطهاد متعدد الأبعاد

مقتل مهاجرين في محاولة فرار من مهربين بليبيا

❑ **طرابلس** – قال مصدر محلي وموظفو إغاثة إن أكثر من 100 مهاجر من شرق أفريقيا فروا من مهربين كانوا يحتجزونهم قرب مدينة بني وليد الليبية، في وقت سابق هذا الأسبوع. وأفادت تقارير عن سقوط قتلى بين المهاجرين الفارين وإصابة آخرين بجروح خلال هذه العملية.

وقال المصدر المحلي في بني وليد ومنظمة أطباء بلا حدود إن النار أطلقت على المهاجرين أثناء محاولتهم الفرار. وقال ناجون للمنظمة إن ما لا يقل عن 15 شخصا قتلوا وإنهم تركوا وراءهم ما يصل إلى 40 شخصا معظمهم من النساء.

وقالت منظمة أطباء بلا حدود، في بيان، إنها عالجت 25 شخصا من المهاجرين في مستشفى بني وليد وإن البعض منهم كان مصابا بطلقات نارية وكسور متعددة.

وقالت بيانات منفصلة لوكالات الأمم المتحدة للهجرة واللاجئين إن "المهرب سيء السمعة موسى دياب" كان يحتجز المهاجرين وعددهم نحو 140 من إريتريا وإثيوبيا والصومال.

وقالت منظمة أطباء بلا حدود إنه كان هناك مراهقون بصفة أساسية يسعون للجوء إلى أوروبا، وأفادت تقارير أن المهربين احتجزوهم وباعوهم عدة مرات حول بني وليد ومدينة نسمة القريبة.

وتقع بني وليد على بعد 145 كيلومترا جنوبي طرابلس وقد أصبحت مركزا رئيسيا لتهريب المهاجرين الذين يصلون من دول أفريقيا جنوب الصحراء في محاولة للوصول إلى الساحل الليبي على البحر المتوسط.

كما أعلنت منظمة "سي.آي" الألمانية الإغاثية أنها أنقذت الجمعة زورقا مكتظا باللاجئين. وكان من بين المهاجرين على متن الزورق ثمانية أطفال و42 امرأة، من بينهم 9 حوامل.

ومن ليبيا يسعى كثيرون للسفر إلى إيطاليا في مراكب من خلال معابر تقلصت بشدة منذ يوليو الماضي، عندما أبرمت جماعة رئيسية للتهريب في مدينة صبراتة الساحلية الليبية اتفاقا لوقف عمليات المغادرة تحت ضغط إيطالي ثم بعد ذلك تم طردها بالقوة في اشتباكات.

وقامت قوات خفر السواحل الليبية المدعومة من الاتحاد الأوروبي بإعادة عدد كبير من المهاجرين إلى ليبيا بعد اعتراضهم في البحر.

وقال ممثلون لأوساط المهاجرين إن المهربين يعملون الآن في الداخل بشكل أكبر ولا سيما حول بني وليد حيث يديرون سجونا سرية وإن المهاجرين الذين كثيرا ما يتعرضون للتعذيب أو الاغتصاب من أجل ابتزاز المال منهم أو من أسرهم يحتجزون لفترات أطول.

وقالت منظمة أطباء بلا حدود إن "الخطف من أجل الحصول على فدى مازال تجارة رائجة وقد عززتها سياسات يرعاها الاتحاد الأوروبي وتهدف إلى تجريم المهاجرين واللاجئين ومنعهم من الوصول إلى الشواطئ الأوروبية بأي ثمن".

تبادل الاتهامات بين الجزائر والأمم المتحدة بشأن ترحيل المهاجرين

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – تصاعدت وتيرة السجال الجزائري الأممي حول وضعية المهاجرين الأفارقة في الآونة الأخيرة، حيث تبادل الطرفان التصريحات والبيانات بشأن الظروف المثيرة للجدل للتهجير الجماعي للنازحين الأفارقة. وتتمسك الأمم المتحدة باتهام الجزائر بعدم احترام حقوق الإنسان والمواثيق الدولية المتعلقة بالهجرة، بينما تذرعت السلطات الجزائرية بحماية مصالحها وأمنها.

وطالبت الخارجية الجزائرية من المفوضية السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة توضيحات حول ما أسمته "أسباب محاكمة النوايا بمثل هذا الاستخفاف المتهور"، في إشارة إلى تصريحات المتحدثة باسم المفوضية السامية رافينا شامداساني حول ما وصفته الثلاثاء الماضي بـ"الظروف المهينة التي يجري فيها تهجير الرعايا الأفارقة المنافية لحقوق الإنسان والمواثيق الدولية المتعلقة بالهجرة".

وذكر بيان أصدرته الدبلوماسية الجزائرية، الجمعة، بأن "التصريحات المستندة إلى مجرد ادعاءات جزئية غير دقيقة تشكل خرقا خطيرا للحقيقة وإخلالا جسيما بواجب الدقة والحذر والموضوعية الذي يجب أن يتقيد به مكتب حقوق الإنسان خاصة لمّا يتعلق الأمر بقضايا حساسة ومعقدة".

وأضاف البيان "تؤكد الجزائر من جديد أنه وأمام التحديات الخطيرة التي تحملها ظاهرة الهجرة غير الشرعية من حقها، على غرار جميع دول العالم، اتخاذ كل الإجراءات التي تراها ملائمة لضمان الأمن لمواطنيها وللأجانب المقيمين بطريقة شرعية على أراضيها".

> الجزائر تربط ترحيل المهاجرين بالمخاطر الأمنية التي تهدد استقرارها واستغلال المتطرفين لأمواج الهجرة غير الشرعية بهدف إعادة الانتشار

وكان المتحدث باسم المنظمة الدولية للهجرة جويل ميلمان قد صرح بأن "المنظمة أنقذت نحو ثلاثة آلاف مهاجر في المنطقة خلال الأشهر الأربعة الماضية، البعض منهم كانوا يحاولون دخول الجزائر بينما جرى طرد آخرين". وقال إن "هؤلاء تائهون في الصحراء رفقة أطفالهم ومن دون ماء أو غذاء، وأن شهادات تذكر رؤية جثث مهاجرين بين الكثبان الرملية دون تحديد هوياتهم".

واتهمت شامداسينا الجزائر بتنظيم عمليات لجمع المهاجرين الأفارقة. كما قالت إنه دون معالجة فردية يجري إجبار المهاجرين على التوقيع (عن طريق البصمة) على وثائق لا يعرفون فحواها لأنها مكتوبة بالعربية.

التحالف العربي يحبط هجوما حوثيا على مطار أبها

استهداف السعودية سعي للتغطية على هزائم الحوثيين في اليمن

نجحت قوات التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن في إفشال هجوم حوثي بطائرة مسيرة دون طيار قرب مطار أبها جنوب السعودية، ويعد استهداف الأراضي السعودية واحدا من محاولات عديدة تنفذها الميليشيات الحوثية المدعومة عسكريا من إيران للتغطية على الهزائم التي تتلقاها في اليمن على يد قوات التحالف العربي.

الرياض – أكد التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن، السبت، أنه أحبط محاولة "هجوم إرهابي" بطائرة بدون طيار قرب مطار أبها بجنوب السعودية.

ونقلت قناة تلفزيون العربية عن التحالف الذي تقوده المملكة تأكيده بأنه دمر الطائرة لدى محاولتها الاقتراب من مطار أبها مشيرا إلى أن المطار يعمل بشكل طبيعي.

كما أعلن التحالف العربي عن استهداف قواته لمسلحين قال إنهم مسؤولون عن إطلاق طائرات من دون طيار في محافظة صعدة شمالي اليمن، وفق قناة الإخبارية السعودية.

وقال التحالف إنه تم "استهداف الإرهابيين المسؤولين عن إطلاق الطائرات بدون طيار من صعدة شمال اليمن". وأكد أن المطار يعمل بحركته المعتادة، وأن "المسؤولين عن العمل الإرهابي تم القضاء عليهم".

وهذه ليست المرة الأولى التي تستهدف فيها الميليشيات الحوثية الأراضي السعودية، إذ تواترت محاولات الهجمات بصواريخ باليستية وبالطائرات المسيرة إيرانية الصنع.

ويدل الاستهداف العشوائي للأراضي السعودية من قبل الحوثيين على ردود فعل غير مدروسة من قبل الجماعة التي تتلقى الدعم من النظام الإيراني. كما تعكس محاولات الاستهداف الفاشلة الوضع الميداني الصعب الذي تعيشه الجماعة الحوثية وارتخاء قبضتها على المناطق اليمنية، الأمر الذي يشرع لجهات ذات صلة بالملف اليمني للحديث عن قرب نهاية الحرب وللتفكير في ما بعدها.

وبرز بوضوح خلال الأيام الماضية طغيان الارتباك والعشوائية على العمليات العسكرية لميليشيا الحوثي التي تحتل أجزاء من اليمن،

> قوات التحالف العربي تستهدف عناصر تابعة للميليشيات الحوثية مسؤولة عن إطلاق طائرات من دون طيار في محافظة صعدة شمالي اليمن

أدلة لا تقبل التشكيك

ما يُعتبر بحسب خبراء الشؤون الأمنية والعسكرية انعكاسا لوضعهم الميداني الصعب الذي أصبحوا عليه مع تحقيق القوات المدعومة من التحالف العربي سلسلة من الانتصارات وانتزاعها مناطق هامة من سيطرتهم في أنحاء متفرقة من البلاد.

ومنذ 26 مارس 2015، تقود السعودية تحالفا عسكريا يدعم القوات الحكومية اليمنية في مواجهة مسلحي الحوثي الذين يسيطرون على عدة محافظات بينها صنعاء منذ 21 سبتمبر 2014.

وترتبط الأوساط السياسية اليمنية استهداف جماعة الحوثي المتمردة لمناطق سعودية بقصف صاروخي باليستي، بأسباب محلية تتمثل في الخسائر الكبيرة التي مني بها المتمردون خلال الأيام الماضية وتراجعهم السريع في مناطق بالغة الحيوية لهم على رأسها الشريط الساحلي الغربي، وأخرى إقليمية ودولية، تتمثل في الضغوط الشديدة المسلطة من المجتمع الدولي على إيران والتي بلغت مداها مع الانسحاب الأميركي من الاتفاق النووي. وظهران نفسها هي مصدر الصواريخ التي يستخدمها الحوثيون في قصف السعودية، وقد تكون مصدر الأوامر بالقصف وتحديد مواعيده وفق الأجندة الإيرانية.

وفي وقت سابق من الشهر الحالي اعترضت الدفاعات الجوية السعودية ثلاثة صواريخ باليستية مصدرها مناطق سيطرة الحوثيين في اليمن، اثنان منها دمرا في أجواء العاصمة الرياض والثالث تم اعتراضه فوق منطقة جازان جنوبي المملكة.

وكان وزير الخارجية السعودي عادل الجبير قد كتب على تويتر تعليقا على استهداف بلاده بالصواريخ الإيرانية "الاعتداءات الحوثية المدبرة من إيران والتي يستنكرها بشدة المجتمع الدولي تكشف إرهابهم ولا تؤثر على استقرارنا وتنميتنا".

وفي الأشهر القليلة الماضية، أطلق الحوثيون صواريخ باتجاه السعودية في إطار الصراع المستمر منذ ثلاث سنوات في اليمن.

ويقول الحوثيون إن الصواريخ التي يستخدمونها في قصف السعودية "مصنّعة محليا"، لكن تقارير خبراء عسكريين كشفت أن هذه الصواريخ وغيرها من الأسلحة التي يستخدمها الحوثيون في استهداف السعودية أو في الحرب في اليمن إيرانية الصنع.

وفي تصريح سابق غداة إطلاق الصواريخ على الرياض وجازان، قال العقيد تركي المالكي المتحدث باسم تحالف دعم الشرعية اليمنية بقيادة الرياض إن "هذا العمل العدائي من قبل الميليشيا الحوثية المدعومة من إيران يثبت استمرار تورط دعم النظام الإيراني للميليشيا الحوثية بقدرات نوعية بهدف تهديد أمن السعودية والأمن الإقليمي والدولي".

وتعود حالة الارتباك التي تعيشها الميليشيات الحوثية المتمردة إلى تقدم القوات اليمنية في أكثر من جبهة على حساب الجماعة المدعومة من إيران.

ويشهد محور الساحل الغربي حاليا أبرز المعارك في الحرب اليمنية، ويقترب الجيش اليمني المدعوم من قوات التحالف العربي أكثر من مدينة الحديدة بميناءها الاستراتيجي الذي يسيطر عليه الحوثيون.

المحكمة العليا في مصر تقضي بحجب يوتيوب

القاهرة – قال محام إن المحكمة الإدارية العليا في مصر قضت، السبت، بحجب موقع يوتيوب في أكبر الدول العربية سكانا لمدة شهر لنشره فيلما مسيئا للنبي محمد.

وقال المحامي محمد حامد سالم إن الحكم تضمن أيضا حجب مختلف الروابط التي تبث الفيلم في مصر نهائيا.

وكان سالم قد أقام الدعوى المطالبة بحجب يوتيوب أمام محكمة القضاء الإداري بالقاهرة في سبتمبر 2012، وفي فبراير 2013 قضت المحكمة بحجب موقع الشرائط المصورة لكنها أوقفت تنفيذ الحكم بعد أسبوعين من صدوره لحين الفصل النهائي في موضوع الدعوى أمام المحكمة الإدارية العليا، أعلى محاكم القضاء الإداري المصرية.

ولم يتسن على الفور الحصول على تعليق من وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات المعنية بشؤون الإنترنت في مصر.

وقال سالم إن الجهاز القومي لتنظيم الاتصالات أقام الإشكال الذي كان من شأنه وقف تنفيذ الحكم الصادر في 2013. وفي ذلك الوقت قالت السلطات إن من غير الممكن تنفيذ الحكم لأن ذلك يتطلب حجب موقع البحث غوغل أيضا.

ويتزامن الحكم القضائي بحجب اليوتيوب مع حملة اعتقالات استهدفت المنتقدين للنظام وأثارت جدلا في مصر. وأصبحت سياسة السلطات المصرية التي تعتمد التضييق على وسائل الإعلام تثير قلق المنظمات الدولية.

وتقول منظمات حقوقية إن السلطات المصرية "تقمع" الحريات، وهو ما نفته القاهرة مرارا رافضة التعليق على أحكام القضاء.

والخميس الماضي، أمرت نيابة أمن الدولة العليا في مصر بحبس المدون البارز وائل عباس 15 يوما على ذمة التحقيق في اتهامات منها "الاشتراك مع جماعة أنشئت على خلاف أحكام القانون ونشر أخبار ومعلومات وبيانات كاذبة".

وألقي القبض على عباس، وهو صحافي حاصل على جوائز وناشط حقوقي، فجر الأربعاء عندما داهمت الشرطة منزله دون أن تقدم أمر الاعتقال قبل أن تعصب عينيه وتقتاده بملابس المنزل لجهة غير معلومة.

وعرف عباس في دوائر النشطاء بعد أن نشر تسجيلات مصورة تظهر وحشية الشرطة. وأثار أحد هذه التسجيلات، والذي نشر في 2006، موجة غضب أدت إلى فتح تحقيق وإدانة نادرة لرجلي شرطة.

وفي وقت سابق من الأسبوع الماضي، قضت محكمة عسكرية بمصر بسجن الصحافي والباحث إسماعيل الإسكندراني لمدة 10 سنوات. وأدين الإسكندراني بعدة تهم بينها "الانضمام لجماعة محظورة، وإفشاء أسرار تتعلق بالأمن القومي في سيناء". ويعد هذا الحكم أولي يجوز الطعن فيه.

رمضان السوريين في الأردن.. نقص المساعدات يفاقم المعاناة

إربد (الأردن) – نقص المؤن وضنك العيش جعلا رمضان اللاجئين السوريين في الأردن يحل، هذا العام، رتيبا حزينا خاليا من الحماسة المألوفة في هذا الشهر. فهنا، وفي مملكة تشهد بدورها ظروفا اقتصادية صعبة، يختنق اللاجئون السوريون تحت ضغط الحاجة والفاقة حيث باتت المساعدات شحيحة؛ وفرص العمل نادرة لتكتمل بذلك ملامح محنة تستمر منذ فترة.

وبلغت المعاناة المتفاقمة ذروتها في رمضان هذا العام لتكشف عن حالات أضحت عاجزة حتى عن توفير طعام إفطارها لتتصل أيام صيامها بلياليها، في انتظار شعاع أمل قد لا يأتي أبدا وفق شهادات عدد منهم.

ورغم تباين مستوى عيشهم من رمضان إلى آخر، إلا أن لاجئين سوريين يجمعون على أن رمضان هذا العام هو "الأسوأ" على الإطلاق، منذ وصولهم إلى الأردن فارين من أتون حرب لم تضع أوزارها حتى الساعة.

واستقبلتهم المملكة بكل حب وانتشروا في مختلف أرجائها، غير أن الأوضاع الاقتصادية المحلية كان من البديهي أن تلقي بظلالها على قيمة المساعدات المقدمة أو على فرص حصولهم على عمل يؤمّنون به قوت أسرهم.

وأفرزت توليفة قاتمة من العوامل وضعا خانقا برزت ملامحه الأليمة في شهر رمضان، حين وجد هؤلاء اللاجئون أنفسهم غارقين في فاقة يعجزون عن كسرها بأي شكل من الأشكال.

وتتقاطع شهادات عدد من هؤلاء اللاجئين، في محافظتي إربد (شمال) والمفرق (شمال شرق)، بين الألم الناضح من كلماتهم جراء واقعهم الصعب وبين حنين لرمضان ما قبل الحرب ببلادهم.

واعتبر أحمد سلامة (42 عاما) أن المساعدات المقدمة للاجئين السوريين بالأردن "شحيحة"، مشيرا إلى أن "النقص في هذا المستوى طال أمده ما أثر على الأسر والعائلات الفقيرة وخصوصا الأرامل وزوجات الشهداء وأبناء المعتقلين".

ولفت أحمد إلى أن "مفوضية شؤون اللاجئين قطعت مساعدات مالية كانت مخصصة لبعض الأسر، مرجعة ذلك إلى قلة الدعم الذي تتلقاه".

أما محمد خير الأحمد (35 عاما) فقال إن "جميع السوريين يشتاقون لأيام مضت، فقد كان لرمضان في السابق طقوس خاصة وكانت أزكى الأكلات وأشهاها حاضرة على موائدنا". واستدرك بأسى "لكن اليوم ولى كل ذلك وباتت حياتنا مقتصرة على بضع أكلات، ومع ذلك نشكر الله وندعو أن تنتهي الحرب لنعود إلى منازلنا".

ورغم ضنك العيش الذي يواجهه إلا أن الشاب خالد الحريري (23 عاما) رأى بأن وضعه "أفضل" من غيره. وقال "أنا أعمل على الأقل وأستطيع تأمين البعض من الاحتياجات الأساسية لي ولزوجتي وطفلي محمد، لكن هذا لا يعني بأنني مرتاح ولكن أمرا أهون من أمر". ولاقت هذه الشهادات تأييدا من قبل الناشط الإغاثي الأردني حامد السلمان، الذي أكّد أن "المساعدات للسوريين قليلة جدا ولا تذكر كما أنها باتت موسمية".

وتابع "في مرحلة معينة وتحديدا في البداية كنا نعتقد أن عددا قليلا فقط من الأسر السورية بحاجة إلى المساعدة، ولكن للأسف يزداد العدد يوما بعد يوم وخاصة في شهر رمضان". وأضاف أن "الكثير من المواقف التي نتعرض لها تقشعر لها الأبدان ويندى لها الجبين، خاصة حين تقابل أشخاصا لا يمتلكون حتى قطعة خبز لسد رمقهم وتناولها عند الإفطار".

بدوره، قال محمد الحواري المتحدث الرسمي باسم المفوضية السامية لشؤون اللاجئين بالأردن إن "نقص التمويل للاستجابة لأزمة اللجوء في السنوات الماضية جعل من الحمل أثقل، وهذا العام 2018 هو الأصعب مقارنة بسابقيه". واستدرك الحواري أن "العام بلغ نصفه تقريبا فيما لم نحصل حتى الآن على ربع الاحتياجات اللازمة أي ما قيمته 274 مليون دولار".

وضع خانق

وحذر من أن ذلك "يشكل خطرا على قطع المساعدات النقدية التي تعد شريان الحياة لعشرات الآلاف من الأسر اللاجئة هنا في الأردن".

وختم "الأزمة تدخل عامها الثامن، ونسبة الفقر تزداد بين اللاجئين".

وحوّل نقص المساعدات الآلاف من السوريين ممن يعيشون على أرض الأردن إلى رواة للقصص والذكريات التي كانوا يعيشونها خلال شهر رمضان قبل اندلاع الحرب في بلادهم، والتي ظلت عالقة بالأذهان.

ومرت ثماني سنوات على بدء الأزمة السورية ولا يزال الغموض يكتنف مستقبلها، إلا أن اللاجئين في الأردن وغيرها من البلدان التي فروا إليها من لهيب الحرب المستعرة يسعون للانخراط والتعايش في تلك المجتمعات؛ سعيا لكسر نظرات العطف والشفقة التي تحاصرهم.

فصفة "لاجئ" التي يحملونها سواء في الأردن أو في غيره من البلدان التي استقبلتهم تستبطن الكثير من الألم والمعاناة التي يتابعها العالم عبر شاشات التلفزيون، واختبروا هم مرارتها بشكل فعلي.

ذاكرة جماعية مثقلة بالآلام هاربة من ذكريات الحرب مع حنين جارف لما قبلها نافرة لنظرات الشفقة من هنا وهناك، فسيفساء متشابكة من الحيثيات والأحاسيس لم تمنحهم سوى خيار الصمود من أجل البقاء.

لكن قسوة العيش وشح المساعدات وحصرها على المقيمين في المخيمات (نسبتهم لا تزيد عن 20 بالمئة من عددهم الإجمالي) زج بهم في تلك المنطقة الرمادية الفاصلة بين حدود الأشياء، حتى باتوا يشعرون اليوم أنهم على هامش الحياة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

أزمة نداء تونس تتعقد برحيل الشاهد أو ببقائه

مصير الحكومة عالق في حرب «كسر الأجنحة» بين يوسف الشاهد وحافظ قائد السبسي

طال الجدل حول مصير الحكومة التونسية برئاسة يوسف الشاهد. ومع حالة الشد والجذب الأخيرة تكاد التأويلات والقراءات تجمع على أن أسّ القضية هو الخلاف بين المدير التنفيذي لحزب نداء تونس حافظ قائد السبسي ورئيس الحكومة يوسف الشاهد، والذي تطور إلى معركة لي ذراع بينهما.

حافظ قائد السبسي متشبث بإقالة يوسف الشاهد

وسام حمدي

❑ **تونس** – لا تُنذر الساعات القليلة القادمة أن اجتماع الاثنين بين الأحزاب والمنظمات التونسية المنخرطة في الوثيقة الجديدة لأولويات الحكومة أو ما يُعرف بـ"اتفاق قرطاج 2 بأن توافقا ما قد يحصل بشأن بقاء رئيس الحكومة يوسف الشاهد في منصبه أو رحيله.

وفي وقت انتظر فيه الجميع أن يحسم الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي، الجمعة المسألة بإعلان تصوّره الشخصي إمّا بالإبقاء على الشاهد أو التخلي عنه، نأى بنفسه عن كل التجاذبات.

وعلى الرغم من أن ملامح المُعادلة تكاد تكون اكتملت بصفة نهائية ببقاء يوسف الشاهد مسنودا فقط من قبل حركة النهضة الإسلامية، باعتبار أن أهم الأطراف الوازنة كاتحاد الشغل ومنظمة أرباب العمل وحزب نداء تونس تشبثوا بوجوب رحيل الشاهد وحكومته، فإنّ النقطة الأهم التي تتطلّب غوصا معمّقا في أسبابها ومسبّباتها تتعلّق حتما بخلفيات وحيثيات الصراع الذي بات مُعلنا بين قياديَي الحزب الحاكم حافظ قائد السبسي ويوسف الشاهد.

يتطلّب فهم حرب كسر العظام أو الأجنحة بين المدير التنفيذي لحزب نداء تونس ويوسف الشاهد وجوبا الوقوف عند كل النقاط الخلافية التي رافقت علاقة الرجلين منذ تولي الشاهد رئاسة الحكومة في أواسط العام 2016.

> تشبث المدير التنفيذي لحزب نداء تونس حافظ قائد السبسي بإقالة يوسف الشاهد يؤدي إلى عودة الحديث عن صراع الأجنحة والشقوق صلب الحزب الحاكم مما قد ينذر بمزيد تعقد أزمته

المتابع لحيثيات المعركة يتهيّأ له أن المسألة تتلخص في كون نداء تونس وكما أعلن ذلك حافظ قائد السبسي سحب البساط من تحت أقدام يوسف الشاهد لضعف أدائه وفشل حكومته في إدارة الملفات الحارقة خاصة منها الاقتصادية والاجتماعية.

ويدعّم هذا التصور المنجي الحرباوي، القيادي بنداء تونس والنائب بالبرلمان، بقوله في تصريح لـ"العرب"، "لا لشخصنة المسألة أو حصرها في مربّع معركة شخصية بين حافظ قائد السبسي ويوسف الشاهد".

ويضيف الحرباوي "لا وجود لأي خصومة شخصية بين رئيس الحكومة وأيّ قيادي بحزب نداء تونس، فتقييم الأداء فرض على الحزب التفكير بوجوب وجود مخارج على رأسها تغيير رئيس الحكومة للوصول بالبلاد إلى بر الأمان إلى غاية عام 2019". وأكّد أن حزب نداء تونس سيلتزم في النهاية بكل مُخرجات وثيقة قرطاج 2.

إلى حدّ هنا، تبدو المسألة عادية ومتعلّقة بخيارات سياسية لحزب حاكم أملتها عليه نتائج واقعية لفشل الحكومة الحالية في إدارة الحكم، لكن النبش في أصل الحكاية يُثبت عكس ذلك ليتأكّد أن مردّ الصراع الثنائي بين يوسف الشاهد وحافظ قائد السبسي هو نتاج لتراكمات عميقة ليست وليدة اليوم.

يوسف الشاهد، وفق جلّ الملاحظين لم يكن قبل 2016 معروفا في عالم السياسة، بل زُجّ به في فترة عرف فيها حزب نداء تونس انقسامات. وكما لحافظ قائد السبسي الفضل رفقة قيادات أخرى كمدير الديوان الرئاسي سليم العزابي، في صُنع اسم الشاهد، فإن لرئيس الحكومة الحالي أيضا نصيب كبير في تعبيد الطريق وفق الملاحظين لتربّع نجل الرئيس على قيادة حزب نداء تونس.

علاقة الودّ بين الطرفين سرعان ما تحوّلت إلى شبه قطيعة بينهما غداة تشكيل يوسف الشاهد لحكومته الأولى مما أدى إلى امتعاض حافظ قائد السبسي وفق تصريحه في تسريب لاجتماع الهيئة السياسية للحزب عام 2016 من العديد من أسماء الوزراء وفي مقدّمتهم الناطق الرسمي للحكومة إياد الدهماني ووزير الفلاحة سمير الطيب ووزير الوظيفة العمومية المُقال عبيد البريكي.

وأدت محاولة يوسف الشاهد الاستقلال بقراراته الحكومية إلى اتهامه من قبل المدير التنفيذي للحزب بالتمرّد على نداء تونس وعدم الانضباط لمقرّراته.

هذه الرواية الأخيرة، أكدّها وفق ما أفادت به مصادر مطلعة لـ"العرب" حافظ قائد السبسي في اجتماع رؤساء الأحزاب والمنظمات بقصر قرطاج عبر اتهامه مجدّدا رئيس الحكومة بتوظيف أجهزة الحكم ومستشاريه وبعض وسائل الإعلام المحلية لتشويه حزب نداء تونس لخدمة غايات وأجندات انتخابية سابقة لأوانها وغير مشروعة.

وترجع العديد من القراءات السياسية الأخرى توتر العلاقة بين الرجلين إلى الأزمة الداخلية التي عصفت بحزب نداء تونس خاصة بعد قدوم العشرات من القيادات الجديدة أو ما يسمى بـ"المنتدبين الجدد" الذين حاولوا الضغط على يوسف الشاهد باقتراح اسمه في الأشهر الأولى لتوليه الحكم في قصر القصبة لقيادة الحزب لإدراكهم بوجود مخطط يُحبك على مهل قد يفضي إلى توجيه رئيس الحكومة الحالي بوصلته لطموحاته الشخصية والحلم بالانتخابات الرئاسية 2019 بعد أن حقق رصيدا شعبيا في فترة وجيزة.

أدّت هذه الخطوة الأخيرة إلى معركة ليّ ذراع قوية بين الشاهد ونجل الرئيس تجلّت خصوصا في ملف التعيينات والتسميات في مفاصل الدولة، فرغم نيل الحزب الحاكم النصيب الأوفر من التعيينات إلا أن المدير التنفيذي للحزب الحاكم سبق له أن أكّد أن يوسف الشاهد أدار ظهره لحزبه الأم.

منعرج الحرب على الفساد

كل هذه المعارك الخفية لم تكن لتظهر للعلن إلى أن تجرّأ يوسف الشاهد عام 2017، في وقت انتظر الجميع رحيله بسبب تفاقم التحركات الاحتجاجية ضدّه وضد حكومته، على إعلان ما أسماه بالحرب على الفساد لتأخذ العلاقة بينه وبين حزبه منعرجا آخر زاد في تعميق الهوّة بينهما.

في معركة الحرب على الفساد يعتبر مراقبون أن حزب نداء تونس ولئن لم يعلن تذمّره من الخطوة التي اتخذها الشاهد إلا أنه بدا غير راض عنها مثله مثل حركة النهضة باعتبار أن بعض قيادات الحزب أو نوابه قد تم ذكر أسمائهم في بعض الملفات الخطيرة التي يبقى على رأسها قضية رجل الأعمال المثير للجدل شفيق جرّاية.

ويقول محمّد عبو، رئيس حزب التيار الديمقراطي (حزب معارض) لـ"العرب"، إن إعلان يوسف الشاهد الدخول في مرحلة الحرب على الفساد كان بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير باعتبار أنها كانت في مرحلة أولى سياسية وانتقائية وأضرت وفق تعبيره في مرحلة ثانية بمصالح حزبَي الحكم.

وأكّد عبو أن حزب نداء تونس مثله مثل حركة النهضة يتخوف كثيرا من مآلات ونتائج حرب يوسف الشاهد على الفساد وما قد تجر معها من خيبات وصفعات قد تكشف كواليس أباطرة الفساد.

ويرجع العديد من المتابعين، عمق الأزمة بين يوسف الشاهد وحزبه الأم إلى إقدام رئيس الحكومة على إحاطة نفسه بشخصيات سياسية ونواب منهم من هو في كتلة نداء تونس وكل نواب الكتلة الوطنية (نواب منشقين عن نداء تونس) المحسوبة عليه عقب فقدانه لأي سند سياسي من المنظمات والأحزاب الموقعة على وثيقة قرطاج الأولى خصوصا عقب تحول اتحاد الشغل من أكبر داعم له إلى أكبر معارض منذ مطلع عام 2018.

صراع يهدد وحدة الحزب الحاكم

أدى تشبث المدير التنفيذي لحزب نداء تونس بإقالته إلى عودة الحديث عن صراع الأجنحة والشقوق صلب الحزب الحاكم مما قد ينذر بمزيد تعقد أزمته في كلتا الحالتين إن تم التخلي عن الشاهد أو بالإبقاء عليه إلى غاية 2019.

بشأن هذه الأزمة المرتقبة، ذهب العديد من الملاحظين إلى التأكيد بأن تجنّب الرئيس الباجي قائد السبسي عدم الإفصاح عن موقفه الرسمي بخصوص مستقبل الشاهد متأت بالأساس من إدراكه القطعي بوجود خلافات عميقة صلب حزب نداء تونس حول هذه المسألة وهو ما يمهّد لمزيد انهياره عقب تلقّيه صفعة الهزيمة الأخيرة في أول انتخابات محلية بالبلاد منذ ثورة يناير 2011.

ولئن يمثّل حافظ قائد السبسي من الناحية القانونية الممثل الوحيد والناطق الرسمي بمواقف نداء تونس، فإن بعض القيادات الحزبية أو النواب ظهروا بمواقف مغايرة تماما لقيادة النداء بإعلانهم مساندة بقاء يوسف الشاهد كرئيس للحكومة.

وفي ردّ على تطورات مفاوضات قصر قرطاج، أكدت فاطمة المسدي، النائبة بنداء تونس، أن رئيس الحكومة أصبح بمثابة كرة تتقاذفها الأرجل، مشدّدة على أن كل شيء يوحي أنه في حال تمت إقالة الشاهد أو الإبقاء عليه بتشبث من حركة النهضة فإن شيئا لن يتغير على رأس قيادة حزب نداء تونس.

وأضافت "قد يُصبح حافظ قائد السبسي المدير التنفيذي للنداء مرشّحا للنهضة في الانتخابات الرئاسية بما يحول دون فك الارتباط والتحالف بين الحزبين الذي قد يتواصل لسنوات طويلة".

ويحذر مراقبون من كون هذه الخلافات التي تشق مجددا الحزب قد تلقي بظلالها أيضا في المرحلة القادمة على ضوء نتائج مفاوضات قصر قرطاج خاصة لدى تصويت الكتل البرلمانية على منح الثقة للشاهد من عدمه أو لدى التصويت في جلسة منح الثقة لرئيس الحكومة الجديد إن تم التوافق على ذلك في ظل عدم وجود موقف موحّد صلب الحزب الحاكم.

انتخابات عمالية في مصر: بأي صوت ستتحدث النقابات بعد غياب 12 عاما

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – تشهد الساحة النقابية المصرية نشاطا عماليا كثيفا هذه الأيام، إثر تنظيم أول انتخابات نقابية بعد توقف دام 12 عاما، في خطوة قد تصبح متنفسا لأكثر من 29 مليون عامل يتطلعون لانتخاب قيادات عمالية تدافع عن حقوقهم، في ظل تدهور أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.

وانتهت المرحلة الأولى من الانتخابات، الأربعاء 23 مايو 2018، وسط اتهامات من قبل بعض المرشحين لجهات أمنية بإقصائهم من السباق الانتخابي، الأمر الذي ترتب عليه رفع دعاوى قضائية ببطلان الإجراءات، وهو ما ردت عليه وزارة القوى العاملة بأن الانتخابات تجرى تحت إشراف قضائي، وهناك زيادة في الإقبال على الترشح، وسقوط أسماء تعمل بمديرية القوى العاملة في القاهرة.

وتجرى انتخابات اللجان النقابية للمنشآت والمصانع والشركات على مرحلتين، انطلقت الأولى الثلاثاء والأربعاء، وتجرى الثانية في 31 مايو الجاري، على أن تنظم انتخابات مجالس إدارات النقابات العامة، التي تشكلها اللجان النقابية في 7 يونيو المقبل، وينتهي الاقتراع بانتخاب الاتحادات النقابية العمالية التي تشكلها مجالس إدارات النقابات العامة في 13 يونيو المقبل.

ويعتبر خبراء أن إضراب عمال غزل المحلة في أبريل 2008 كان شرارة اندلاع ثورة 25 يناير في 2011. تحول الإضراب الذي كانت دوافعه اقتصادية بالأساس للمطالبة بزيادة الرواتب إلى إضراب سياسي ضد إجراءات وزارة الداخلية، وقادته مجموعة من الشباب تحولت في ما بعد إلى أشهر حركة سياسية شبابية (6 أبريل) ساهمت في اندلاع ثورة يناير.

خمدت نيران ذلك الإضراب، لكن، بدأت الحكومة تلتفت للعمال، وتسيطر على مفاصل القرار في أوساطهم، واهتدت إلى تجميد الانتخابات كي يتسنى لها غلق القناة التي يمارس من خلالها العمال السياسة، لتضاف إلى قنوات أخرى دخلت عصر الانسداد، في مقدمتها أحزاب سياسية كان من المفترض أن تظهر براعتها في الفضاء العام.

ويحمل إجراء الانتخابات حاليا دلالات عدة، لأنها تجرى بعد إقرار قانون جديد للتنظيم النقابي العمالي صدر العام الماضي، ولم يفرق بين النقابات الرسمية والمستقلة وأتاح لكل منهما فرصة متساوية للتمثيل بعد ترتيب أوضاع كل منهما وفق شروطه، وهي المرة الأولى التي تشارك فيها كيانات نقابية مستقلة في الانتخابات منذ تأسيس العمل النقابي في خمسينات القرن الماضي.

وانقسمت النقابات العمالية إلى رسمية، وأخرى مستقلة ظهرت بعد إضرابات عمالية وأزمات، خصوصا مع فصل العمالة إثر خصخصة الشركات. لكن ظلت النقابات (المستقلة) غير معترف بها من قبل الدولة.

وشهدت الفترة بين أوائل 2017 وحتى نهاية أبريل 2018، 300 احتجاج عمالي بمتوسط 25 احتجاجا شهريا تركزت على المطالبة بأجور ومستحقات أو متعلقات وحوافز مالية.

وظلت الحكومة تراقب هذه الاحتجاجات وتتدخل فيها، خوفا من انتقال مطالبها العمالية إلى مربع سياسي، يمثل خطورة كبيرة عليها، بعد أن دجنت قطاعا واسعا في النخبة السياسية وخربت أحزاب المعارضة.

وأكد مجدي البدوي، نائب رئيس الاتحاد العام لنقابات عمال مصر (حكومي)، أن الانتخابات تسعى لضخ دماء جديدة في التنظيم النقابي العمالي يمكن أن يساهم في خفض حدة التوتر بين العمال والهيئات التي يعملون بها، في وقت تعاني فيه الغالبية من مشكلات اقتصادية متفاقمة، وتحاول أن ترسي قواعد ديمقراطية في ما بينهم تعطي لهم الحق في التعبير بعيدا عن التظاهر.

وأضاف في تصريحات لـ"العرب"، أن الانتخابات تعبر عن انتهاء حقبة من الاضطراب السياسي شهدت البلاد خلال السنوات الماضية، وتفسح المجال أمام تولي كوادر نقابية تؤسس لمرحلة جديدة من العمل بعدما تسبب غياب الانتخابات في عدم وجود خبرات للدفاع عن حقوق العمال. وقالت الشبكة الحقوقية لمعلومات حقوق الإنسان، إن هناك عملية إقصاء وصفتها بـ"الممنهجة"، اتبعتها الأجهزة التنفيذية لاستبعاد ما يزيد عن 1500 مرشح في محافظة القاهرة.

وأوضح القيادي العمالي طلال شكر، لـ"العرب"، أن الحكومة تجري انتخابات من دون أن تنشئ المحكمة العمالية التي نص عليها قانون التنظيمات العمالية والتي من المفترض أن تنظر في الطعون المقدمة على الانتخابات قبل إجرائها، الأمر الذي تسبب في لجوء العمال المستبعدين من السباق الانتخابي إلى المحاكم.

وتتهم قيادات عمالية الحكومة بأنها تخلصت ممن لا ترغب في توليهم مناصب نقابية قبل بدء الانتخابات.

وأشار كمال عباس، مسؤول الملف العمالي بالمجلس القومي لحقوق الإنسان (حكومي)، إلى أن الانتخابات تجرى في ظل وجود رغبة سياسية في تحسين الصورة بالخارج، لكنها تدار بفكر بيروقراطي لا يؤمن بحرية العمل النقابي ويربطه بالسلطة، وهناك محاولات مستميتة للحفاظ على الوجوه القديمة والتي تربطها صلات قوية بالحكومة.

وقال إن إعطاء الشخصية الاعتبارية للجان النقابية الصغيرة يزيد من حجم التدخلات، وذلك سيظهر خلال المرحلة الثانية من الانتخابات والتي تشمل الصناعات الكبيرة، مثل الحديد والصلب وغزل المحلة وهي النقابات التي يرى الأمن المصري أن تحركها يمثل خطورة على الأوضاع العامة بالبلاد.

صوت ضائع

لعبة الجولان انتهت سوريا... وبدأت إيرانيا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ طرح وزير الاستخبارات الإسرائيلي إسرائيل كاتس قبل أيام فكرة الضغط على الإدارة الأميركية من أجل ضم الجولان نهائيا إلى الدولة العبرية. تقوم إسرائيل حاليا بعملية جس نبض لمعرفة إلى أي حدّ يمكن أن تذهب في استغلال الوضع الإقليمي من جهة ووجود دونالد ترامب في البيت الأبيض من جهة أخرى.

ما يمكن أن يشجّع إسرائيل على التفاؤل في هذا المجال أمران. أولهما أن إدارة ترامب أقدمت على خطوة الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل من دون الإشارة إلى ضرورة أن تكون القدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية الموعودة.

تلت خطوة الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى المدينة المقدسّة. حصل ذلك من دون ضجّة تذكر، لا إقليميا ولا دوليا. أطلقت إيران تهديدات لتأكيد أنّها المتاجر الأوّل بالقضية الفلسطينية والفلسطينيين في حين قام الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ببعض الحركات ذات الطابع الفولكلوري بهدف المزايدة لا أكثر. عادت الأمور بعد ذلك إلى نصابها وعاد كل طرف إلى مواقعه وهمومه...

> هناك واقع جديد قائم في دمشق وفي الجنوب السوري. يتمثل هذا الواقع في الوجود الإيراني الذي لم يعد يقتصر فقط على مناطق معينة في محيط دمشق. صار على إسرائيل التفاوض مع إيران الموجودة على حدود الجولان مباشرة وغير مباشرة

أمّا الأمر الآخر الذي يشجّع على طرح موضوع الجولان المحتل منذ 51 عاما بالتمام والكمال، فهو عدم الاهتمام السوري يوما باستعادة الهضبة المحتلة ذات الأهمّية الاستراتيجية. احتلت إسرائيل الجولان في ظروف أقلّ ما يمكن أن توصف به أنّها غامضة. حدث ذلك في حزيران – يونيو من العام 1967. وقتذاك، كان حافظ الأسد لا يزال وزيرا للدفاع وكان يهيّئ نفسه لحكم سوريا ابتداء من تشرين الثاني – نوفمبر 1970 حين أعلن عن قيام "الحركة التصحيحية".

ماذا كانت "الحركة التصحيحة" عمليا؟ كانت خطوة على طريق طمأنة إسرائيل إلى أن الجولان سيظل محتلا. لم تكن لدى النظام السوري أيّ نيّة جدية في استعادة الجولان حتّى بعد حرب تشرين الأوّل – أكتوبر 1973.

لم تكن تلك الحرب حرب تحريك للمفاوضات مع إسرائيل بمقدار ما أنّها كانت حربا لتجميد لجبهة الجولان وصولا إلى يوم يعقد فيه بنيامين نتانياهو جلسة لمجلس الوزراء في الهضبة المحتلة. أراد رئيس الوزراء الإسرائيلي بذلك تكريس أمر واقع استطاعت إسرائيل فرضه في وقت لم يكن الجولان يوما سوى أداة يؤكد من خلالها حافظ الأسد ثم نجله بشار أن سوريا ليست مستعدة لأيّ مواجهة مع إسرائيل، بل هي في صدد المشاركة في كلّ الألعاب التي تهواها، بما في ذلك إبقاء جبهة جنوب لبنان مفتوحة.

بقيت الجبهة اللبنانية مفتوحة، بموافقة سورية، عندما كان السلاح في الجنوب فلسطينيا حتّى العام 1982. وبقيت على الوضع نفسه بعدما حلّ السلاح الإيراني، أي سلاح "حزب الله" مكان السلاح الفلسطيني.

كان كافيا أن يخلّ النظام السوري بالشروط المتفق عليها لاستمرار اللعبة في خلال حرب صيف العام 2006 حتّى يصبح مسموحا للجيش اللبناني بدخول الجنوب بعد صدور القرار الرقم 1701 الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

كان من شروط تلك اللعبة السورية – الإسرائيلية أن تتصرّف إسرائيل بالطريقة التي تراها مناسبة وفق قواعد اشتباك معيّنة وضعت في أواخر العام 1975 وأوائل العام 1976 عندما توصل هنري كيسينجر إلى تفاهم مع إسحاق رابين يسمح للجيش السوري بدخول الأراضي اللبنانية ووضع يده على المواقع التي يوجد فيها "مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية".

تغيّر الوضع في جنوب لبنان بعد حرب العام 2006، لكنّ الوضع في الجولان بقي على حاله. كانت هناك مفاوضات سورية – إسرائيلية محورها الجولان. لكن الجانب السوري، الذي يهوى استمرار حال اللاحرب واللاسلم في المنطقة إلى ما لا نهاية، كان يهوى أيضا التفاوض من أجل التفاوض.

الدليل على ذلك أنّ مصر استعادت كلّ أراضيها المحتلة منذ العام 1967 عن طريق المفاوضات، فيما لم يتغيّر شيء في الجولان منذ اتفاق فك الارتباط الذي تم التوصل إليه في العام 1974 برعاية هنري كيسينجر أيضا.

ما الذي تغيّر حاليا كي تسعى إسرائيل إلى الحصول على اعتراف أميركي بأنّ الجولان جزء من أراضيها؟ ما تغيّر أن الجولان لم يعد يوفر ضمانة إسرائيلية للنظام السوري ولا ضمانة من النظام السوري لإسرائيل.

بكل أريحية

هناك واقع جديد قائم في دمشق وفي الجنوب السوري. يتمثل هذا الواقع في الوجود الإيراني الذي لم يعد يقتصر فقط على مناطق معيّنة في محيط دمشق. صار على إسرائيل التفاوض مع إيران الموجودة على حدود الجولان مباشرة وغير مباشرة. هناك غير مصدر أوروبي وأميركي موثوق به يقول إن إسرائيل ليست في وارد التوصل إلى تفاهمات مع إيران لا في شأن وجودها العسكري في لبنان ولا في شأن وجودها العسكري في سوريا، خصوصا في محاذاة الجولان.

استطاع حافظ الأسد، منذ كان وزيرا للدفاع في 1967 استخدام الجولان للتفرد بالسلطة في خريف العام 1970. لعب الدور المطلوب منه أن يلعبه على الصعيد الإقليمي، بما في ذلك إيجاد توازن مع العراق الذي كان يحكمه البعث الآخر منذ 1968، خصوصا منذ تفرّد صدّام حسين بالسلطة صيف العام 1979. تغيّر كلّ شيء في عهد بشّار الأسد الذي لم يعد يفرّق بين مصلحة النظام السوري ومصلحة "حزب الله" ومن خلفه إيران.

بكلام أوضح، لم يعد كافيا بالنسبة إلى إسرائيل الحصول على ضمانات بالنسبة إلى الجولان من بشّار الأسد. إسرائيل تعرف قبل غيرها أن بشّار الأسد لم يعد سوى صورة وأنّه لا يستطيع الاستجابة كليا لما يطلبه منه الجانب الروسي، بل عليه أن يراعي الإيراني أيضا.

ما الذي ستفعله الإدارة الأميركية؟ هل تستجيب للضغط الذي تحدّث عنه الوزير الإسرائيلي؟ من الصعب التكهّن بالموقف الأميركي من ضمّ إسرائيل الجولان نهائيا. لكن الثابت أنّ أمورا كثيرة ستتوقف على التصرّفات الإيرانية. هل ستأخذ إيران المنطقة إلى انفجار جديد في ضوء إصرارها على البقاء، مباشرة أو عبر أدواتها، في الجنوب السوري والمناطق المحيطة بدمشق؟

في كلّ الأحوال، لن تجد إسرائيل صعوبة في إعداد نفسها لتشريع احتلال جديد لأرض عربية، على غرار ما تفعله في القدس والضفّة الغربية حيث تتابع سياسة الاستيطان. ما العمل عندما تكون الظروف الإقليمية والدولية مواتية لها وعندما يتبيّن أن النظام السوري فعل كلّ شيء منذ العام 1967 كي يبقى الجولان محتلا. كان احتلال الجولان يخدم، بالنسبة إلى النظام السوري، أهدافا عدّة في الوقت ذاته. كان يغطي حملته المستمرّة على الشعب الفلسطيني. لعلّ ما حلّ بمخيم اليرموك في دمشق أخيرا أفضل دليل على نظرة هذا النظام للشعب الفلسطيني. كذلك كان الجولان يغطي طموحه الدائم لفرض سيطرته على لبنان.

الواضح الآن أن لعبة الجولان انتهت سوريا. ستستمر إيرانيا. معروف أن البداية الإيرانية لهذه اللعبة كانت مع اندلاع الثورة السورية في آذار – مارس 2011. كيف ستنتهي هذه اللعبة الإيرانية – الإسرائيلية من دون حرب إقليمية باتت في هذه الأيّام حاجة إيرانية أكثر من أيّ شيء آخر؟

قمة دونالد ترامب وكيم جونغ أون: تناقض يجعل من الحوار أكثر واقعية

أحمد قنديل
باحث في الشؤون الآسيوية

❑ بدا التخبط في تصريحات الرئيس الأميركي دونالد ترامب مؤخرا بشأن موعد انعقاد القمة المقررة 12 يونيو المقبل بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية، مثيرا للجدل، بعدما رأى فريق أنها علامة على فشل المفاوضات قبل انعقادها، فيما أشار فريق مخالف إلى أن التناقض يجعل من الحوار أكثر واقعية وأقرب لتحقيق نتائج.

بعد التوقعات بإمكانية نجاح القمة التاريخية المرتقبة بين الرئيس الأميركي ونظيره الكوري الشمالي كيم جونغ أون في التوصل إلى حل لأزمة البرامج النووية والصاورخية لدى بيونغ يانغ، فاجأ ترامب العالم وحلفاءه مرتين في الأيام الأخيرة: الخميس الماضي عندما أعلن عن إلغاء القمة، التي كانت مقررة في 12 يونيو المقبل بسنغافورة، ثم بعد أقل من 24 ساعة غيّر موقفه معلنا عن إمكانية عقد القمة في موعدها.

وزادت توقعات عقد اجتماع قمة بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية بعدما غرّد ترامب أن واشنطن تجري "محادثات بناءة" مع بيونغ يانغ بشأن عقد القمة من جديد.

أثارت مواقف ترامب المتضاربة بشأن القمة مع الرئيس الكوري الشمالي انقساما، بين فريق متفائل بإمكانية استئناف المفاوضات الدبلوماسية بين واشنطن وبيونغ يانغ في وقت قريب، وربما عقد القمة في موعدها، وفريق آخر متشائم يتوقع استئناف حملة الضغوط القصوى من جانب واشنطن على كوريا الشمالية وعودة الرئيس الكوري الشمالي إلى استفزاز جيرانه واستئناف العمل في برامجه النووية والصاروخية في المستقبل المنظور.

يشير الفريق المتفائل إلى أن ما حدث أمر طبيعي في ظل تصاعد التوقعات، لدى كل من الأميركيين والكوريين الشماليين بعد موافقة ترامب، في مارس الماضي، على عقد أول مفاوضات مباشرة مع نظيره الكوري الشمالي، بناء على طلب كيم. على الجانب الأميركي، سادت تقديرات غير دقيقة بأن قادة كوريا الشمالية، تحت وطأة أقسى عقوبات اقتصادية في التاريخ يفرضها مجلس الأمن الدولي على دولة ما ووسط العزلة الدبلوماسية القاسية، واستمرار المناورات العسكرية الضخمة التي تجريها واشنطن مع حلفائها في سيول وطوكيو، سيقبلون بتفكيك برنامجهم النووي في أقصر وقت ممكن، حتى يمكنهم إنقاذ الاقتصاد الكوري الشمالي الذي وصل إلى حالة من الشلل شبه التام.

ويتوقع الكوريون، بعدما حققوا قفزات كبيرة في تطوير برامجهم النووية والصاروخية، أن تعترف بهم واشنطن كدولة نووية وتعطيهم ضمانات أمنية كافية بعدم شن هجوم عسكري للإطاحة بالنظام الحاكم الحالي.

في ضوء الفجوة الكبيرة في التوقعات بين الجانبين، يمثل قرار ترامب عقد القمة مع جونغ أون، وإبقائه لباب المفاوضات مفتوحا، من وجهة نظر الفريق المتفائل، أمرا إيجابيا من أجل تضييق هذه الفجوة، وربما يجعل الجانبين أكثر واقعية ومرونة في التفاوض والوصول إلى تفاهمات مقبولة من الطرفين. أما الفريق المتشائم فيرى أن مفاجأة ترامب بإلغاء القمة ثم تغيير موقفه في اتجاه عقدها بعد يوم واحد يعمق أزمة الثقة بين الجانبين، وستلعب دورا سلبيا للغاية في تحقيق الأمن والاستقرار في شبه الجزيرة الكورية في المدى المنظور.

ولا يُستبعد حدوث تصعيد وتوتر في الفترة المقبلة في صورة استئناف كوريا الشمالية لتجاربها النووية والصاروخية (بعد حوالي ستة أشهر من إيقافها) وقيام بيونغ يانغ أيضا بشن هجمات تخريبية ضد عدد من الأهداف الأميركية، مثل الإدارات الحكومية أو الشبكات العسكرية والشركات الأميركية متعددة الجنسيات.

في المقابل، ستقوم واشنطن بالتمسك باستراتيجية ممارسة "أقصى الضغوط" على كوريا الشمالية، من خلال تشديد العقوبات الاقتصادية عليها، واعتراض السفن المشبوهة التي تنتهك العقوبات الدولية، وتعزيز التواجد العسكري، سواء الجوي أو البحري، في المناطق القريبة من شبه الجزيرة الكورية، وإجراء المزيد من المناورات العسكرية المشتركة مع سيول.

ولا يستبعد عدد من أنصار هذا الفريق إمكانية قيام واشنطن، في المدى المتوسط، بشن هجوم عسكري وفقا لثلاثة سيناريوهات محتملة؛ الأول يتمثل في عملية جراحية توجه إلى قلب المنشآت النووية الكورية الشمالية من خلال استهدافها بصواريخ "توماهوك" المجنحة المنطلقة من حاملة الطائرات "رونالد ريغان" وسفن الأسطول السابع المتواجدة قرب شواطئ شبه الجزيرة الكورية.

أما السيناريو الثاني، سيكون استهداف المنشآت النووية والصاروخية والمراكز العسكرية، بما في ذلك قواعد تخزين الصواريخ المحمولة، وتمركزات القوات المدرعة ومخازن الرؤوس الحربية الكيمياوية والبيولوجية، ولن تكتفي الولايات المتحدة في هذه الحالة باستخدام قاذفاتها المتمركزة في البحر والبر، بل تحتاج أيضا لدعم من قبل البحرية الكورية الجنوبية واليابانية.

ويحمل السيناريو الثالث، وهو الأكثر خطورة، حدوث هجوم واسع النطاق مقتبس من خطة سرية يطلق عليها اسم "أولايلان 2015" أو ضربة قطع الرأس، ويهدف إلى تدمير كوريا الشمالية، والشروع في توحيد شبه الجزيرة الكورية. ويتمثل هذا الهجوم في ضربة وقائية ضد منشآت كوريا الشمالية العسكرية الأساسية، واستهداف كبار قادتها من خلال تدمير مقار القيادة والسيطرة على مراكز الاتصالات والمخابئ والأنفاق، وسيتم التعامل مع هذه الأهداف على الأرجح بواسطة أسلحة نووية تكتيكية.

سواء انعقدت قمة كيم – ترامب في موعدها ومكانها المقررين أم لا، يبدو أن العالم لا يزال بعيدا عن سماع طبول الحرب في شبه الجزيرة الكورية لوجود العديد من الحسابات والعوامل الكابحة لمثل هذه الحرب.

في النهاية تتوقف التداعيات المقبلة على ما ستقوم به الولايات المتحدة، وما إذا كانت ترغب في استمرار الحوار الدبلوماسي، من خلال عقد اجتماع القمة المقترح في سنغافورة أو الدخول في مواجهة نووية، وسط شكوك حول رغبة ترامب في التوصل إلى صفقة مع الرئيس الكوري الشمالي، يتم إقناعه بها كي يقبل بالتخلي عن سلاحه النووي والرادع الوحيد لديه لمنع واشنطن من شن هجوم عسكري للإطاحة به. ويبدو أن ثقة كيم في نظيره الأميركي ضعيفة للغاية في ضوء انسحابه من الاتفاق النووي مع إيران، واختياره لعدد من المسؤولين الصقور الذين يرغبون في حل المسألة الكورية على الطريقة الليبية.

> سواء انعقدت القمة بين دونالد ترامب وكيم جونغ أون في موعدها ومكانها المقررين أم لم تعقد، يبدو أن العالم لا يزال بعيدا عن سماع طبول الحرب في شبه الجزيرة الكورية لوجود العديد من الحسابات والعوامل الكابحة لمثل هذه الحرب

ويتوقف سماع طبول الحرب في المنطقة على ما تفعله الصين، وهي الحليف السياسي الأهم والشريك التجاري الأول لكوريا الشمالية. فبكين لديها القدرة على تعقيد الأمور، إذا خففت فرض العقوبات التي ترى واشنطن أنها العامل الحاسم في جذب كوريا الشمالية إلى طاولة المفاوضات.

موقف كوريا الجنوبية أيضا، سيكون محوريا في تحديد مستقبل شبه الجزيرة الكورية الفترة المقبلة. فقرار ترامب إلغاء القمة يمثل ضربة قوية للتحالف بين واشنطن وسيول، لأن الرئيس الكوري الجنوبي مون جاي إن، لعب دور الوسيط بين ترامب وكيم، مع ذلك فوجئ بالقرار المذكور رغم أنه كان في المكتب البيضاوي الأسبوع الماضي.

في كل الأحوال، فإن رغبة إدارة ترامب في سرعة تفكيك السلاح النووي لكوريا الشمالية خلال ولايته الأولى لن تتحقق في الغالب دون تقديم ضمانات لبيونغ يانغ تتوافق مع أمنها. ودون هذه الضمانات لن تكون قمة ترامب – جونغ أون فقط مهددة، إنما سيكون مستقبل المنطقة برمتها في مهب حرب نووية قاسية.

وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو لن يترك الفرص تضيع

اعرف عدوك، وإن جنحت للسلم معه

سميرة رجب
كاتبة بحرينية

❑ يعيش عرب المشرق والمغرب اليوم حالة غليان في العلاقات مع الجارة الشرقية المسلمة إيران. ورغم أن العلاقات العربية الإيرانية لم تكن دائما جيدة على مدار التاريخ، إلا أن إيران منذ عام 1979 لم تحاول أن تغيّر مواقفها العدائية المعلنة والمبطنة ضد العرب، بل هي تعيش في حالة استنفار مستمرة للانقضاض على كل بقعة أرض عربية تصاب بحالة ضعف ووهن، أو انهيار، بذريعة تصدير ثورتها البائسة "لتحرير رقاب المسلمين من حكوماتها الظالمة والمغتصِبَة لخلافة آل البيت"...

> حين نتحدث عن العلاقات العربية الإيرانية اليوم، علينا أن نتذكر أن عمرها يزيد على أربعين قرنا، والمفارقة أن سلوك إيران كان طوال التاريخ عدوانيا ضد العرب. ولا تجنح إيران للسلم إلا في فترات انكساراتها وضعفها

كانت هناك محاولة تحسين علاقات بين الطرفين، بعد هزيمة إيران في حرب الثماني سنوات ضد العراق، والاجتياح العراقي للكويت بمبادرة ما يُدعى بـ"حوار الحضارات" للرئيس السابق محمد خاتمي، في فترة ولايته. لكن لم تنجح المحاولة لأسباب عديدة، أهمها أن النوايا الإيرانية لم تكن صادقة.

العلاقات العربية الإيرانية

خلال ولاية محمد خاتمي (1997 – 2005)، والتي كانت فيها العلاقات الإيرانية الخليجية توصف بالإيجابية، كانت الخلايا النائمة الإيرانية في بلادنا تعمل بنشاط مكثف على المستوى التثقيفي العقائدي والتنظيمي الحزبي، إضافة إلى التدريب الميليشياوي للتنظيمات الإرهابية التي أعلنت عن تشكيلاتها في ما بعد (2006 – 2010)، وكانت خلايا الأشتر الإرهابية من مخرجات ذلك النشاط المحموم حينها، وبداية انتشار أمثالها على الساحة الخليجية بشكل عام.

ولولا شح المعلومات (لأسباب أمنية نقدّرها) حول موضوع مخازن الأسلحة الخاصة بالأذرع الإيرانية الإرهابية التي اكتشفتها الأجهزة الأمنية في مملكة البحرين وبعض دول الخليج العربي الأخرى، ولا يزال يتم اكتشافها تباعا، لاستطعنا التأكيد بالأدلة على أن أغلب هذه الأسلحة بدأت بدخول المنطقة من إيران خلال فترة العلاقات الإيجابية، وليس العكس (وكان لكاتبة هذا المقال تصريح سابق في عام 2006 حول وجود هذه الأسلحة المهرّبة والمخزنة في دول الخليج، وأثار هذا التصريح ضجيجا إعلاميا حينها دون أن يثير اهتماما لدى السلطات الرسمية). حين نتحدث عن العلاقات العربية الإيرانية اليوم، علينا أن نتذكر أن عمرها يزيد على أربعين قرنا، والمفارقة أن سلوك إيران كان طوال التاريخ توسعيا عدوانيا ضد العرب. ولا تجنح إيران للسلم إلا في فترات انكساراتها وضعفها.

ولا يستطيع أي باحث متخصص ومحايد أن يقدّم ما يثبت أن إيران كانت على وفاق وغير عدوانية ولا تضمر الكراهية تجاه منطقة الخليج العربي والعراق، والعرب عموما، في أي مقطع زمني من تاريخ العلاقات العربية الإيرانية، حتى في زمن السلم.

المفارقة الأهم أن العرب على مدار هذا التاريخ الطويل، وحتى يومنا هذا، لم يملكوا أي مشروع مضاد لصد العدوانية الإيرانية الأزلية، قبل أن تصل لمرحلة الحروب المباشرة، التي كانت دائما تقع على الأرض العربية، بعيدا عن التراب الإيراني، وكانت تخرج منها إيران منتصرة، بقضم أجزاء من أرض العرب، بفضل التحالفات الدولية التي لطالما تفاعلت لصالح إيران.

ويؤكد التاريخ أن كل الحضارات التي نشأت في بلاد الرافدين، منذ الآشوريين حتى النهضة العراقية الحديثة، تمت إبادتها على يد الفرس، وهذه حقيقة تاريخية تستحق الاهتمام والدراسة، بل إن تجاهل وعدم توثيق ودراسة هذه الحقائق التاريخية لهو جزء من مصادر القوة المتعددة لبلاد فارس على مدار تاريخ علاقاتها مع العرب.

وفي ذلك تأكيد على أن إيران تدرك ما لم يدركه العرب حتى الآن، وهو أن تحطيم الدولة المركزية القومية القوية في العراق يعد هدفا استراتيجيا لجميع الغزاة الذين يستهدفون المنطقة العربية، لتتحول المنطقة إلى لقمة سائغة بعد ذلك، وهذا هو الواقع التاريخي والجغرافي الذي عمل به الغزاة الجدد، إذ لم يكن الخيار الأنغلوأميركي بالتعاون مع إيران، لإسقاط العراق في عام 2003 خيارا عشوائيا، بقدر ما كان استراتيجيا معبرا عن الفهم العميق للواقع العراقي، لتمرير "مشروع الشرق الأوسط الجديد".

كما لم يكن القرار الأنغلوأميركي بتسليم العراق إلى إيران خيارا عشوائيا، بقدر ما كان نتيجة دراسة ومعرفة تاريخية عميقة بأهمية استثمار الأحقاد والكراهية الفارسية التاريخية لسحق قوة العراق الداخلية، والتي درسها الغزاة جيدا قبل البدء بمغامرتهم العدوانية في مارس 2003.

المعرفة قوة

تستمد إيران جانبا من قوتها العدائية ضد العرب من قوة معرفتها بالعرب، بحكم الجغرافيا والتاريخ.

دَرسَ الإيرانيون تاريخ العرب وطباعهم ومنهجية أفكارهم، وحصدوا من كل هذا قوة معرفية غزوا بها بلادنا حتى دون أي سلاح تقليدي ولا سلاح نووي. فهل يملك العرب معرفة بالشأن الإيراني لصد تلك الغزوات التي لم تتوقف منذ بزوغ الإسلام حتى يومنا هذا؟ العرب اليوم، كما كانوا عبر التاريخ، لا يمكن أن يأمَنوا جانب إيران بمعزل عن امتلاك المعرفة الواقعية العميقة لمصادر قوة النفوذ الإيراني المنتشر من العراق وسوريا ولبنان شمالا حتى اليمن جنوبا، ومن الخليج العربي شرقا إلى المغرب العربي غربا، هذه القوة العدوانية التي يعبر عنها السلوك الإيراني التوسعي هي ديدن إيران، ومن قبلها بلاد فارس، في فترات التراجع العربي عبر التاريخ.

وتحت مبدأ "اعرف عدوك، وإن جَنَحْتَ للسلم معه" كان يجب أن تكون أولى أولويات العرب الأمنية، ومنذ قرون طويلة، التركيز على دراسة ومعرفة إيران من الداخل، لتجنب شرورها... ولأن "المعرفة قوة" لربما كان في امتلاك العرب المعرفة حول إيران خير للطرفين، وكان بإمكاننا صد إيران والحفاظ على توازن القوى وإحلال السلم في المنطقة، عوضا عما تعيشه الأمة اليوم من إخفاقات كبيرة في مواجهة إيران "المبهمة"، التي باتت تهديدا مباشرا في عقر دورنا.

وفي سبيل فهم شيء من إيران "المبهمة" وتوجهها العدواني المكرّس لهدف واحد أحد، وهو تمزيق العرب والهيمنة عليهم، وجب علينا ألا نتوقف يوما عن ترديد السؤال التالي: يا ترى ما هو أهم وأخطر مصادر قوة إيران في المنطقة، وفي العالم، وعلى مدار التاريخ العربي والإسلامي، وما نوع هذه القوة التي تجعلها قادرة على العبث بمصالح بلداننا من الداخل، بلا هوادة.

ونعيد هنا بأن الإجابة على هذه التساؤلات ليست بالسهولة التي يتصورها البعض، حيث مر على تراكم مصادر القوة الإيرانية الباطنية هذه قرون طويلة، وتطورت عبر مختلف أنواع ثقافة الكراهية والحقد والعدائية، التي ابتدعها العقل الفارسي منذ فارس الساسانية وما قبلها، ثم فارس الإسلامية (636)، ثم فارس الصفوية (1502)، ثم إيران البهلوية (1935)، ثم إيران الخمينية (1979)، وما تخلل هذه الفترات.

ولتكون إجاباتنا على هذه التساؤلات ذات قيمة معرفية سليمة علينا البحث والدراسة بمنهجية علمية تاريخية معتمدة مبدأها أن "تاريخ كل أمة متصل في سلسلة حلقات متتابعة، وفي مجرى متصل يؤدي بعضه إلى بعض، وأن حاضر كل أمة لهو نتاج سيرها التاريخي إلى المستقبل.. لذا لا انقطاع في التاريخ، ولا ظاهرة تبدو دون جذور وتمهيد" (المؤرخ الراحل د. عبدالعزيز الدوري).

في هذا السياق، وفي جواب موجز في عدة كلمات، يمكن التأكيد على أحد أخطر وأقدم الأسلحة التي ابتدعها العقل الفارسي في محاربة العرب منذ بدايات الإسلام، إلى يومنا هذا، هو السلاح العقائدي المذهبي القومي الفارسي الباطني، الذي تراكم في بناء فكري، قادر على تجديد نفسه، في إطار ثقافي يرضعه الإيرانيون منذ نعومة أظفارهم ويتوارثونه جيلا بعد جيل، "في مجرى متصل"، حتى بات جزءا من المقدسات المعصومة التي لا يجرؤ بشر على المساس بها. ولهذا السلاح قوة تدميرية تفوق قوة البرنامج النووي، التي تثير زوبعة إعلامية عقيمة يتلاعب بها الغرب على عقولنا.

> إيران تستمد جانبا من قوتها العدائية من قوة معرفتها بالعرب. درس الإيرانيون تاريخ العرب وطباعهم ومنهجية أفكارهم، وحصدوا قوة معرفية غزوا بها بلادنا. فهل يملك العرب معرفة بالشأن الإيراني لصد تلك الغزوات

ولعل هناك من يقول إن هذا الأمر بات مفهوما، وخصوصا بعد أحداث 2011، والمستمرة حتى يومنا هذا على الأرض العربية، وهنا نرجو أن نؤكد بأن الفهم السطحي لهذا الأمر البالغ التعقيد، يخلو من المعرفة المطلوبة التي بات العرب بأمسّ الحاجة إليها لمواجهة إيران الحاضر عبر فهم التاريخ والمستقبل.

السلاح العقائدي القومي

احتل الفرس العراق لمدة تزيد على ثلاثمئة سنة قبل الإسلام، إلى أن تم تحريره في معركة القادسية (15هـ – 636م)، وهي المعركة التي حطم فيها العرب الإمبراطورية الساسانية الفارسية في "المدائن"، على أرض العراق، ولم يتجاوز جيش المسلمين حدود العراق عملا بوصية استلمها سعد بن أبي وقاص، قائد جيوش القادسية، من عمر بن حارثة الشيباني، قائد الجيش الإسلامي في الحيرة (توفي قبل بدء المعركة) "ألا يتوغل في بلاد فارس، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم، على أدنى حجر من أرض العرب.."، فكان انتصار المسلمين في تلك المعركة علامة فاصلة في تاريخ الفرس.

رغم أن العرب لم يدخلوا بلاد فارس بقوة عسكرية حينها، واكتفوا بتحرير الأرض العراقية العربية، إلا أن ذلك كان كافيا لدفع الحقد الفارسي إلى مواصلة النهج العدواني ضد العرب ممزوجة برغبة الانتقام من الإسلام، وهي رغبة عبّرت عن نفسها بداية، في فترة غياب الكيان السياسي للدولة الفارسية، وابتدع الفرس لمهمتهم هذه أدوات سياسية مستحدثة، ومتعددة الواجهات، اصطلح على تسميتها من قبل المؤرخين العرب بالشعوبية.

ويفسر المؤرخ العربي د.عبدالعزيز الدوري، مفهوم الشعوبية بأنها "محاولات شعوب غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة، فهي في اندفاعها تتكشف عن صراع ثقافي ديني واسع" (الجذور التاريخية للشعوبية، ص9).

ويشير الدوري إلى أن الشعوبية حركة بدأت متستّرة في فترة الدولة الأموية الأخيرة، وتكشفت أهدافها الحقيقية في العصر العباسي، ونشطت بصورة خاصة في العراق وليس في فارس، وقام بها الموَالي، وهم مجموعة من الذين دخلوا الإسلام، من ذوي الأصول غير العربية، ومن الأعاجم الفرس خصوصا.

اتضح دور الموالي كحركة من خلال نشاط الغلاة الذين تظاهروا بالإسلام، ودورهم في تذكّر أمجاد فارس، وإحياء الآراء الدينية الفارسية القديمة، حينها. وفي ذلك الواقع الذي كان المجتمع العربي فيه يستند إلى الدين، وسلطانه يقوم على الدين، كان واضحا "اجتماع الوجهتين الدينية والسياسية في الحركة الشعوبية، وخاصة في دور نشاطها" (المصدر السابق).

بدأت الحركة بالظهور عبر "بعض ممثليها في مطلع القرن الثاني الهجري، بين شاعر يتغنى بأمجاد ساسان، ومبشر يبشر بالأديان الفارسية القديمة، وكاتب ينقل تراث الفرس القدماء في الحضارة والدين، ولكن بداياتها كانت محاطة بالغموض لأنها بدأت عملها في جو من الحذر والكتمان"، حتى بات من الصعوبة تحديد تلك البدايات (المصدر السابق).

كانت الحركة الشعوبية أقوى في العراق والأندلس وذلك لوجود الأمجاد غير العربية فيهما (الساسانية في العراق والقوطية في الأندلس) والتي انتهت بالفتوحات العربية، وأيضا لأن "فيهما تلتقي التيارات الثقافية الدينية المتعارضة وتتصادم".

ويمكن إيجاز نشاط الحركة الشعوبية الأولى، بكلمات معدودة، في دورها المحموم كحركة سرية تتظاهر بالإسلام حاولت، ولا تزال، تعمل على نسف الإسلام والعرب من الداخل، وبذلت جهودا لمسخ التراث العربي أو "تشويه دور العرب في التاريخ" لهدم الكيان العربي.

ومن الناحية الاجتماعية انضمت مستويات مختلفة ساهمت، ولازالت تساهم، في هذه الحركة "بين عامة وتجار وكتاب ووزراء وأمراء، بين أميين ومثقفين. ولكن دور الفكر أو العقيدة أساسي في هذه الحركات حتى غلبت هذه الناحية على نشاط الشعوبية، وهذا يعني أيضا أنها ليست حركة فئة معينة أو طبقة اجتماعية –إن جاز التحديد– بل إنها تمثل اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة لزعزعة السلطان العربي، أو لإضعاف الإسلام وإرباكه، ولصد تيار الثقافة العربية والإسلامية، ولنسف التراث، كما حاولت تركيز الوعي السياسي والديني بين صفوفها وإحياء تراثها الثقافي" (المصدر السابق).

بحسب الدوري هناك:

● **الشعوبية السياسية:** اتخذت أشكالا فكرية متعددة لضرب الكيان العربي السياسي ونشر الفرقة بين رموزه وأبنائه وخلق الأزمات لإنهاكه واستنزافه..

● **الشعوبية الثقافية:** هدفها الحط من قيمة العرب وتجريدهم من خصائصهم الإيجابية أو خصالهم النبيلة، والزعم بأنهم مجرد بدو وأقوام متخلفة، بتوظيف فنون الشعر والأدب وأنشطة ثقافية للإشادة بالفرس واعتبارهم أمة حضارية، ذات قيم نبيلة وأديان عظيمة، لها السيادة دائما..

● **الشعوبية الدينية:** ظهرت في وقت مبكر، واتخذت شكل تأسيس فِرَق غلو ذات طابع ديني استهدفت تمزيق وحدة المسلمين والخروج على الوسطية والإساءة إلى عروبة الإسلام، وإلى قادته ومفكريه ورموزه العرب.

الشعوبية الجديدة

يطول الحديث في تاريخ الحركة الشعوبية ونشاطها وغلوها السياسي والديني، منذ فترة ضعف الدولة العباسية وظهور البرامكة ثم البويهية، ثم فرق الإسماعيلية وقيام الدولة العُبيدية (الفاطميون) ثم القرامطة، وصولا إلى العثمانية والصفوية، والتي كانت، وغيرها العديد، بمثابة فرق غلو ديني تستهدف تدمير السلطان العربي عبر الإسلام. إلا أنه من المهم إعادة دراسة تاريخ الحركة الشعوبية لفهم امتداداتها في الأشكال الجديدة من التنظيمات السياسية والإرهابية، ذات التوجهات العقائدية الدينية والمذهبية والطائفية الباطنية، التي وصلت إلى مستوى توزيع العصمة على بني البشر، وممارسة دور الولاية الإلهية المطلقة، في إدارة الدولة والدين، وتعمل على تدمير العرب من الداخل، عبر تشويه الإسلام وزعزعة سلطانه، في حركات جديدة تضم العامة والأمراء والوزراء والكتاب والتجار وغيرهم، وكأن التاريخ يعيد نفسه في حراك شعوبي جديد.

في جانب آخر، يذكر الدوري أن بدايات الحركة الشعوبية كانت عبر إطلاق مبدأ التسوية، أي مبدأ مساواة الموالي بالعرب في دولة الخلافة الإسلامية، فكان مبدأ عادلا يستهدف تحقيق مآرب غير عادلة، علما وأن العرب المسلمين هم أول من رفع راية المساواة في ظل المتغيرات التي بدأت تتبلور مع فترة الخلافة الأموية.. ويذكر أيضا أن الموالي، بموجب مبدأ التسوية هذا، كانوا يطالبون بالمناصب في الجيش الإسلامي، التي اقتصرت على العرب، وكأن العرب الأوائل كانوا قد كشفوا خطر الوجود الفارسي في مفاصل الدولة العربية، والذي لا يزال خطرا قائما في نظرية المحاصصة الطائفية في الحكم، التي تلتزم بها تنظيمات الغلو العقائدي الديني الجديدة (الشعوبية الجديدة)... فما "أشبه اليوم بالبارحة".

البراغماتية الإيرانية

مرت حركات الغلو الديني العقائدي بمراحل عديدة وأطر ثقافية متنوعة، ودخلت في تجاذبات واستقطابات وتحالفات مع أطراف شتى على مدار أربعة عشر قرنا، وصارت على مستوى عال من التعقيد، وتمكنت من تشويه الإسلام الصحيح حتى باتت هذه الحركات، في القرون الأخيرة، مادة دسمة للاستثمار الاستعماري السياسي والثقافي والديني، واستثمارها في الغزو والاحتلال، وأخيرا في الإرهاب الذي يمثل أبشع صورة من صور الحروب بالوكالة ضد العرب.

إن سرّ قوة الأمم يكمن في معرفة التاريخ، والدراسة المعمقة لتفاصيله... وإن تهميش وتسطيح المعرفة التاريخية هو سر ضعف الأمة العربية، وسهولة تمزيقها بالصراعات الداخلية... ومفتاح العرب نحو امتلاك قوة داخلية وخارجية ذكية يبدأ بالقراءة الوافية للتاريخ، بعيون عربية، عروبية، حرة من التبعية الغربية. ويبقى سؤالنا قائما، يا ترى أين العرب من كل هذا؟

نزيف السرقة مستمر: هل سيبقى لمصر آثار تشهد على تاريخها

نابشو القبور الفرعونية في الأقصر: نبحث عن الأمانة التي تركها الأجداد

بلدي عائمة على كنز وإذا حفرت في أي مكان ستجد أثرا

أحمد حافظ

❑ **القاهرة** – يعتقد المتابعون لمسلسل "طايع"، الذي يعرض ضمن السباق الرمضاني على عدد من المحطات الفضائية المصرية والعربية، ويناقش قضية التنقيب عن الآثار وتهريبها، أن العمل الدرامي أقرب إلى الخيال، وما يدور في حلقاته من أحداث وتفاصيل عن تجارة الآثار والتنقيب في مصر، من الصعب وجوده في الحقيقة.

لكن حادثة ضبط شحنة كبيرة من الآثار المصرية، تم تهريبها إلى إيطاليا، عن طريق حاوية دبلوماسية، كشفت مدى قرب أحداث المسلسل للواقع. وفي الحلقة السابعة من المسلسل نجح تجار الآثار في تهريب شحنة آثار عن طريق حقيبة دبلوماسية إلى إحدى الدول الأفريقية. وفي مفارقة، أذيعت الحلقة قبل يوم من الإعلان عن حادثة إيطاليا.

> غالبية القطع الأثرية يتم طمسها بالجبس ووضعها داخل أغطية اصطناعية، وهو أمر لا يمكن كشفه من خلال أجهزة وزارة الآثار، بالإضافة إلى وجود فساد إداري داخل هذه الوحدات يسمح باختراق مافيا التهريب لها عن طريق الرشاوى، ما يسمح بتمريرها إلى خارج البلاد

ونفت وزارة الخارجية المصرية، الأربعاء، أن تكون الحاوية تابعة للسفارة المصرية في روما أو أحد أعضاء بعثتها الدبلوماسية، لكنها أكدت عملية التهريب. وقالت إنها تتابع مع إيطاليا القضية لاستيضاح التفاصيل الخاصة بها ومحاسبة المسؤولين.

وقامت شرطة الآثار والسياحة الإيطالية بإبلاغ السفارة المصرية في روما يوم 14 مارس الماضي بعثورها على 23700 قطعة أثرية، بينها 118 قطعة مصرية في حاوية دبلوماسية. وقامت السفارة بإرسال أسطوانة مدمجة تحمل صور القطع إلى القطاع الثقافي بوزارة الخارجية في القاهرة للتحقق من كونها آثارا أصلية، وللإجابة على استفسارات الجانب الإيطالي في هذا الصدد لاستكمال التحقيقات.

وشغلت هذه القضية وسائل التواصل الاجتماعي وأعادت تصفح ملف الآثار الفرعونية المسروقة التي تستخرج من المقابر المصرية وتتنقل عبر أنحاء العالم ضمن علميات تهريب نشطة منذ سنوات طويلة جدا، تنوعت خلالها طرق السرقة وعمليات استخراج الآثار، التي استفادت أيضا من التطور التكنولوجي في عمليات التنقيب والبحث.

ثقافة التنقيب

عندما سألت "العرب" أحد المسؤولين بقطاع الآثار المصرية عن موقفه مما جاء في مسلسل "طايع"، أجاب "لماذا نغضب من دراما تناقش الواقع بتفاصيله؟".

وتعد عملية التهريب الأخيرة هي الثانية التي يعلن عنها في ظرف أشهر، حيث سبق أن أعلنت الكويت ضبط غطاء تابوت فرعوني كامل وصل مهربا في "كنبة" إلى أحد مطاراتها.

ويأتي ذلك بعد فترة من تعديلات أجريت على قانون الآثار نصت على السجن المؤبد (25 عاما) وغرامة لا تقل عن مليون جنيه (56 ألف دولار تقريبا) ولا تزيد على 10 ملايين لمن قام بتهريب أثر إلى خارج البلاد مع علمه بذلك. لكن المتابعين يؤكدون أن القوانين لا تردع نابشي المقابر والباحثين عن الثورة الفرعونية، حيث الجميع يلهث وراء تمثال أو سبيكة ذهبية، لجني المكاسب من ورائها.

وفي السنوات الأخيرة، أضحى البحث عن الآثار أشبه بالوباء الذي انتشر في المجتمع. وعايشت "العرب" هذا الواقع عن قرب، وتحديدا في محافظة الأقصر بجنوب مصر، وهي تحتضن نحو ثلث آثار العالم، حيث بلغ انتشار هوس التنقيب بين سكانها، حد إنفاق كل ما تمتلكه الأسرة.

وأكدت دراسة بحثية صدرت عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر، أن أكثر من 15 ألف قضية تنقيب واتجار في الآثار وقعت خلال عامي 2009 و2013 بما يعادل نحو 3000 قضية كل عام.

وقالت الدراسة إن محافظتي قنا والأقصر جاءتا في مقدمة المحافظات التي تكثر فيها حوادث التنقيب عن الآثار وبعدهما المنيا وأسوان ثم الجيزة فالشرقية. ومع ذلك يبقى ما يتم الإعلان عنه من آثار مسروقة يتم ضبطها أقل بكثير من الآثار التي تستخرج في صمت وتهرّب وتباع دون أن يعرف عنها شيء، لأنها آثار غير مسجّلة.

وداخل مدينة مثل الأقصر التنقيب عن الآثار ليس مشكلة، بمعنى أنه لا توجد مخاوف من الحفر لأعماق بعيدة في باطن الأرض، وهناك أكثر من حجة لتبرير ذلك، إما هدم المنزل وإعادة البناء، وإما حفر آبار للمياه خاصة في المناطق الجبلية.

ويجزم بعض السكان، أنهم وصلوا إلى قطع أثرية بالفعل، "هناك أماكن عائمة على آثار فرعونية لم تكتشف بعد، مثل منطقة القرنة في البر الغربي للأقصر.. قد تحفر لأمتار قليلة وتجد أثرا.. هذا بملايين الجنيهات".

وكثيرا ما يكون مصير القطع الأثرية التي يتم استخراجها عبر التنقيب غير الشرعي بيعها خارج البلاد، ومن السهل تمريرها عبر شخصيات لها ثقل ونفوذ وعلاقات قوية داخل الموانئ البحرية تحديدا، لأن المطارات مراقبة بشدة، كما أن عدم ترقيم وتسجيل الآثار المستخرجة بشكل عشوائي من باطن الأرض في السجلات الأثرية يسهل مهمة التهريب، لأن أجهزة معاينة الأثر المسجل بالموانئ والمطارات قد لا تكتشفها.

ويقول محمود (ط)، شاب من البر الغربي الذي يعج بالآثار، إن "فكرة الجهاد في سبيل الثراء من الآثار مسيطرة على عقول أكثر الناس.. هل يُعقل أن نعرف أين تكون الآثار وما يترتب عليها من جني الملايين من الجنيهات، ولا نحاول الوصول إليها مع انتشار الفقر بين الأهالي.. هذا حرام".

وما يرسخ ثقافة التنقيب بين بعض سكان الأقصر، أن لديهم اعتقادا راسخا بأن أجدادهم الفراعنة تركوا لهم هذه الآثار كهدية أو إرث، والبحث عن هذا الإرث "أمر شرعي لا يجب التقصير فيه"، وأكثر مسمى يطلق على الأثر هو لقب "الأمانة"، وعند التنقيب في مكان بعينه، يتحدث المنقبون عن أنهم يبحثون عن الأمانة التي تركها الأجداد.

وكشفت تحقيقات أمنية في مصر أن عمليات التنقيب غير الشرعي لا تكون كما هو متعارف عليه من خلال أعمال فردية يقوم بها أهالي يحفرون داخل صحن المنزل أو بالمناطق المحيطة، لكنها أصبحت مافيا قائمة بذاتها تتكون من ثلاثة أضلاع.

الأول هو التاجر أو المافيا الأجنبية، والتي تختص بعملية دعم مادي ولوجيستي للحفر ودورها بعد ذلك هو تسويق الآثار التي عثر عليها وتهريبها إلى الخارج ثم عرضها في مزادات دولية. أما الجهة الثانية فهي الوكيل المصري الذي يتلخص دوره في اختيار المناطق المرشحة لأن تكون غنية بالآثار والتفاوض مع أهالي المنطقة ومساعدتهم في أعمال الحفر، ويبقى الضلع الأخير ممثلا في الأهالي، أصحاب الأرض أو المنزل الذي يحتوي على كنوز أثرية.

ويدخل ضمن الفريق الثاني الوسيط بين الأهالي والمشتري الأجنبي، والمشعوذ الذي يقوم بدوره بطرد الأرواح الشريرة وتسهيل عملية إيجاد الآثار المخبأة، بالإضافة إلى مسؤولي المحليات الذين يدخلون كجزء من الصفقة، مقابل بقاء الأمر في غاية السرية والسماح بأعمال حفر دون مضايقات أمنية.

وضمن هذه المنظومة هناك شخص واحد لا يمكن أن يخسر، هو الدجال أو (الشيخ)، حتى وإن فشلت محاولات فتح المقبرة، حيث يوهم الشخص بوجود آثار في مكان بعينه، قد يكون أسفل منزله، ثم يقوم بتقدير قيمة الكنز مسبقا قبل الحفر، ويحصل على جزء من القيمة كشرط لتسخير ما يسمّى بـ"الجن حارس المقبرة".

وزرع الدجالون في أذهان الراغبين في التنقيب، أن الفراعنة استعانوا بالجن لحماية الكنوز الأثرية، عن طريق تلاوة بعض التعاويذ وأفعال الشعوذة التي توهم من يقترب من المقبرة بظهور أشياء مخيفة، مثل الحيوانات القاتلة، أو إشعال النار في مدخل المقبرة دون مقدمات كنوع من الترهيب، وبالتالي فإن محاولات فتح المقابر الأثرية دون وجود (شيخ) ستبوء بالفشل.

ويحرص الدجالون والحالمون على أن تكون دائرة التنقيب ضيقة كي لا تلاحقهم أعين وألسنة الناس، ومن ثم يكونون تحت رقابة الأمن.

ويبدأ التنقيب عن الآثار، بنصب العرّاف شباكه والإيحاء بقدرته على تسخير الجن. وقال إبراهيم (اسم مستعار) "بعضهم يقنع صاحب المكان وعمال الحفر بأنه يريد أن يختلي بالجن في الليل دون وجود أي شخص، وأحيانا يأتي إلى مكان الحفر بحوزته قطعة أثرية مزيفة يصعب اكتشاف حداثتها ثم يدفنها بجوار الحفر مباشرة، وعندما يعاود العمال التنقيب ويجدون الأثر، يجن الجميع بأن المكان أثري".

خسائر مادية

كانت أبرز القضايا التي كشفت عن الأضلاع الثلاثة لعملية سرقة الآثار وتهريبها، حادثة أثارت الرأي العام المصري في ديسمبر عام 2009 بمنطقة درب العطارين بمدينة أسيوط (جنوب القاهرة)، وراح ضحيتها 6 أشخاص في أثناء تنقيبهم عن الآثار بأحد المنازل، بعد أن سقطوا في حفرة عميقة وردمهم التراب.

وأشارت الحادثة إلى وجود مافيا كاملة تتكون من 16 شخصا؛ من بينهم عاملون بالجهاز المحلي وتجار وثلاثة أجانب شكلوا جزءا من مافيا كانت تستهدف نبش مقبرة فرعونية تعود للأسرة السادسة عشرة وتهريبها إلى بريطانيا للبيع في معرض المزادات الشهير "سوثبي" بلندن.

ويقول محمود "هذه حيلة من ضمن عشرات الحيل التي يكذب من خلالها الشيخ.. الناس عندما يجدون أثرا في التراب يفقدون عقولهم"، فيما يؤكد إبراهيم (اسم مستعار)، "ليت الأمر يقف عند خسارة مبالغ مالية، هناك دجالون يطلبون دماء أشخاص.. وعن نفسي لا أنسى أني قمت ببيع نصف ما ورثته لأنفق على تكاليف الحفر ومتطلبات الدجال دون فائدة". ويضيف "أعرف أشخاصا نجحوا في الوصول إلى الآثار.. وهؤلاء معروفون بالاسم في البر الغربي.. عندما تجد أسرة تمتلك قطعة أرض صغيرة ومنزلا مساحته مكونة من غرفتين فقط، ثم تفاجأ بأن الأسرة تشتري أراضي وعقارات تعرف أنه وجد أمانة كبيرة (الآثار)".

ويعتقد بعض أهالي المناطق السياحية أن تقصير الحكومة في الكشف عن الآثار واستمرار الكنوز أسفل الأرض "هو أصل الحرام"، فلا يمكن أن تتراخى في الكشف عنها دون مبرر رغم علمها بأماكن دفنها، ثم تحارب تنقيب الباحثين عن النقلة النوعية في مستواهم المعيشي.

غياب الثقة

ما يزيد من تعقيد الأزمة أكثر أن البعض من أهالي أكبر مدينة أثرية في العالم (الأقصر) لديهم قناعة بأن المسؤولين في الأجهزة المختلفة ضالعون في سرقة الآثار والتنقيب عنها وتهريبها إلى الخارج، بمعنى إذا لم يقوموا كأشخاص عاديين بالتنقيب عن الآثار أو محاولة الوصول إلى محتوى مقبرة أثرية، فهناك شخصيات كبيرة ستقوم بذلك، أي أن الآثار تحولت من تراث حضاري إلى صراع خفي بين الفقراء الحالمين بالغنى وبين فئة من الكبار الباحثين عن تعظيم نفوذهم المالي والاجتماعي في البلاد.

ويقول عارف، مواطن خمسيني من غرب الأقصر، "أحد جيراني عثر على تمثالين بعدما حفر لعمق أربعة أمتار فقط، فالمنطقة مليئة بالآثار، وقام ببيعهما لأحد تجار الآثار عن طريق مندوبين له في الصعيد، حيث يوجد لكل مافيا أو تاجر كبير ممثل في كل محافظة".

وعارف، من فئة الناس التي تنقب عن الآثار بمنطق "بلدي عائمة على كنز، وإذا حفرت في أي مكان ستجد أثرا.. هي (أي الحكومة) لا تريد الإنفاق على اكتشافات جديدة فلا تستفيد أساسا من الآثار المكتشفة.. إذا كانت لا تريدها فنحن أولى بها.. ماذا ستفعل الآثار تحت الأرض وهناك فقراء قاربوا على الدفن أحياء من الغلاء.. هكذا نفكر ونتعامل مع شرعية التنقيب".

وحصد جار (عارف) مبلغا معقولا من بيع التمثالين، وقام بشراء قطعة أرض وأنشأ مجموعة من العقارات وكتبها بأسماء أولاده، لإخفاء ملامح الثراء الذاتي، وإبعاد نفسه عن الملاحقة الأمنية وتسليط الأعين عليه.

ويوضح باسم سعيد، خبير أثري لـ"العرب"، أن الحكومة شريكة في التشجيع على سرقة الآثار، لأنها لم تتحرك لمواجهة النقص الحاد في أعداد حراس المناطق الأثرية، فضلا عن ندرة المركبات المجهزة لاختراق الصحراء للمرور بشكل منتظم والاطمئنان على المناطق الأثرية المترامية في الصحراء، وهي لا تحافظ على القائم منها، ولا المدفون تحت الأرض، ما يمنح البعض شرعية التنقيب والتهريب خارج البلاد.

ويضيف، أي قطعة أثرية خرجت من مصر دون أن تكون مسجلة رسميا، وتحمل رقما لدى وزارة الآثار، لن تعود مرة أخرى، مهما حدث، لأن مصر ليس لديها أدلة ثبت ملكيتها، وهو شكل من أشكال تدمير الحضارة والتاريخ وسط صمت حكومي وغياب الوعي الأثري عند الشعب.

ويذهب في ذات السياق، محمد فوزي، رئيس قطاع الآثار الإسلامية المصرية الأسبق، الذي يرى أن عمليات التهريب تكون عبر جملة من الإجراءات، يأتي على رأسها تواصل مافيا التهريب الدولية مع الموظفين الذين تكون مسؤوليتهم كشف الآثار المهربة، بالإضافة للجوء إلى التنقيب عن الآثار بطرق غير شرعية وتهريبها من دون أن يتم تسجيلها من خلال وزارة الآثار.

ويضيف في تصريحات لـ"العرب"، أن وجود تقصير مهني وإداري وتكنولوجي في عمل الوحدات الأثرية المتواجدة بجميع المنافذ البرية والبحرية والمطارات يعد السبب الرئيسي للتهريب، إذ أن وجود الآلات والمعدات الحديثة التي تمكنها من كشف القطع الأثرية المهربة، تحديدا بعد انتشار عمليات الطمس وأساليب الإخفاء المتطورة، ساهم في زيادة حالات التهريب خلال السنوات الماضية.

ويلفت إلى أن غالبية القطع الأثرية يتم طمسها بالجبس ووضعها داخل أغطية اصطناعية، وهو أمر لا يمكن كشفه من خلال أجهزة وزارة الآثار، بالإضافة إلى وجود فساد إداري داخل هذه الوحدات يسمح باختراق مافيا التهريب لها، عن طريق الرشاوى ما يسمح بتمريرها إلى خارج البلاد.

ويوضح أن حالة الفوضى الأمنية التي شهدتها البلاد في السنوات التي تلت اندلاع ثورة يناير في العام 2011، كانت سببا رئيسيا في تكوين مجموعات جديدة استهدفت الآثار المصرية سواء كان ذلك من خلال بعض القيادات وصغار الموظفين أو من خلال تدخل جهات أجنبية في عملية التهريب، الأمر الذي تسبب في تهريب حوالي 30 بالمئة من إجمالي الآثار المصرية خلال السنوات السبع الماضية.

فلاح أصيل حاضر غائب قد يعود رئيساً لوزراء مصر

محمود محيي الدين

العالم سيواجه انفجار فقاعة مالية أخطر من أزمة 2008

محمد حماد

❏ البعض في مصر بقي ليكافح وسط طوفان من متحدي الكفاءات. إذ يقال إن مصر من الدول المليئة بالكفاءات، لكن المشكلة أن عددا كبيرا من مؤسساتها الرسمية لا تعتمد عليهم، ولا تستفيد جيدا منهم. والبعض الآخر أصابه الإحباط وانزوى حتى طواه النسيان. لكن هناك فئة ثالثة فضلت الخروج أو الهجرة لتحقيق طموحاتها في مكان يضع الكفاءة، ولا شيء غيرها، كمعيار لتولي المناصب. ويتعامل هؤلاء مع موطنهم الأصلي دون أن تفارقهم همومه.

> محيي الدين يقول لـ «العرب» إن مصر تحتاج إلى رفع معدل الادخار إلى حوالي 25 بالمئة لتحقيق معدلات النمو المستهدفة. فالمعدلات في آخر عامين تراوحت بين 5 بالمئة و6 بالمئة، وهي غير كافية لتعزيز النمو الاقتصادي. ويشير إلى أن تجربة الصين وفيتنام كانت تعتمد على تمويل الاستثمار من خلال المدخرات المحلية، وقد حققت نجاحا ملموسا

محمود محيي الدين، نائب رئيس البنك الدولي، أحد أفراد الفئة الثالثة، يراقب أحوال مصر الاقتصادية جيدا. وبات يُطرح اسمه عند كل كلام يتردد بشأن أي تعديل وزاري مرتقب، ليتصدر احتمال توليه رئاسة مجلس الوزراء قائمة التكهنات، بسبب خبراته الاقتصادية الكبيرة.

بورصة الترشيحات

هو أكاديمي معروف، وله خبرة طويلة بمشاكل الاقتصاد المصري. كما أن تنشئته السياسية جعلته محط الأنظار دوما. فهو سليل عائلة محيي الدين الشهيرة، التي شارك أحد أفرادها، وهو خالد محيي الدين في مجلس قيادة ثورة 23 يوليو 1952. وينحدر من العائلة ذاتها الراحل فؤاد محيي الدين الذي تولى رئاسة الوزراء في بداية حكم مبارك.

ارتفعت فرص محيي الدين، عقب الانتخابات الرئاسية التي جرت نهاية مارس الماضي، وفاز فيها الرئيس عبدالفتاح السيسي، وبدأ اسم محيي الدين يعود إلى بورصة الترشيحات لتقلد منصب رئيس الحكومة في الوزارة المقبلة، لأن أفكاره تتسق مع المرحلة الحالية التي تنفذ فيها القاهرة برنامجا طويلا للإصلاح الاقتصادي بالتعاون مع صندوق النقد الدولي، وهو ما يجعله محل ثقة للإشراف على برنامج الإصلاح الذي يرعاه الرئيس السيسي.

يملك محيي الدين قدرة كبيرة على الإقناع، وقد يلجأ بلغته العربية الرصينة إلى استخدام أمثال شعبية مستوحاة من حياة الفلاحين، متأثرا بموطن ميلاده في كفر شكر بمحافظة القليوبية في 15 يناير 1965.

يعتز بأنه فلاح مصري أصيل. لا يتورع عن لبس الزي الفلاحي "الجلباب" عندما يقصد بلدته والتي يحرص على زيارتها في كل مرة يزور فيها القاهرة قادما من واشنطن. يلتقي بفلاحي قريته في ديوان العائلة. يعشق الاستماع إلى آرائهم ومعاناتهم، ويعتبرهم نبض الوطن الذي يئن من كثافة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية. هؤلاء وأمثالهم في قرى مصر البعيدة عن القاهرة هم المقياس الحقيقي للشارع؛ الترمومتر الذي يُمكّن أي خبير من معرفة جدوى ومردودات الإصلاحات الاقتصادية، على المستوى السلبي والإيجابي.

ألقى محيي الدين مؤخرا محاضرة أمام غرفة التجارة الأميركية بالقاهرة. تحدث فيها عن رؤية البنك الدولي لاستراتيجية التنمية المستدامة 2030. وقد طرح فكرة تأسيس صندوق سيادي مصري لإدارة الأصول غير المستغلة، وهو ما اعتبره الكثيرون محاولة تمهد لعودته إلى مصر وتولي منصب رسمي كبير فيها، لأن هناك حكومة جديدة على وشك أن يعلن الرئيس السيسي تشكيلها قريبا.

يقول إن جميع الدول التي تشهد اكتشافات غاز كبيرة، مثل مصر مؤخرا، تسعى لتأسيس صناديق استثمار سيادية لحماية الأجيال المقبلة، على أن يتم استثمار أموال هذه الصناديق بصورة احترافية تضمن حقوق هذه الأجيال في الثروات الطبيعية.

وقد اكتشفت شركة إيني الإيطالية قبل عامين أكبر حقل للغاز في البحر المتوسط قبالة مدينة الإسكندرية في شمال مصر، ويعد من أكبر عشرة حقول غاز في العالم، ودخل مرحلة الإنتاج في العام الحالي.

وأطلقت القاهرة مطلع شهر مايو الماضي صندوقا سياديا برأسمال 11 مليار دولار، يستهدف اكتشاف الفرص الاستثمارية في البلاد، وتعزيز معدلات النمو في الأصول غير المستغلة، وأعلنت المملكة العربية السعودية رغبتها في المشاركة في رأس مال هذا الصندوق.

ترعرع محيي الدين في ظل نظام مبارك منذ تخرجه في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية عام 1986 وكان الأول على دفعته، وسافر لنيل درجة الماجستير في تحليل السياسات الاقتصادية من جامعة يورك بإنكلترا عام 1990، ثم نال درجة الدكتوراه في اقتصاديات التمويل في نفس الجامعة، وكانت أطروحته حول "سياسات التحرير المالي في الدول النامية".

خلال سنوات سفره للخارج في أثناء الدراسة لم تنقطع صلته بمصر، حيث كان عاشقا لمهنة الصحافة، ويعدّ بصورة منتظمة تقارير اقتصادية كانت تنشرها صحيفة الأهرام المصرية، إلى جانب بعض الدراسات الموسعة التي نشرتها الصحيفة في كتيبات، وتربط في غالبيتها بين تطورات الاقتصاد الدولي وما يجري في مصر على الصعيد الاقتصادي.

ركلة اقتصادية لأعلى

لعل تلك الكتابات كانت سببا في وضع محيي الدين تحت المجهر، وبدأت الأضواء تسلط عليه وتتبع خطاه العديد من وسائل الإعلام، وبدأ نجمه يلوح في الأفق منذ عمله كمستشار اقتصادي بمكتب يوسف بطرس غالي عندما كان وزيرا للدولة للشؤون الاقتصادية عام 1996.

أما يوسف بطرس غالي، الهارب في لندن حاليا، فهو مطلوب للمثول أمام محاكم مصرية بسبب ارتكابه تجاوزات خلال فترة عمله كوزير للمالية، وهو ابن شقيق بطرس بطرس غالي الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة، وكان يوسف قريبا من السلطة ومن دائرة جمال مبارك، ما جعل مدرسته مصنعا للنجوم، الأمر الذي حدث مع محيي الدين. بدأ يتدرج في المناصب حتى أصبح أصغر رئيس للجنة الاقتصادية في الحزب الوطني الديمقراطي، الحزب الحاكم خلال حكم مبارك.

عندما بدأ اسم محيي الدين يتردد كخبير اقتصادي كبير، رشحته بعض الدوائر مبكرا لتولي منصب وزير في الحكومة. وذكر الكاتب والصحافي مكرم محمد أحمد واقعة تكشف عن تميزه المبكر، حيث عرض على مبارك ترشيح محيي الدين لتولي حقيبة الاقتصاد مباشرة، وعندما سأل عن عمره ووجده لم يتجاوز الـ35 عاما، رفض وقال اتركوه، لأن هناك أناسا لو عرفوا أننا سوف نعدّه لحقيبة وزارية لتخلصوا منه معنويا، في إشارة إلى استهدافه، وطالب أن يكون في الظل مؤقتا إلى حين تأتي الفرصة المناسبة.

بدأت الأضواء تتجه أكثر نحو أصغر وزير تقلد حقيبة وزارية خلال فترة حكم مبارك، عندما أدّى محيي الدين اليمين الدستورية كوزير للاستثمار عام 2004، وهو في سن الـ39 عاما.

لفتت كفاءته الأنظار إليه في مراحل مختلفة. امتلك أفكارا غير تقليدية وجرأة كبيرة، جعلتاه محل استهداف من الكثيرين. أطلق مبادرة صكوك الملكية ولاقت رفضا شعبيا، وكانت تستهدف تطوير شركات قطاع الأعمال العام التابعة للحكومة من خلال طرح صكوك على الشعب يشتريها الأفراد وبموجب حصيلة هذه الصكوك يتم تطوير الشركات الخاسرة، ومن خلالها يصبحون ملاكا للمال العام.

بعد موجة الرفض العاتية لجأت الحكومة إلى تقريب الفكرة للمواطنين من خلال السينما، وتم إنتاج فيلم "عايز حقي" بطولة الفنان هاني رمزي، وتدور أحداثه حول مواطن يرغب في الزواج ولا يملك مسكنا، ووجد الحل عندما كان يقرأ دستور البلاد الذي ينص على أن جميع المصريين شركاء في ملكية أصول البلاد.

مع أن ثمة جهودا كبيرة بذلت، إلا أنه تم وأد الفكرة، لكن تقبلها المصريون حاليا من خلال طرح أسهم هذه الشركات في البورصة، وبدأ الأفراد والمؤسسات المالية أيضا يترقبون توقيت طرحها بهدف المضاربة عليها.

كانت بطانة جمال مبارك بقيادة مايسترو ما يعرف بالتوريث في مصر، رجل الأعمال أحمد عز، لا ترغب في وجود نجوم حول الرئيس المنتظر، ومُنح محيي الدين ركلة للأعلى في 30 أكتوبر 2010 وعين مديرا منتدبا للبنك الدولي بترشيح من القاهرة، بعدها بنحو 85 يوما اشتعلت ثورة 25 يناير 2011 ضد نظام مبارك وأطاحت به، ولم يكن محيي الدين ليفلت من مقصلة الثورة لولا خروجه من مصر قبل اندلاعها. كانت تلك الركلة باب السعد له، كما يقولون في مصر.

السفر وقاه من الانتقادات والاتهامات التي طالت رموز نظام مبارك. فقد كان محيي الدين مسؤولا عن الكثير من السياسات الاقتصادية في ذلك الوقت. وقد قبل العمل مع نظام كانت علامات الفساد فيه غير خافية على المواطنين. لذلك فابتعاده جاء في توقيت مثالي له.

كارثة اقتصادية عالمية متوقعة

ابتعاده عن مصر، لم يجعل الأضواء تنحسر عنه، وربما جرى العكس، ففي كل أزمة اقتصادية تواجهها البلاد تتجه العيون نحو محيي الدين لتلمس الحل. لم يبخل بالنصيحة. يقدمها للمسؤولين والإعلاميين. وازدادت أهميته عندما تبوّأ منصبا مهما في البنك الدولي، وامتلك مروحة واسعة من الخبرات الاقتصادية.

ازدادت التكهنات حول محيي الدين بعد تكرار أحاديثه عن الاقتصاد المصري، حيث كان في فترات سابقة يفضل الحديث عن الاقتصاد العالمي فقط، إلى درجة أنه كان يؤكد دوما للصحافيين المصريين أن أحاديثه تتعلق بالأوضاع العالمية وليست خاصة بالحالة المصرية.

يرى أن مصر في حاجة إلى تحقيق معدل نمو 7 بالمئة سنويا حتى يشعر المواطن بتحسن ملموس في معيشته، كما أن المعدلات التي تحققت خلال السنوات الماضية عند مستويات 3 بالمئة و4 بالمئة غير كافية لإحداث تحسن ملموس في حياة المواطنين.

يقول محيي الدين لـ"العرب"، إن مصر تحتاج إلى رفع معدل الادخار إلى حوالي 25 بالمئة لتحقيق معدلات النمو المستهدفة. فالمعدلات في آخر عامين تراوحت بين 5 بالمئة و6 بالمئة، وهي غير كافية لتعزيز النمو الاقتصادي.

ويشير إلى أن تجربة الصين وفيتنام كانت تعتمد على تمويل الاستثمار من خلال المدخرات المحلية وحققت نجاحا ملموسا.

وطرح خلال لقائنا معه في واشنطن، مفهوما جديدا على الحكومة المصرية، قائلا "على الحكومة أن تتجه إلى تكوين مدخرات"، وهو اتجاه غريب على مصر، حيث لا تدخر الحكومة أية أموال، وكان يقصد بذلك تدشين صناديق سيادية لأنها تعتبر نوعا من الادخار في أوعية مالية كبيرة.

توقع محيي الدين أن يشهد العالم أزمة مالية طاحنة تتجاوز أزمة عام 2008، نتيجة انفجار وشيك لفقاعة تداول العملات الافتراضية، ومن أشهرها عملة "بيتكوين"، حيث أخذت المضاربة عليها في التوسع بشكل مقلق للغاية، وسط إقبال كبير عليها من جانب شرائح مختلفة. وفي ظل صعوبة رقابتها وعدم اتجاه البنوك المركزية لإصدار عملات مثيلة تلبي طموحات فئات الشباب وتحت رقابتها لحماية المتعاملين في تلك السوق الرائجة، أخذت المخاطر في التوسع بصورة خطيرة.

وانضم بول كروغمان، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، حاله حال محيي الدين، إلى المتنبئين باقتراب الأسواق الناشئة من أزمة مالية جديدة، وقال إن "الوضع الحالي يشبه الأزمة المالية الآسيوية في تسعينات القرن الماضي"، فقد هبطت أسهم الدول النامية بنسبة 59 بالمئة وقامت الحكومات برفع أسعار الفائدة إلى مستويات مرتفعة للغاية.

وكتب كروغمان في تغريدة له مؤخرا، يقول "يمكن تصور حدوث مثل تلك الأزمة، حيث تهبط عملات الأسواق الناشئة، ما يزيد من ديون الشركات بشكل كبير، ويضغط على الاقتصاد ليتسبب في المزيد من الهبوط في العملات".

وشك حدوث أزمات اقتصادية تجتاح دول كثيرة من العالم، يمنح محيي الدين فرصة استدعائه إلى القاهرة على سبيل التشاور حاليا. وربما يكون الباب الذي يعود منه للاستقرار بمصر، في منصب رسمي أو غير رسمي. وفي الحالتين قد يكون شريكا في صناعة القرار الاقتصادي في الفترة المقبلة.

● محاضرة محيي الدين أمام غرفة التجارة الأميركية في الفترة الأخيرة يتحدث فيها عن رؤية البنك الدولي لاستراتيجية التنمية المستدامة 2030، ويطرح فكرة تأسيس صندوق سيادي مصري لإدارة الأصول.

● محيي الدين يشغل حاليا منصب نائب رئيس البنك الدولي، ويراقب منذ سنوات أحوال مصر الاقتصادية جيدا. واسمه بات يتصدر قائمة التكهنات لموقع رئيس مجلس الوزراء.

له خفة مستعارة من طائره

مجيد جمول
نحات بجوهر استفهامي كامن

فاروق يوسف

❏ منذ طفولته عرفت يداه طريقهما إلى الطين باعتباره موطن أسرار. كان يرى بعينيه أشكالا سيكون عليه أن يستخرجها من داخل قطع الطين ليتأكد من أنها كانت موجودة قبل أن تظهر.

لقد ارتبط النحت لديه بالخفة وهو ما جعله في ما بعد ينشد إلى عالم الإسباني تشيلدا. هناك سحر خفي في الأشكال النحتية دفعه إلى الارتباط بعالم تتنفس كائناته هواء حياة مجاورة.

> المرء يحتاج إلى وقت، يسمح له بإقامة علاقة مع أعمال مجيد جمول، بما يقود إلى جوهرها. فهي لا تصدم ولا تصرخ ولا تمارس تأثيرا بصريا مباشرا. تلك الأعمال تشبه صاحبها من جهة تواضعها الكريم. تلك فلسفته في الحياة والفن معا

ما بين طفولته في السويداء السورية وشبابه الذي انقضى في وارشو البولندية تقع سنوات من التأمل في معنى أن يكون المرء فنانا. وهو المعنى الذي حرص مجيد جمول أن يكسبه حياة، صارت بالنسبة له هي الحياة الحقيقية التي تستحق كل الشظف الذي عاشه من أجل أن يكون كائنا حرا يعبّر عن حريته بالنحت.

حين التقيته في الكويت شدني إليه هدوءه الاستفهامي. في منحوتاته شيء من ذلك الهدوء. لقد روى لي حكاية بحثه عن قبر أبيه الذي توفي شابا قبل عقود في الكويت ودفن هناك.

كان ذلك القبر لغز حياته. الأثر الروحي الذي عجز عن الوصول إليه. وفي الوقت نفسه كانت يده لا تزال تلمس قطع الآثار التي كان يعثر عليها طفلا في مدينته حالما في أن يكون صانعها.

بين دمشق ووارشو

لجمول شغف بفن الميدالية. هي نوع من النحت البارز اذي يخلد ذكرى من نوع خاص. وهي بالنسبة له فرصة للانتشار. غير أنها في الوقت نفسه تمثل تحديّا من نوع خاص لما يتطلبه إنجازها من بحث عن الخلاصات التي تنتج رموزا. ومن شغفه بفن الميدالية تعلم جمول أن يكون مقتضبا لا يسهب. جمله قصيرة. هناك فاصلة للتأمل تفصل بين جملة وأخرى. وهو مبدأه في النحت. حيث لا تتشابه أعماله كما لو أنها جزر متجاورة. تقود كل جزيرة إلى أخرى من غير أن تمهد لها.

ولد مجيد حسن جل في قرية ريمة حازم بالسويداء عام 1948. ما بين عامي 1964 و1968 درس الرسم والنحت في مركز أدهم إسماعيل للفنون التشكيلية بدمشق. عام 1969 بدأ دراسة النحت في أكاديمية الفنون الجميلة بوارشو. عاد إلى دمشق عام 1975 حاملا شهادة الماجستير التي أهّلته لتدريس مادة النحت في كلية الفنون الجميلة حتى عام 1981 ومن ثم انتقل إلى العمل مديرا لمركز أدهم إسماعيل ما بين عامي 1981 و1990. عام 1987 حاز على منحة للبحث العلمي من ألمانيا الاتحادية. بين عامي 1991 و1998 تبوأ منصب أمين سر نقابة الفنون الجميلة بسوريا. بعد عودته إلى بولندا أصبح رئيسا لجمعية النحت في فرع اتحاد التشكيليين البولنديين بوارشو.

أقام أول معرض شخصي لأعماله عام 1975 وذلك في نادي الصحافة والكتاب الدولي بوارشو. أما آخر معارضه الشخصية فقد أقامه عام 2013 في "تارا" بالدوحة. وما بين المعرضين كان له حضور لافت في المعارض الجماعية والمشتركة في سوريا وبولندا. كما شارك في عدد من ملتقيات النحت في (الصين، فرنسا، تركيا، دبي، تونس، إسبانيا، إيران وبلجيكا) وترك منحوتاته هناك. له أربع جداريات في دمشق.

الواضح والغامض معا

بالرغم من شغفه غير المحدود بالنحت الجداري وبصنع الميداليات فإن جمول أنتج الكثير من الأعمال النحتية والأنصاب المدورة. وقد تكون منحوتاته المدورة من وجهة نظري أكثر رقة وشاعرية من جداریاته التي تغلب عليها المباشرة وتعمد الوضوح، بسبب ارتباطها بمناسبات رمزية عامة في حين تماهت منحوتاته المدورة مع نزعته الأسلوبية بما انطوت عليه تلك النزعة من غموض جمالي.

عرف جمول متى يكون غامضا وكيف يكون واضحا. سره في ذلك يكمن في الحرفة. كأي نحات حقيقي يقضي جمول الجزء الأكبر من وقته صانعا ينفذ أوامر الفنان الخلاق الذي يقيم في أعماقه. يغلق ذلك الفنان عينيه على أحلامه مطمئنا فيما يظل الصانع يقظا يعمل. جمول وهو نحات حقيقي يعرف كيف يوزع الأدوار بين الفنان والصانع.

ليس جمول نحات حكايات. وهو ما يظهر جليا في منحوتاته المدورة. ذلك لأن الحكاية تكون ضرورية بالنسبة للمنحوتات ذات الصلة بوقائع وشخصيات تاريخية عامة. وهو ما حاول النحات التقليل من أضراره من خلال لجوئه إلى الخلاصات التي تهب المنحوتة أو النصب طابعا رمزيا.

لا تخطئ العين طريقها إلى مرجعية تلك الخفة التي تتميز بها منحوتات جمول المدورة. النحات نفسه لم يخف ذلك بل أظهره بقدر لافت من الثقة حين جعل من "الطائر" ملهما للأشكال التي يبتكرها. ففي معظم تلك أعماله النحتية هناك حضور لطائر، ظاهر أو خفي. ظهور ذلك الطائر بجناحيه أو من خلال إيقاعه لا يقلل من قوة الإحساس بقوة حضوره. وهو ما يضعنا وجها لوجه أمام عمق وأصالة العلاقة التي يقيمها جمول مع طائر النحات الروماني كونستانتين برانكوزي (1876 ـ 1957) الشهير. لا تقع تلك العلاقة على سبيل الاستعارة، بقدر ما يستحضر النحات السوري روح المنحوتة التي صارت جزءا ملهما من تاريخ الفن في القرن العشرين.

حرر طائر برانكوزي جمول من الحاجة إلى الحكايات. وهو ما قربه من خلاصه فنانا لم تغره المحلية بمعالجاتها الجمالية الجاهزة فاتحا ذراعيه لهواء العالم. هناك حيث انتقل النحت من الوصف التوضيحي إلى الجمال المجرد من المنفعة المعرفية المباشرة.

حين كنت أنظر إلى عيني جمول كنت أرى طائره الحر يجول في فضاء استفهامي. لدى هذا النحات الكثير من الأسئلة التي تتعلق بحميمية الصلة بالأشياء من حولنا، وهو ما لا يدركه الوصف.

في لقائنا الذي امتد لأيام حاولت أن أحاوره غير مرة غير أن النتيجة لم تكن مشجعة. كان هناك شيء كامن فيه لا يمكن استخراجه وهو ما يمكن أن يهتدي إليه المرء حين يرى عددا من أعماله. حرص ذات مرة على أن يرتدي معطفا بالرغم من أن الطقس لم يكن باردا. "تلك عادته في التخفي" قلت لنفسي. ذلك ما قادني إلى التعرف على سلوكه الفني الذي يستند أساسا إلى التفكير في الجوهر لا في المظهر. وهو ما يجعله كائنا عازفا عن الاستعراض. ذلك ما يطبع أعماله بشيء من السرية على مستوى المعنى.

يحتاج المرء إلى وقت، يسمح له بإقامة علاقة مع تلك الأعمال، بما يقود إلى جوهرها. فهي لا تصدم ولا تصرخ ولا تمارس تأثيرا بصريا مباشرا. تلك الأعمال تشبه صاحبها من جهة تواضعها الكريم. تلك فلسفته في الحياة والفن معا.

لا يشكل فن مجيد جمول نوعا من الحل الجمالي المحلي. لقد فعل الرجل حسنا حين اختار العودة إلى بولندا والاستقرار فيها. لقد وهبته حياته البديلة معنى أن يكون فنانا. هو اليوم يفعل ما يراه مناسبا له ولفنه.

صحيح أن جمول لا يميل كثيرا إلى التجريد، غير أنه بالرغم من تمكنه الأكاديمي لا يميل إلى أن يكون واقعيا. تكشف تجربة جمول أن هناك الكثير من الخيارات الأسلوبية تقف بين الأسلوبين التجريدي والواقعي. ولقد اختار الفنان عن وعي أن يقيم في تلك المسافة الحرة التي صار يلتقي فيها كائناته ويتلقى إلهامه من عثراته في محاولته التناغم مع أسئلتها الوجودية.

مجيد جمول نحات استفهامي وهي صفة تقود إلى جوهره.

معوقات استنهاض العقل

الفلسفة ضمن سياقها الثقافي العربي

محسن بن الحطات التومي
كاتب من تونس

❏ أيّ منزلة للفلسفة ضمن السياق الثقافي العربي؟ كيف نفهم العوائق الثقافية المعطّلة لتدريسها بالمعاهد الثانوية والجامعات؟ وأي دور للتفاعل بين المكوّنات الوجدانية والمكوّنات المعرفية داخل هذه العوائق الثقافية؟

يبدو أنّ المشكلة ليست في الفلسفة ذاتها بقدر ما هي في السياق وفي الوسائط. فالنصوص التأسيسيّة لهذه الثقافة العربية تنخرط بشكل واضح في تثمين العقل والنظر والتأمل والاعتبار...إلخ، ولكنّ الممارسات التطبيقية تكشف عن الكثير من الخشية والتظنّن والاحتراس في التعامل مع الفلسفة والتفلسف والفلاسفة، يعود أساسا إلى توتر تاريخي في العلاقة بين العقل والنقل وبين الحكمة والشريعة وبين الفلسفة والدين.

قد لا يعود التوتر الذي نشير إليه إلى أسباب معرفية أو بيداغوجية محض، بل يمكن إرجاعه إلى دوافع وجدانية نفسية. ففي ضوء مجلوبات العلوم المعرفائية (Cognitive Sciences)، لم يعد من الممكن تناسي الدور المحوري الذي تضطلع به الجوانب الوجدانية في أنشطتنا المعرفية وعملياتنا الذهنية تعطيلا ودفعا، تيسيرا ومنعا.

لبلورة هذه المفارقة وللسيطرة عليها فهما وتفسيرا، تحليلا وتأويلا، وبناء على مقاربة مركبة متعدّدة المناهج والمرجعيات، يمكن لمفهوم "المعطّلات الثقافية" بما يقوم عليه من تفاعل جدلي مركب بين البنى الثقافية العميقة واللاوعي الجمعي والذاكرة الوجدانية، أن يكون عمّالا وإجرائيا.

يندرج مفهوم "المعطلات الثقافية" ضمن الدراسات الثقافية التي تهتم بتشخيص المشكلات الذهنية والثقافية التي تحول دون تحديث وتطوير المجتمع على الوجه المطلوب كالحال مثلا في تعليم الفكر العقلاني والفلسفة ونشرهما.

> يبدو أن المشكلة ليست في الفلسفة ذاتها بقدر ما هي في السياق وفي الوسائط. فالنصوص التأسيسية لهذه الثقافة العربية تنخرط بشكل واضح في تثمين العقل والنظر والتأمل والاعتبار

إن تطبيق مفهوم "العائق الثقافي" على تدريس مادة الفلسفة بالمعاهد الثانوية والجامعات العربية تطبيقا مجهريا ميكروثقافيا يمكننا من تناول آليات اشتغال هذا العائق في شكل تصورات ثقافيّة تتفاعل في مستواها المكونات المعرفيّة مع المكوّنات الوجدانيّة والعاطفيّة. وهذا بدوره يكشف لنا أن الصعوبات التي يعاني منها درس الفلسفة لا تعود إلى أسباب مؤسساتية أو ديداكتيكيّة فحسب بل كذلك إلى أسباب ثقافيّة لأن هذا التدريس لا يتم ضمن فراغ أيديولوجي تام بل ظل دائما في علاقة بالسياق الثقافي العام. فاتجاه التلميذ نحو مادة الفلسفة متأثر لامحالة بالتصورات الاجتماعية السائدة حولها. وهذه التصورات تتأثر بدورها بالسياق الثقافي المهيمن. لذلك نعتقد أن لمفهوم "العائق الثقافي" قدرة إجرائية على تفسير جانب هامّ من هذه الاتجاهات السّلبيّة تجاه الفلسفة. وأنّ هذه العوائق الثقافية إنما تؤثّر في درس الفلسفة بتوسط المعاني والدلالات التي يعطيها الفاعل التربوي لها وللوضعية. فالعوائق الثقافية نظام مركب من المكونات المعرفية والوجدانية، تمارس تأثيرها السلبي على الأذهان والأفعال وفقا لمنطق وقواعد وآليات وديناميات محدّدة. ويتجلى ذلك خاصة من خلال التمثّلات والتصوّرات والاتجاهات والميول والآراء والاعتقادات الضمنية والأحكام المسبقة. فالعائق الثقافي يمارس تأثيره في ممارسات المتعلمين وبناهم التمثلية انطلاقا من تفاعل ديناميكي بين مكوّناته المعرفيّة والوجدانيّة.

تكشف هذه التمثّلات الاجتماعية السائدة حول الفلسفة والفلاسفة والتفلسف عن جملة من الاتّجاهات والمواقف السّلبيّة بما يجعل منها ضربا من العوائق الثّقافيّة المعرفيّة والوجدانيّة المعطّلة لتعليمها. إذن، فالأمر لا يتعلّق بالفلسفة في حدّ ذاتها بقدر ما يتعلّق بالمعاني والدلالات والصور التّي نبنيها نحن حولها وذلك بحسب ما تقتضيه السياقات الثقافية الاجتماعية. فلكل ثقافة نماذجها الأصلية وأركيبياتها التأسيسية ذات العلاقة الوثيقة بـ"الشخصية الأساسية" أو "الشخصية القاعدية" و"الأطر الثقافية" أو "الأنماط الثقافية". في هذا السياق، ضمن السياق الثقافي العربي، علينا الإقرار بوجود صعوبة حقيقية في ضبط وتحديد مضمون الأطر الثقافية المرجعية العامة المحددة للممارسة التربوية ككل ولمادّة الفلسفة على وجه الخصوص. وبالتالي نتساءل: من أين نبدأ؟ من الأطر الثقافية القائمة أم من الأطر التأسيسية القابعة في أعماق لاوعينا الجمعي؟ وهذه الأطر المرجعية، هل بقيت هي هي دون أن تتغيّر؟ وإن تغيّرت فما هو مسار تغيّرها وتطوّرها؟

في هذا الإطار يمكن أن نعتبر اللحظة الكندية (نسبة إلى أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (185هـ/805–256هـ/873)) لحظة تأسيسية حاسمة مازالت تلقي بظلالها إلى اليوم. لقد اقترنت الفلسفة لحظتها بمعان سلبية خاصة لجهة مصدرها المتوجّس منه والمعتبر دخيلا على الملة وربّما مناقضا لكتابها المقدّس. فالخوف من الكفر والتكفير ظلّا هاجسين حاضرين على الدّوام. إنّه الخطّ الذّي لا يمكن تجاوزه وإلا كانت العواقب وخيمة. إنّ الانهمام بالفلسفة والاشتغال بها داخل السياق العربي ظلا متاخمين للحدائق المحرّمة على الوعي ومقترنين بالتّخوم الخطرة ومحكومين بعقدة الشّرعيّة والمشروعيّة.

فمفهوم الذاكرة يعني في ذات الوقت: الحافظة والذكريات المحفوظة، أي الآليّة والمضمون. وهو من وجهة نظر العلوم المعرفائية، نظام لمعالجة المعلومات قائم على الترميز والاحتفاظ والتذكر. حريّ بنا هنا التمييز بين المعنى الاجتماعيّ والأنثروبولوجي للذاكرة من جهة، والمعنى النفسي والمعرفائي لها من جهة ثانية. أمّا من جهة الأنثروبولوجيا، فإن هولباك (1925 و1950) يرى أنّ الذاكرة الجماعية هي أحد الأبعاد الأربعة المشكّلة للهوية الجماعية. وأن وحدة الجماعة وانسجامها يستمدان من تشاركها وتقاسمها لنفس الذاكرة. فالذاكرة أداة لتوحيد الجماعة وتشكيل هويتها. إلا أن المعنى الثقافي للذاكرة في حاجة إلى المراجعة والتوسيع خاصة في ضوء نتائج العلوم المعرفائية الأخيرة لجهة تأكيدها على أهمية المكونات الوجدانية في تشكّل واشتغال الذاكرة وتأثيرها على التفكير والسلوك.

وإجمالا يمكن أن نسجل جملة من التحولات النظرية التي شهدها مفهوم الذاكرة. فهي ما انفكت تتّسع لتشمل الفيزيولوجي ثم الفردي، ثم الجماعي، وصولا إلى الوجداني والانفعالي. كانت الذاكرة تعتبر آلية فردية لاستعادة الماضي. ثمّ تبيّن انغراسها ضمن السياقات الجماعية والثقافية العامة، ثم أخيرا تم التفطن إلى مكوناتها الوجدانية وأصبح البعض يتحدث عن "ذاكرة انفعالية" (لودو 1996، جولمان 2000، طه 2006). ولا نعني بالذاكرة الانفعالية هنا مجرد حالات وجدانية اقترنت بمواقف ماضية مصحوبة بانفعالات إيجابية أو سلبية مثل الشعور بالحزن أو الخوف إزاء مثير معين يذكرنا بخبر مؤلم من الماضي، وإنما الذاكرة الانفعالية أو الوجدانية كما نتصورها ضمن هذا السياق الإشكالي، لا تتعلق بما ترسّب في الذاكرة الفردية والجماعية من مضامين ومعان سلبية تجاه الفلسفة والفلاسفة والتفلسف فحسب، وإنما تتعلّق خاصة بالآليات وبالديناميات المنتجة لذلك. أي كيف يساهم السياق الوجداني والمناخ الانفعالي السلبي في تثبيت الصور والاتجاهات المعادية أو المعطلة لتدريس الفلسفة. علينا أن نذكّر هنا مرة أخرى بما للتفاعل المعرفي- الوجداني من أهمية قصوى في اشتغال العوائق الثقافية.

فكأنما الوجدان والعاطفة اليوم يثأران لهذا الاستبعاد. أي أنّ الفلسفة لم تأت من قبل العقل والبرهان (فمعاركها في هذا المجال كانت تكسبها في أغلب الحالات)، بقدر ما وقع النيل منها من قبل العاطفة والوجدان والانطباع والانفعال. فنحن نعتقد أن المعوقات الأساسية اليوم، تستمد قوتها من الوجدان لا من البرهان. فالجميع يتشبّث بالعقل والبرهان ولا يستطيع ردّهما. ومشكلة الفلسفة ليست الاقتناع البرهاني بقدر ما هي الإقناع الوجداني. ولا يمكن أن يفلح البرهان إذا عطله الوجدان ولم يساوقه ويؤيده.

فإذا كانت العواطف (الفرح والخوف والدهشة والحزن والاشمئزاز) تتولّد من مسارات آلية بيولوجية، فإن المشاعر والأحاسيس ترتبط بالبيئة والثقافة والظروف التي يعيشها الفرد مثل القلق والإحباط والتفاؤل والتشاؤم (ريان 2004). إذن لا يمكن أن نختزل الحالة الوجدانية في شحنتها البيولوجية بل لها امتداداتها الثقافية والتاريخية. وهذا بالضبط ما يبرّر ربطها بالتمثلات الاجتماعية والذاكرة الوجدانية والعوائق الثقافية. إضافة إلى أساسها البيولوجي والغريزي إذن، افترضنا أن العواطف والانفعالات تبنى اجتماعيا. فهي شأن ثقافي وليست فقط شأن الطبيعة والغرائز. ومادامت شأنا ثقافيا مكتسبا فهي قابلة للتغير والتحوّل ضرورة. أي ليس ثمة كرها سرمديا تجاه الفلسفة ولا حبّا مطلقا لها. إنما السياق الثقافي بمعناه العام هو الذي يدفعنا إلى بناء هذا الاتجاه أو ذاك. وبالتالي ليس ثمة حضارة تنفرد بامتلاك حق التفلسف دون غيرها.

لا شك أن ما يحدد السلوك الإنساني من اختيارات واتجاهات وقرارات ومواقف تجاه مشاريع العقلنة والتحديث والنهوض...إلخ، ليس الواقع الموضوعي المباشر وإنما ما نبنيه حوله من معان وتمثلات وتأويلات وما استقر فينا من حالات وجدانية في شأنه. فليست الأشياء ما هي عليه في حد ذاتها، وإنما ما تبدو عليه بالنسبة إلينا.

لوحة عدنان حميدة

لوحة إدوارد شهدة

غموض في جائزة «الإبداع العراقي»

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ نتيجة لموجة التردي والمحسوبية وعدم النزاهة السياسية والفساد التي تعم البلاد في العراق، فقد انسحبت تلك السلوكيات على كافة النشاطات والفعاليات الثقافية التي تجري في العراق، وآخرها ما يسمى بـ"جائزة الإبداع العراقي" التي أعلنت نتائجها قبل أيّام، والتي تثير الكثير من الجدل والاستهجان سنويّا.

وبالإضافة إلى عدم وضوح المعايير التي تنظم وفقها تلك الجائزة وغموض آلية عملها وطبيعة الترشيحات لها، رافقت جائزة هذا العام ظاهرة مثيرة للاستغراب تمثلت في عدم إعلان طبيعة اللجان التحكيمية وأسماء المحكّمين، كما جرت العادة في مثل هذه الجوائز التي تعتمد المهنية والحيادية والنزاهة، وبدل أن يجري تقديم أعضاء اللجان التحكيمية وتعريف الجمهور بهم وبجهدهم ومعاييرهم التي اعتمدوها في عملهم وقراءة تقريرهم التقييمي النهائي للأعمال المشاركة، جرى التعتيم على تلك اللجان من قبل اللجنة المنظمة ولم يجر التطرق إلى أسماء المحكمين.

ولعل الظاهرة الأبرز في جوائز هذا العام هي رفع قيمتها المالية إلى عشرة ملايين دينار عراقي لكل فئة -ما يعادل 7500 دولار- بدل خمسة ملايين في الدورات السابقة، وهو الأمر الذي زاد من حدّة التدخل والسعي المحموم من قبل البعض للفوز بمغانمها المالية بغض النظر عن القيمة الفنية للأعمال الفائزة. وعلى الرغم من أن فوز بعض العناوين الإبداعية في بعض الفئات جاء مستحقا إلى حد ما، إلا أن الغموض ظل يكتنف عمل اللجان التي خلا أي تقرير من الإشارة إليها.

الأمر الذي يضع وزارة الثقافة العراقية ودوائرها المعنية في موضع المساءلة والمطالبة بتوضيح الأسباب التي أدت إلى مثل هذا الخلل الكبير المتمثل بحجب أسماء الأعضاء في لجان التحكيم وعدم نشر تقاريرهم الفنية ليطلع عليها جمهور المثقفين والصحافة ووسائل الإعلام وبيان آرائهم التي أدت إلى منح الجوائز لبعض الأعمال دون غيرها ومواطن تميز هذه الأعمال، كي تدفع الوزارة عنها التهم الموجهة إليها، لا سيّما وأن الكثير من المسؤولين في الوزارة يتحلون بالنزاهة الإدارية ولا يخضعون للابتزاز والتوصيات المريبة، على الرغم من عدم اختصاصهم في المجال الإبداعي، ولعل اعتماد لجان تحكيمية متخصصة واحترافية ونزيهة في هذه الحال، هو الإجراء السليم الذي من شأنه أن يجنبهم النقد، لذا فإن هؤلاء مطالبون بتوضيح أسباب عدم إعلان أسماء الأعضاء في لجان التحكيم وعدم قراءة التقارير الفنية الخاصة بهم والتي قاموا بموجبها بتحديد الفائزين ومنحهم الجوائز.

لقد انتشرت في السنوات الأخيرة دعوات متزايدة للابتعاد عن تلك الجائزة وتجاهلها وإشاعة اليأس من نزاهتها ونشر تهم الفساد والمحسوبية في شأنها، انطلاقا من حالة الفساد الشاملة المنتشرة في البلاد وعدم ضمان النزاهة والحيادية والمهنية المطلوبة، ويستند مطلقو هذه الدعوات إلى حالة فقدان المعيارية التامّة في البلاد، وبالتالي في الحياة الثقافية والنشاطات التي تُنظم باسمها، وما زال مثال الفساد المهول الذي حصل ضمن فعالية بغداد عاصمة الثقافة شاخصا في الأذهان حين بُددت المبالغ الضخمة التي تجاوزت مئات الملايين من الدولارات على الكثير من المشاريع الوهمية التي لم يسمع بها أحد لاحقا، كما أسست تلك الحالة غير المسبوقة لآلية مختلة في عمل الحياة الثقافية، ما زالت تبعاتها تتواصل حتى يومنا هذا، وبالعودة إلى جائزة الـ"الإبداع العراقي" فإن مبررات تأسيسها وحملها اسم الإبداع العراقي والثقافة العراقية، يضعها أمام مسؤولية وطنية وأخلاقية كبرى، طالما أن الأمر يتعلق باسم العراق والثقافة العراقية أولا وقبل كل شيء، وعلى المثقفين العراقيين عدم السماح لأيّ جهة كانت استغلال مثل هذه المسميات، ما لم تكن قادرة على تنفيذها بالطريقة اللائقة وبمقدار مناسب من المهنية.

مسافة بين كتابين

الخيال في مكايدات مهنية ومعارك سياسية

سعد القرش
كاتب من مصر

قاهرة الثلاثينات عرفت حكايات لا تنتهي عن شرور التنافس السياسي والفني والمهني لأبطال ذلك الزمان

❏ في البدء كان الشر، مع بلوغ أول أخوين مبلغ الرجال، قبل تفكير الحاقد في عاقبة الشر وآثاره، هكذا قتل قابيل أخاه الطيب قبل أن يتدبر كيف يواري جثته، ثم أخذ الحكمة من غراب. لم نعرف مصير قابيل، وهل كانت له ذرية؟ ذلك سؤال أهملته الحكاية، ولن نخطئ رؤية خلفه، أجيال وراء أجيال لا تتورع عن ارتكاب الشرور، بل إن بعضهم يتفننون في «الشر للشر»، حسدا من عند أنفسهم، ولو لم يستفيدوا منه، وربما من غير أن يباهوا بمواهبهم الشريرة.

في التنافس المهني تكمن أحقاد خفية ومعلنة، ضعف بشري لا يستثني مهنة، بما في ذلك تلاوة القرآن الكريم. يروي الشيخ مصطفى إسماعيل أن القصر الملكي العراقي دعاه هو والشيخ أبو العينين شعيشع، لإحياء ليالي العزاء في وفاة الملكة عالية. وتعمد أحدهم إخفاء الدعوة، واتصل بالشيخ عبدالفتاح الشعشاعي الذي سافر بصحبة الشيخ شعيشع. يذكر كمال النجمي في كتابه «الشيخ مصطفى إسماعيل.. حياته في ظل القرآن» أن الرجل اكتشف المكايدة بعد عودة زميليه من بغداد، منشورة في مجلة «الإذاعة»، ولم يعلق بشيء.

لا يملك الإنسان المتحقق إلا التعفف، والإعراض عن الجاهلين؛ فالحياة قصيرة، وطاقة البشر محدودة، وليس من الحكمة إهدارها في سخافات. وكان الشيخ مصطفى إسماعيل مترفعا، وربما معتادا على استهدافه بسبب شهرته ومحبة الناس له، ولا ينسى أنه كان يقرأ في سرادق بحي شعبي في القاهرة، «وكان أحد المشايخ ذوي الشهرة قد اتفق مع مجموعة من مريديه الأقوياء على أن يأتوا من خلف السرادق فجأة، ويوقعوا الشيخ مصطفى من فوق الدكة وهو مندمج في القراءة لا يشعر بهم!». علامة التعجب وضعها كمال النجمي الذي نقل عن الشيخ قوله، باطمئنان المؤمن، إن صديقا علم بما يدبره الشيخ الآخر، فسارع إلى دعوة أصحابه إلى حراسة السرادق، وحماية الشيخ مصطفى، «ولم يجرؤ مريدو الشيخ المشهور على تنفيذ ما أمرهم به».

في التناوش السياسي المصري وقائع قريبة العهد، وبعضها ذو طابع فكاهي. عبدالحليم قنديل كان ضحية لإحداها، ردا على انتقاداته الدائمة لمشروع توريث حكم مصر لجمال مبارك. في 8 يونيو 2003 تساءل في صحيفة «العربي الناصري»: «من هو العبقري المسؤول عن تعليق أول ملصق مبايعة لجمال مبارك رئيسا لمصر؟!»، ثم تساءل: «ما هو الوضع الدستوري لأدوار حرم الرئيس مبارك؟!»، فتعرض لنوع مبتكر من التحرش السياسي، بقيام مجهولين بخطفه. كنا في رمضان ولم تقيد الملائكة أولئك الشياطين بالسلاسل، واقتادوه إلى جبل المقطم، وسطوا على تليفونه، ونزعوا ثيابه واختفوا. ومشى عاريا لا يعرف مكانه، ولا إلى أين يمضي؟ ثم رآه جندي عابر، فانزعج من الرجل العاري الخارج من ليل الصحراء، وطمأنه قنديل، ومنحه الجندي ثيابا رجع بها إلى البيت.

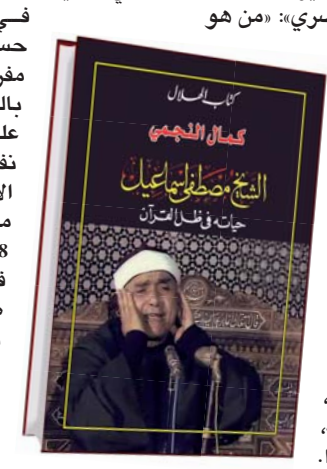

صلابة الواجهة الخادعة للبناء الاستبدادي تخفي هشاشة لا تحتمل عقد ندوة ثقافية أو نشر كتاب. لم يندهش الدكتور عبدالوهاب المسيري المنسق العام للحركة المصرية من أجل التغيير (كفاية) من إلغاء ندوة عنوانها «النكتة السياسية»، في ساقية الصاوي بالقاهرة، قبيل موعدها.

في تلك الأيام عانى نظام حسني مبارك حساسية مفرطة، وهو لا يخطئ الشعور بالخشبة في عينيه، ولا يقوى على نزعها. وبدلا من مواجهة نفسه بحقيقة انتهاء عمره الافتراضي، واصل صنوفا من البطش الناعم، ففي يناير 2008 قاد المسيري مظاهرة، فدفعوه مع كثيرين إلى صندوق سيارة مصفحة، ثم تركوهم في الصحراء.

في كتابه «مذكرات في السياسة المصرية» يسجل الدكتور محمد حسين هيكل وقائع «سياسية» تدرج في باب المسخرة، ورغم شحنة الضحك فهي تؤكد قصور الخيال السياسي طوال نحو تسعين عاما، فنحن الآن في عام 1930، وقد عين «عدو الشعب» إسماعيل صدقي رئيسا للوزراء،

> في التنافس المهني تكمن أحقاد خفية ومعلنة، ضعف بشري لا يستثني مهنة، بما في ذلك تلاوة القرآن الكريم

وبادر بإلغاء دستور الشعب، واستبدل به «دستور الملك»، وعادى الجماعة الوطنية، ولم يسلم من عداوته رفاقه السابقون في حزب «الأحرار الدستوريين»، وصادر الحريات وأغلق الصحف، ولم تكن صحيفة «السياسة» لسان حال حزبه القديم استثناء فقرر تعطيلها. واتفق الحزب مع جاد بطرس جاد صاحب صحيفة «الفلاح المصري» على صدور الصحيفة متضمنة «المقالات بأسمائنا»، وانتبه إسماعيل صدقي لهذه الحيلة، وعطل «الفلاح المصري». وأصدر الحزب صحيفة ثالثة عنوانها «الأحرار الدستوريون» فمنعها أيضا.

تعطيل الصحف إجراء استبدادي يفهم في ضوء تعقيدات إدارية تُستدعى من أضابير البيروقراطية ولا تستدعي الضحك. ولكن الدكتور هيكل يورد ما لم يرد بخيال المتنبي القائل «وكم ذا بمصر من المضحكات، ولكنه ضحك كالبكا». ليس من المضحكات أن يسعى رئيس حزب الأحرار الدستوريين محمد محمود إلى لعب دور المعارض الجسور عام 1930، وكان يؤدي بجدارة دور الدكتاتور عام 1928، ففي اليوم التالي لتعيينه رئيسا للوزراء، تعيين لا انتخاب بعد إقالة وزارة منتخبة رئيسها مصطفى النحاس، قرر محمد محمود ذو اليد الحديدية تأجيل انعقاد البرلمان لمدة شهر، وقبل نهاية الشهر استصدر أمرا ملكيا بحل البرلمان، وتعطيل الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

في عام 1930 حاولت القوى الوطنية التصدي لاستبداد صدقي «عدو الشعب»، بالالتحام بالقواعد الشعبية، عبر تنظيم جولات في الأقاليم بحضور شخصيات ذات ثقل رمزي ورؤساء أحزاب، لدعوة الجماهير إلى المقاطعة والمقاومة، وكانت مدينة طنطا إحدى المحطات، وتقرر السفر بالقطار، وفوجئوا بإغلاق المحطة، ومنعهم البوليس من الدخول، فدعا محمد محمود أنصاره إلى فتح الباب بالقوة، وتمكنت الكثرة من التغلب على قوات البوليس، واندفعوا إلى أماكنهم في القطار الذي تأخر نصف ساعة عن موعد التحرك. ثم وقعت مناورة أقرب إلى الاحتيال، بتقسيم أوصال القطار، ويقول هيكل في مذكراته «جرّت القاطرة العربات المتصلة بها قبل عربتنا، ثم جاءت قاطرة أخرى جرت عربتنا وحدها وانطلقت بنا إلى طريق غير طريق طنطا، ثم ألحقت قاطرة ثالثة العربات التي بعدنا بسائر العربات»، وفوجئ الزعماء بعربتهم في صحراء العباسية، ثم تحركت العربة إلى جنوبي الجيزة، وصاروا خارج القاهرة، وشعر الكثيرون بعدم الجدوى، «لكن محمد محمود باشا ومصطفى النحاس باشا أصرا على أن نبقى بالقطار لا نبرحه... وبقينا بالقطار حتى ولى النهار»، وقد جذب الحادث انتباه الجماهير والصحف التي كتبت عن خطورة ما جرى.

لم يتطور الخيال كثيرا، باستثناء مناورات اللجان الإلكترونية.

رف الكتب

آكلو لحوم البشر في المخيال الغربي

❏"في طعم الآخر" كتاب لعالم الأنثروبولوجيا التونسي المقيم في سويسرا منذر كيلاني، يصف فيه افتتان الغرب بما روجه عقب الاكتشافات الكبرى عن وجود شعوب تأكل لحوم البشر، وما تلاه من خلط بين البيئة الثقافية والطقوس الشعائرية وبين الولائم البشرية لـ "همج" بحار الجنوب والمآتم الجنائزية، حيث يعتبر بطنُ الخَلف أفضل قبر للسلف، فضلا عن تلذذ القتلة المدمنين أجساد ضحاياهم. والمقاربة هنا تغذي تقليدا أسطوريا مديدا عن سوء فهم ثقافي طبع التقاء الغربيين بالشعوب النائية، سوء فهم يعوزه البعدان الرمزي والاستعاري لظاهرة رَائلة لا يمكن تناول حقيقتها إلا من جهة الخيال. يستند الكتاب إلى الإنتاج الأدبي والعلمي والفني الذي يعبر فيه أصحابه عن خوفهم من أن يؤكلوا بدورهم، أو هم يتقمصون دور الآكل، وفي ذلك علامة على اتساع الحقول الدلالية لأكل لحوم البشر، حيث الحب والكراهية، الرغبة والنبذ، الهوية والغيرية، النظام والفوضى، التحالف والنفوذ، والاستقلالية والعبودية.

أفلاطون بيننا

❏ "هب أن أفلاطون يعود" كتاب طريف للفيلسوف روجي بول دروا، يتخيل فيه أفلاطون وهو يلاحظ هواتفنا الجوالة، ويلتقي بالمغتربين، ويكتشف العلميات الإرهابية، ويرقب المسؤولين السياسيين. بل إنه يجعله يقابل بطل الجيدو تيدي رينر، ومغني الروك بوب ديلان، ويرافقه إلى مطاعم ماكدونالد، ومركز البحث عن الشغل، ويحثه على مشاهدة "بيت من ورق" والاستماع إلى ماكرون وترامب. لمجرد التسلية، كلا، لأن جولة مؤسس الفلسفة في عالمنا المعاصر تسمح بتبين أهم ملامح فكره، بوضع الفوارق بينه وبين عالمنا اليوم، لمعرفة ما يمكن إدراكه بيسر، وما يتعذر عليه فهمه. والنتيجة أن تلك الجولة تبين جوهر ما يقوله لنا أفلاطون، وما لا نستطيع رؤيته من دونه. وقد صيغ الكتاب في شكل دفاتر يومية، بلغة مبسطة تجمع بين الترفيه والتأمل، وغاية مؤلفه التفكير في استعمالات الفلسفة، وزوايا الظل فيها، وطرقها المسدودة، مع التركيز على ضروريتها وفوائدها.

لاجئون في قلب المدينة

❏ في كتاب "المهاجرون أسفل العمارة" تتوقف إيزابيل كوتان، عالمة الاجتماع المتخصصة في الأحياء الشعبية، عند اللحظة التي اجتاحت فيها مجموعة من المهاجرين معهدا مهجورا في الدائرة التاسعة عشرة بباريس عام 2015، بلغ عددهم نحو ألف ونصف، حولوا ساحة الأفراح إلى مخيم تتكدس فيه النفايات ويعم الصخب والعنف والفوضى، ما أزعج السكان، فلم يترددوا في المطالبة بإزالته. تتحدث الكاتبة عن التمزق الذي شملها هي، مثلما شمل غيرها، بين الرغبة في مساعدة بشر فقدوا كل شيء، وبين محاولة فهم الظاهرة، التي جاءتها حتى مسكنها. وهي إذ تحاول تفسير غضب الأهالي، ترى في تلك الظاهرة مخبرا لما واجه المجتمعات الأوروبية: كيف نستقبل؟ في أي ظروف يمكن للأحياء الشعبية أن تواصل ضمان الإدماج الذي اعتادت عليه؟ في الوقت الذي تتباهى فيه باريس ولندن ونيويورك بكونها مدنا للعالم، ومدنا ملاذا، هل يمكن النظر إلى قضية اللاجئين بمعزل عن قضايا الأحياء الشعبية؟

هل هي أعظم كاتبة مجهولة

أولغا توكارتشوك الحائزة على المان بوكر وشعرية الرواية

تحسين الخطيب
كاتب من الأردن

❑ على الرغم من وجود ترجمة إنكليزية لروايتين سابقتين لها، "منزل النهار، منزل الليل" (2002)؛ "أزمنة بدائيّة وأوقات أُخَر" (2010)، لم تحظ أولغا توكارتشوك، الشاعرة والروائيّة التي طار صيتها في موطنها بولندا، والتي سبق لها أن ترشحت لجائزة نوبل للأدب في العام 2012، باهتمام القارئ الإنكليزي إلّا بعد أن أدرجت روايتها السادسة "رحلات" ضمن القائمة القصيرة لجائزة المان بوكر العالمية لهذا العام.

وها هي بعد نحو أكثر من شهر على إعلان الترشيحات النهائيّة تفوز بالجائزة المرموقة عن جدارة واستحقاق؛ فشعريّة السرد الشذريّ الطاغية في هذا العمل "غير التقليديّ" كفيلة بتبديد أيّ ريبة أو شك حول هاته المسألة.

ولا أجدر من الإشارة، في هذا المقام، إلى أن مجلة "ذا بوك سيلر" العريقة، المتخصصة بكل ما يتصل بصنعة الكتاب منذ العام 1858 قد خاطبت الجمهور البريطانيّ حين كانت روايتها، هذه، على وشك أن تصدر بالإنكليزيّة سنة 2017، قائلة "قد تكون 'توكارتشوك' أعظم كاتبة حيّة لم نسمع بها من قبل"؛ فيما قالت الروائيّة ليزا أبيغنانيسي، رئيسة لجنة تحكيم الجائزة لهذا العام، إنّ توكارتشوك "تحلّق بنا عبر مجرّة من الرحيلات والحضورات، الحكايا والاستطرادات، تستبطن طيلة الوقت مسائل لصيقة بالمأزق الإنسانيّ المعاصر".

اختيرت الرواية من بين ستة أعمال ضمتها القائمة القصيرة، على رأسها رواية "فرانكشتاين في بغداد" للعراقي أحمد سعدواي. ولم يكن الاختيار سهلا، بحسب أبيغنانيسي، خاصّة وأنّ أسماء من العيار الثقيل كانت حاضرة بقوّة كالكورية الشمالية هان كانغ والهنغاريّ لاسلو كراسناهوركاي اللذان سبق لهما الفوز بالجائزة من قبل، والإسباني أنطونيو مونيوث مولينا، الحائز على جائزة أمير أستورياس في الأدب للعام 2013.

وبالرغم من أنّ عنوان الرواية، في النسخة الإنكليزيّة، ليس ترجمة للعنوان الأصلي، وعلى الرغم من أنّ مترجمي العمل إلى اللغات الأخرى كالهنغارية والروسية على سبيل المثال، قد حافظوا على العنوان الأصليّ كما هو، دون تغيير، إلّا أنّ العنوان الإنكليزيّ، الذي اختارته المترجمة الأميركية جينفر كروفت، لم يبتعد عن "جوهر" ما يكتنفه المعنى الثاوي في الأصل. ونشرت الرواية باللغة البولنديّة سنة 2007 تحت عنوان "Bieguni"؛ وهي لفظة تطلق على طائفة سلافيّة غامضة، دائمة الترحال، تعتاش على صدقات الآخرين، وبذلك يكون المعنى أقرب، في العربية، إلى "الدراويش" السّائحين في أرض الله. فازت الرواية، في السنة اللاحقة، بجائزة "نايكي الأدبيّة"، التي تُعدّ بمثابة "البوكر" البولنديّة.

تنهمك الرواية عبر شذراتها المترابطة في "المشاغل الوجوديّة.. للجسد الفاني"، بحسب الشاعرة والروائية البلغاريّة كاپكا كاسابوڤا في مراجعتها المنشورة بصحيفة الغارديان، في منتصف العام 2017. "إنّها رواية حدوس بقدر ما هي رواية أفكار، تنافر أصوات وحكايات تبدو للناظر بأنّها غير مترابطة عبر الزمان والمكان، ولكنها تتعرّج بين البليغ والظريف، والمبهم والعاديّ، فتظل مدوّنتها الحقّة ذات غموض مجيد".

وبهذا الفوز تكون توكارتشوك أول كاتبة بولنديّة تحصد هذه الجائزة العريقة التي تمنح، منذ تأسيسها في 2004، لأفضل كتاب قَصصيّ ينشر مترجمًا بالإنكليزيّة. ستتقاسم توكارتشوك قيمة الجائزة، البالغة خمسون ألف جنية إسترليني مع مترجمتها جينڤر كروفت

أولغا توكارتشوك.. رشحت إلى نوبل والعالم يكتشفها مع المان بوكر

التي درست الترجمة الأدبية في جامعة أيوا الأميركية، وتترجم عن الإسبانية والأوكرانيّة، إلى جانب البولنديّة، وترأس هيئة تحرير المجلة الأدبيّة "بوينس آيرس ريڤيو".

وتاليا ترجمة عن النسخة الإنكليزية لشذرات مختارة من هذه الرواية، الجديرة بالقراءة والمديح - شذرات قائمة بذاتها، كوحدة سرد مستقلّة لا تبتعد كثيرا عن "مناخات" قصيدة النثر؛ ولكنها لا تنفصل في جوهرِ وجودها عن بقيّة شذرات الكتاب، فمثّة رابط يجمع بينها لتنتظم في آخر المطاف في نسيج السرد الجامع للرواية برمّتها.

عمري بضع سنين ولا مكان أذهب إليه

◆ ها أنا ذي

بضع سنينَ عُمريَ الآن. أجلسُ على حافة النافذة، محاطة بلُعب متناثرة وأبراج مقلوبة ودمىً بعيون مُتورّمة. ها إنها العتمة في البيت، والهواء يبرد في الغرف، على مهله، ويعتم. لا أحد إلاّيَ هنا؛ لقد رحلوا، لقد ذهبوا، ولكنّ المرء يستطيع سماع أصواتهم تتلاشى، وذلك المشي الوئيد، أصداءَ وقع أقدامهم، وبعض ضحك قصيّ.

فارغ، خارج النافذة، الرّيف. والعتمة تُرخي سدولها، بهدوء، من السماء، وتهبط فوق كل شيء كندًى أسود.

أسوأ شيء هو السّكون، الواضح والكثيف - غسق بارد والضوء الواهن لمصابيح بخار الصوديوم قد تلطخ بالعتمة، للتوّ، على بُعْد بضع أقدام من حيث أتى.

لا شيء يحدث - زحف العتمة يتلكّأ عند الباب المفضي إلى البيت، وصخب الخفوت يسقط صامتًا، ويغلف كل شيء، بغشاء غليظ، كالذي يتكوّن حين يبرد الحليب الساخن. معالم البنايات المنعكسة على خلفية السماء، تمتد بلا نهاية، فاقدة زواياها الحادة وأركانها وحوافها، رويدًا رويدًا. ثم يأخذ الضوء الخافت الهواء معه - فلا شيء يبقى للتنفس. ها إنها العتمة تتسرب إلى جلدي الآن.

والأصوات قد تموّجت في داخل أنفسها، واستردّت عيونها الحلزون؛ لقد غادرت أوركسترا العالم، وتلاشت في الحديقة العامة.

ذلك المساء حدُّ العالم، ولقد عثرت عليه، صدفةً، في أثناء لهوي، وليس بحثًا عن شيء. لقد اكتشفته لأنني تُركت بلا مراقبة لوقت قصير. لقد وقعتُ في شرَك الآن، ولا أستطيع الخروج. عمري بضع سنين، وأجلس على حافة النافذة، ناظرة إلى الباحة الباردة. لقد أطفأت أضواء مطبخ المدرسة؛ وغادر الجميع. كلّ الأبواب موصدة، والكوى مغطّاة، والستائر مسدلة. أرغب في المغادرة، ولكن لا مكان أذهب إليه. فلا شيء إلّا وجوديَ واضح المعالم الآن، هيئة ترتعش وتموج، ولكنّها تُوجع حين تفعل ذلك.

ولكنني أعرف على حين غفلة: لا شيء يستطيع أحد أن يفعله الآن، ها أنا ذي.

◆ مبارك الآتي

أبريل على الطريق السريع، شرائط الشمس الحمراء عبر الإسفلت، والعالَم مُنمنَم بغشاوة كالزّجاج من المطر الأخير - كعكة عيد الفصح. أقود سيّارتي يومَ جمعة الآلام، عند الغسق، من هولندا إلى بلَجيكا- لا أعرف في أيّ بلد أنا الآن، فالحدود تلاشت؛ لقد اندثرت. إنهم يعزفون موسيقى قدّاس الموتى في المذياع. وعند "ترنيمة نشيد زكريا"، تنير الأضواء على طول الطريق السريع، كما لو أنّها تحصّن البركة التي أنالها من المذياع، رغمًا عنّي.

بيد أنّ المسألة، في الحقيقة، لم تعن أيّ شيء أكثر من أنني قد نجحت في الوصول إلى بلجيكا، حيث جميع الطرق السريعة -لحسن حظّ المسافرين!- مضاءة على نحو جيّد.

◆ شقة مهجورة

لا تفهم الشقّة ماذا حدث. تظنّ الشقّة بأنّ مالكها قد مات. فمنذ أن صُفق الباب، وصَرَّ المفتاحُ في الترباس، وجميع الأصوات قد كتمَتْ، وغابت ظلالها وحدودها، كما في البقع الباهتة. الفراغ يتكثّف، جديدا، لا يعكر صفوه تيّار هواء، ولا تكدّره الستائر، وفي هذا السكون، تبدأ أشكال أوليّة بالتبلور، أشكال تدلّت لبرهة بين الأرض وسقف المدخل.

لا أشياء جديدة تخرج إلى الوجود الآن بالطبع - أنّى لذلك؟ فليست هذه إلّا محاكاة لأشكال مألوفة، تنخلط في كتل فوّارة ومنفّطة، تحافظ على معالمها لثانية فحسب. هذي حوادث فرديّة، إيماءات معزولة، كأثر قدم على سجّادة ناعمة وُجدَتْ في البقعة ذاتها، دائمًا وإلى الأبد، ثم ها إنها تتلاشى. أو يد على طاولة، تكابدُ حركات الكتابة، رغمَ أنّ الحركات صعبة وملتبسة، فهي تحدث بدون قلم، وبدون ورقة، وبدون كتابة، وبدون بقيّة الجسد.

◆ تعليمات

حلمتُ بأنني كنت أتصفّح مجلة أميركية تضمّ صورَ برك ومسابح. لقد رأيت كلّ شيء، بالتفصيل. وصفت الأحرف، ألف وباء وتاء، كلّ الأجزاء المكوّنة للخطط والمخططات التفصيليّة، بحذافيرها. شرعت، متلهّفة، في قراءة مقالة بعنوان "كيف تشيّد أقيانوسًا: التعليمات".

(تر: ت. خ)

المؤلفة مع مترجمتها إلى الإنكليزية جنيفر كروفت

المجرى الآخر

عبدالغني فوزي
شاعر وكاتب من المغرب

❑ وأنا أتجول يوميا في أحد المعارض الجهوية للكتاب، عنت لي الكثير من الملاحظات، وبالأخص منها تلك المتعلقة بالسلوك القرائي. فمتى كانت هذه المعارض منتشرة على الأرض الواسعة، أعني في شمول الوطن، كانت الفكرة أكبر والإمساك بالرهان أقرب. أعني في شمول الوطن، طبعا في تواز خلاق بين الإبداع المكتوب والأنشطة الثقافية التي تمنح معنى للمؤلف في مخاطبته للحاجيات الفكرية والجمالية والوجدانية. وإذا حضر الكاتب إلى جانب كتابه، سيعلو السقف قليلا، لتخفيف الوطء، ومداراة الأسئلة الحارقة.

مرارا كنت أطرح السؤال وأنا أتابع بعض التوقيعات أو تقديمات لكتب وكتاب: لماذا يأتي الكاتب للناس في قاعة ما؟ وبأية كيفية يمكن للكاتب أن يتحدث عن ما يكتب؟ هل بلغة النقد، وقد يتحول في هذا داعيا لطرح أو نموذج، أم بلغة الإبداع، أعني التوسل بالمجاز، ألا يساهم هنا في توسيع الهوة أو المسافة بينه وبين القارئ، أم يقدم مفهومه للكتابة والنص، باعتبارهما ميادين للمعرفة أيضا، في محاولة لتحديد موقعه وزاوية نظره داخل هذا العالم، ويترك للقارئ البقية بعد رسم معالم طريق ما.

إني أميل هنا إلى الطريقة الثالثة التي يكون فيها المبدع غير مفارق لنصه وطينة إبداعه، بتقديم أفكاره ومعاناته ولو الجمالية، بل أكثر من ذلك معاناة الكتابة كضلع وقول بين الاختناقات والاكراهات. لهذا رأيت نفسي أثناء جلسة مطولة أثناء توقيع وقراءة ديوان "آت شظايا من رسائلهم" في معركة حقيقية، إذ طرحت أسئلة عديدة حول الشعر المغربي والعربي المعاصر من خصوصية قولية ورؤيوية، وسؤال البياض كتقنية ومعنى أيضا، هذا فضلا عن مصير الشعر اليوم بين الهندسات والإستلابات.

وهي أسئلة لا تقتضي لوكا للكلام السريع، بل هدوءا وبحثا قصد إنتاج معرفة تستحق أن ندافع عنها في المجتمع والحياة. وعليه فالمبدع يأتي في تقديم كتابه ليطرح إضاءات، ليدافع عن نصه، وليبحث عن امتدادات في الآخر كقارئ وثقافة..

أكيد أن القارئ متعدد كنمذجات وشرائح، قارىء متعلم وآخر محلل، وثالث ناقد..بل أكثر من ذلك هناك القارئ الافتراضي الثاوي في التمثلات وفي الإبداع نفسه. وفي المقابل، لا ينبغي إقصاء المبدع كقارئ أيضا، إذ لا كتابة بدون قراءة أو مقروء.

مبدع أكيد أنه يدرك خصوصية قوله وتشكيله الجمالي والرؤيوي، يدرك طبقات استعماله اللغوي، يدرك بعض آليات تصويره.. وأظن أن هذا الزاد هو الذي يجعل الكاتب يخوض مسيرته ومعركته الإبداعية كمحطات وإضافات. فكل كتاب هو لحظة مكتنزة وخصوصية ورؤيا، وليس ترصيفا للكلام وتجميعا بلا روح. في هذه الحالة تكون المسيرة كتجاور لرؤى خلاقة. وفي ظل هذا الوعي الملازم، قد يستفيد المبدع من الملاحظات والأوراق المقدمة حول أعماله، ويأخذ منها ما يجب ويلح، لتجاوز خلاق. وفي غياب ذلك تمرر الكثير من المغالطات والإدعاءات، وتكون المعرفة معطوبة من الجانبين، من طرف المبدع نفسه الذي لا ينصت لتجربته، ولا يعرف خطواته أصلا، ولا الأرض التي يمشي عليها في ركض ورقص بكامل الرياح. فكثير هم الكتاب الذين يطرحون رهانا ما، مع كتاب يصدر، كالحلم واللغة العامية ورهان الكتابة وتجريب تقنيات ما..لكن الكثير أيضا يكتب ويتركها تسير.

وفي المقابل، يأتي القارئ من المجتمع مشحونا بمعرفة الخطابات الأخرى (التاريخية والسياسية..)، فتغيب المعرفة الأدبية تماما كأرضية ضرورية للتفاعل مع النص الإبداعي، طبعا دون قطيعة أو نفي للمجتمع والحياة. لكن بقليل من الحذر والانتقال المحدد الفقرات بين الإبداع إلى الامتدادات الاجتماعية والفكرية، بقليل من ذلك يمكن ربط الصلة بهذا الإبداع الذي يقيم في الحقيقة غير المتصلبة ولا المتسلطة، ويقيم أيضا في الحرية كهواء يوخز بالعبق. أعني يقيم في المعالم الأساسية لإمبراطورية الإبداع.

وطالما يظل التواصل معطلا، تبقى الضربات الخلاقة تحيا في الخلف بكامل المجرى الآخر الذي لا ينقاد ولا تحيطه الطبول بأي لغو؛ بل يخلق ماءه ويحفر في الهشيم مجراه. فلننصت للأديب عزالدين التازي وهو يتحدث عن هذا المجرى.

الزهور في انسجامها ترسم عالما نورانيا موازيا

استلهام وتصوير النباتات في رحلة استكشاف الجوهري والحقيقي في الوجود

الانسيابية والمرونة من معالم تجربة القباني

منمنمات زجاجية تتحدث لغة السماء

«المدد».. روحانيات رمضانية في زهور مضيئة

شريف الشافعي
كاتب مصري

❏ يفيض رمضان بالقيم الروحية والتجليات النورانية التي تغمر الحياة وتنعكس بدورها على الفنون، ويجسد معرض "المدد" للتشكيلية صفية القباني المنعقد حاليا بالقاهرة حلول نغمات السماء ومصابيحها في منمنمات إشراقية مضيئة وزهور زجاجية تعكس شفافية الوجود.

تقاس حساسية الفنون بمدى ملامستها حركة الحياة وتفاصيلها الثرية، ودرجة تفاعلها مع البشر بانسيابية وصدق، وليس هناك أقدر من "الفسيفساء" على تمثل القيم الدينية والحضارية والفنية بأسلوب تعبيري مؤثر.

وأطلقت الفنانة صفية القباني في أحدث معارضها بالقاهرة طاقات الإنسان الروحية مستثمرة نفحات شهر رمضان، لتشكل بأصابعها ألحانا سماوية تتجاوز حدود القيثارة القديمة، وتطلق في الفراغ زهورا زجاجية ومجموعة من التكوينات والمنمنمات المبتكرة المحمّلة بالشحنات الدلالية والتأويلية المكثفة التي تعيد بها اكتشاف الإنسان.

"من الممكن إقامة عالم نوراني من الورود والأضواء والموزاييك"، هذه هي ثيمة معرض "المدد" الذي يحتضنه "غاليري العاصمة" بالزمالك على مدار أسبوعين للفنانة صفية القباني، ويستمر حتى 27 مايو الجاري، مشتملا على فسيفساء ومنمنمات وأعمال مركبة بخامات متنوعة جرت صياغتها بتقنيات حداثية مبتكرة، غير منقطعة الصلة بالموروث.

تقترح صفية القباني (52 عاما)، أستاذة التصوير ومختصة الجداريات والعميدة السابقة لكلية الفنون الجميلة بجامعة حلوان، إمكانية صهر الماضي والحاضر معا من خلال لغة بصرية جديدة تعيد بها تشكيل الوجود مثلما تشكل عجينة الزجاج الطيعة، فيتحقق عالمها الموازي السحري بوحداته التي لا تشبه مفردات أخرى.

"المدد"، هو ذلك الزخم الإنساني الذي تضفيه الفنانة على أعمالها، وتستمده من ينابيع النور في المعتقد الديني والموروث الحضاري فضلا عن الصفاء الروحي والقيم الأخلاقية في فلك الانتظام الذي تصوغه، ضاربة في جذور الفنون الفرعونية والإغريقية والرومانية حيث أصول المنمنمات، ومستدعية تطورات الفسيفساء في الفن الإسلامي وحركات الفن الحديثة في عصور لاحقة.

حكايات الورود

تؤسس الفنانة عالمها من الوحدات الزجاجية الصغيرة، التي تحكي بها ألف حكاية لألف وردة تشكلها بواسطة عجينة الزجاج الطيعة التي يسهل تقطيعها وصهرها لتأخذ هيئة الورود الصغيرة الناصعة العامرة بالألق، وتتراص الورود والأشكال في التكوين الجداري الذي يتسع لخامات ووسائط متعددة، ما بين الخشب والسجاد والشباك الممددة والبلاط والخيش وغيرها.

ومثلما تتمرد الجدارية على وضعيتها التشكيلية منطلقة في علاقات تفاعلية خارج قاعة العرض مع البشر الذين تأسر أرواحهم، فإن الزهور الزجاجية تأبى إلا أن تطلق رائحتها كأنها زهور طبيعية مفعمة بالحيوية، كما أن الأشكال الهندسية مثل المثلث والمربع والمستطيل والدائرة تتحرر من أبعادها الحسابية في الأعمال المرنة التي تكسر فيها الفنانة المعايير الجامدة لتوليد المعنى المتواتر المتفجر.

تتحلى الفنانة بوعي معرفي صارخ تذيبه في النسيج التلقائي، فهي أكاديمية مبحرة بدراساتها في فنون الفسيفساء والزجاج المعشق والسجاجيد وغيرها، و"الجداريات" في تجربتها ليست مجرد تكوينات، بل هي ذاكرة الأمة الخصبة، والتصوير الجداري هو ذلك التجسيد للعلاقة الحيوية التفاعلية مع المكان.

فنون الفسيفساء تلك المعنية بالمكعبات والوحدات الصغيرة لزخرفة وتزيين الفراغات الأرضية والجدارية عبر التصاميم المتنوعة الملونة، وتستخدم فيها خامات عديدة، منها الزجاج والحجارة والصدف والمعادن وغيرها، وتتميز الفسيفساء باتساعها للرموز التي لها إيحاءات روحية ودلالات خاصة تتعلق بالقيم الدينية والتراث الشعبي.

تعود فنون الفسيفساء إلى السومريين والرومان، وتطورت لدى البيزنطيين في القرنين الثالث والرابع الميلاديين بعد إدخال الزجاج والمعادن، ثم انطلق العرب والمسلمون فصنعوا أشكالا هندسية ورسوما كثيرة زينوا بها الجوامع والقباب وغيرها، وانتقلوا بفلسفة الفن إلى منعطف جديد، هو التعبير عن معنى الحياة وجوهر الوجود، بحيث تتحرر المواد المستخدمة من جمودها، وتتفاعل مع الحراك الإنساني.

ومضات كاشفة

في تجربة التشكيلية صفية القباني، تتجلى الخصوصية التعبيرية من خلال تلك القدرة الفائقة على ترجمة المنمنمات الدقيقة إلى ومضات لونية وضوئية مكثفة، كاشفة، فالشكل بحد ذاته ليس غاية، إنما الطاقة التي تتلبسه، والجوهر الذي يشرق من تحت السطح، كأشعة القمر التي تنفذ من غمامة بيضاء.

هذه الإشراقات والتجليات تكسب الأعمال والتكوينات والوحدات المتجاورة المتراصة طبيعة درامية وحركية، وهكذا هي حكايات الزهور النابضة بالحياة دائما، وتتعدد الشحنات التأويلية والدلالية بتعدد مستويات البنية المركبة للأسطح المتداخلة، فضلا عن المراوحة بين الأضواء والظلال، والأجسام المعتمة والأخرى المشعة.

تتسم عناصر التكوين في أعمال القباني بالمرونة الشديدة، والانسيابية، وإلغاء الإطار، وهذا يلائم آلية الومضات المتلاحقة، والرغبة في تكثيف لحظات حاشدة تختزل ما هو حقيقي أصيل في الوجود، وتستبعد العادي والمجاني الذي لا يليق بالمنمنمات الموصوفة بعناية.

> صفية القباني تقترح أعمالا مركبة متعددة الخامات بتقنيات حداثية غير منقطعة الصلة بالموروث

مثل هذه الأبنية، والأخيلة، التي تنتزع عالما جامدا من سياقه، لتضع محله كونا آخر، هي من شأنها خلخلة المفاهيم والتصورات، وتوجيه المدركات الإنسانية إلى مدارات خلاقة ابتكارية، لا مجال فيها للنمطية والالتزام بالثوابت، فالآلة المعروفة المألوفة لا تنتهي معزوفاتها الجديدة المغايرة.

أعمال معرض "المدد"، انفتاح فني وروحي ومعرفي على نوافذ وفضاءات يستعيد فيها الإنسان إيجابيته وبوصلته التي توصله إلى اتزانه.

ثامن أيام الأسبوع

اختتام مهرجان عمون لمسرح الشباب في الأردن

❏ **عمان** – اختتمت في عمّان فعاليات الدورة السابعة عشرة لمهرجان عمون لمسرح الشباب في الأردن، الذي نظمته مديرية الفنون والمسرح التابعة لوزارة الثقافة. وفازت مسرحية "ثامن أيام الأسبوع"، تأليف الكاتب العراقي علي الزيدي، وإخراج محمد الجراح بثلاث جوائز من أصل خمس هي: جائزة التحكيم الخاصة لأفضل عمل متكامل، وجائزة أفضل إخراج مناصفة مع مسرحية "محاكمة زنوبيا"، تأليف محمد الجبريني وإخراج محمد العشا، وجائزة أفضل ممثل لراتب عبيدات.

ومنحت لجنة التحكيم في حفل الختام الذي أقيم في المركز الثقافي الملكي بعمّان جائزة أفضل نص محلّي لمسرحية "تفاح" تأليف وإخراج جمال الرشيد، وجائزة أفضل تأليف موسيقي ومؤثرات صوتية لعبدالرزاق مطرية عن مسرحية "محاكمة زنوبيا"، وجائزة أفضل ممثلة لدانا أبولبن عن دورها في مسرحية "هستيريا بلا توقف" للمؤلف والمخرج حسام الزغموري، فيما لم تفز مسرحية "بيانو بيانو" للمؤلف والمخرج محمد الإدريسي بأيّ جائزة.

وأوصت لجنة التحكيم في تقريرها بزيادة عدد العروض المشاركة لإفساح المجال لأكبر عدد ممكن في المشاركة بالمهرجان، وتفعيل مشاركة غير الأكاديميين من خلال عقد ورشات أكثر مختصة بالفنون المسرحية، داعية إلى الاهتمام باللغة العربية.

وكان المهرجان قد افتتح في التاسع من شهر مايو الجاري بمشهدية مسرحية عنوانها "السؤال"، تأليف وإخراج خليل نصيرات، وتمثيل نزيرة أديب ومرام أبوالهيجاء وعمران العنوز، وطرحت، بأسلوب كوميدي، سؤال المسرح في الأردن اليوم، وإلى أيّ مدى استطاع أن يوصل للجمهور القضايا العربية المعاصرة، والأهم هل استطاع فعلا أن يتبنّى هذه المستجدّات ويتناولها في قالبها الملح والجديد والإشكالي؟ كما تناولت ما آل إليه هذا المسرح، وكيف يمكن النهوض به من جديد وتطويره بجهود الشباب.

مسرحية "ثامن أيام الأسبوع"، الفائزة بجوائز المهرجان الثلاث، مزجت بين الوهم والحقيقة، وبدت شخصياتها رموزا وأفكارا أكثر من كونها واقعية، وقامت على صراع بين شخصيتين هما الرجل الذي يزور المقبرة والدفان الذي لا يهمّه أيّ شيء سوى دفن الموتى حتى إن كانوا أحياء. الرجل يحب الحياة، ومتفائل ويرفض أن يُدفن وهو حي، أما الدفان فهو شخص متشائم لا يهمّه أيّ شيء سوى دفن الموتى وأخذ أجرته، وعندما يسأله الرجل عن صاحب القبر الذي يقوم بحفره، يجيبه بأنه له (أي للرجل)، فيرفض

مشهد من «ثامن أيام الأسبوع» وعرض سوريالي النزعة

> مسرحية «ثامن أيام الأسبوع»، الفائزة بجوائز المهرجان الثلاث، مزجت بين الوهم والحقيقة، وبدت شخصياتها رموزا وأفكارا أكثر من كونها واقعية، وقامت على صراع بين شخصيتين هما الرجل الذي يزور المقبرة والدفان الذي لا يهمّه أيّ شيء سوى دفن الموتى حتى إن كانوا أحياء

الرجل، لكن الدفان يحاول أن يقنعه بالموافقة على الدفن ليتخلص من الحياة المتعبة؛ وبأن الإنسان مهما طال عمره فسيموت ويُقبر. ويستمر الصراع بين الشخصين إلى أن يستسلم الرجل لإرادة الدفان الذي ينتهي من حفر القبر فيدفنه. وهكذا انتهت المسرحية بهذا المشهد المأساوي.

يُذكر أن المهرجان، الذي أقيمت على هامشه ورشة بعنوان "نص العرض بين المؤلف والمخرج"، وندوات نقدية لمناقشة العروض المسرحية المشاركة، هو امتداد لمهرجان مسرح الشباب الذي كانت تقيمه رابطة الفنانين الأردنيين سابقا، بالتعاون مع وزارة الثقافة، في دوراته الخمس الأولى، إذ عقدت أول دورة له عام 1992، وانقطع ست سنوات ثم استأنف نشاطه منذ عام 2014، ويهدف إلى تقديم التجارب المسرحية للجيل الشاب من المخرجين والممثلين والتقنيين، وتنظيم اللقاءات بينهم في مختلف مجالات الفنون المسرحية، ورفد الحركة المسرحية في الأردن بمواهب جديدة، ونشر الوعي المسرحي، والإسهام في تنشيط الحركة النقدية من خلال الندوات الفكرية والتقييمية. ومن ميزات هذا المهرجان أنه قدّم للحركة المسرحية في الأردن، خلال دوراته السابقة، عددا من المخرجين الموهوبين الذين واصلوا تجاربهم، وأثبتوا حضورا أهّلهم للتحول من مرحلة الهواية إلى الاحتراف.

البشر في درجة البرد

الجهود البشرية حولت التبريد إلى منتج استهلاكي ومحرك للبحث العلمي

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ اصطلح العلماء درجة حرارة 273- كلفن، بوصفها أدنى درجة يمكن الوصول لها، وسموها الصفر المطلق، وتكمن أهميتها أنها لا تقتصر فقط على "البرودة"، بل تتوقف عندها حركة الذرّات ضمن الجزيء نفسه، وكأن الزمن يتوقف حينها، أشبه بلحظة لانعدام الحياة، حيث تنهار الروابط الذريّة، ليسود سكون كليّ على الموجودات، إذ لا عودة من بعد هذه الدرجة النظريّة، وكأنها عتبة نحو سديم، لا يحوي إلا الثبات، كهوة تبتلع كل موجود، وتنفي حركته الجوهريّة.

> يتيح كل من «برد» و«نار» الفرصة لطرح التساؤلات عن الشروط البشريّة، والظروف الصناعيّة التي يمكن توليدها لاستمرار الحياة، وخصوصا أن الكثير يؤمنون بأن الأرض وصلت إلى درجة من الخراب

تستضيف مدينة العلوم والصناعة في العاصمة الفرنسيّة باريس إلى جانب معرض "نار"، معرضا نقيضا له، باسم "برد"، المميز فيه، أنه لا يتناول فقط الثلج أوالجليد الطبيعيّ الذي نراه في القطبين، بل يركّز على البرد الصناعي، الذي يولّده البشر، والمرتبط بالتطور التقنيّ، وآليات خَفض درجة الحرارة، فالمعرض الذي ندخله من مَمر يشبه ميزان حرارة، يستعرض لنا تأثير البرودة على الكائن البشري والأحياء من حوله، إلى جانب الجهود الصناعية والمخبرية لتوليد "البرودة"، وتوفيرها ضمن الحياة اليوميّة والمساحات الصناعية.

يحضر البرد بوصفه تحدّيا للكائنات الحيّة بأنواعها، لنكتشف كيف تأقلم بعضها معه بما يضمن نجاتها، بعكس البشري، الذي لا يستطيع النجاة في ظل الظروف القاسيّة للبرد، إذ يتيح المعرض للزائر أن يختبر افتراضيا درجة الحرارة المنخفضة، ضمن غرفة خاصة، نشاهد فيها عبر أجهزة قياس مختلفة، كيف يتفاعل جسم الإنسان مع البرودة، وخصوصا أن الماء الذي يحويه الجسد البشري بنسبة كبيرة، هو الأكثر تأثرا بالبرد، ذات الشيء نراه في مجموعة من أوعية الحفظ المصغّرة، التي تتيح لنا تتبع التغيرات التي تطرأ على شجرة في الفصول المختلفة، وكيف تتفاعل مع درجات الحرارة المختلفة.

يقدّم لنا القسم الثاني من المعرض مفهوم التبريد، والجهود البشريّة لإنتاج هذه الظاهرة الطبيعية ضمن الحياة اليوميّة، وتقنينها لمنفعة البشر، فاختراع البراد المنزلي، جعل "البرد" ديمقراطيا، ومُلكا للجميع، كما نتعرّف على آلية خفض الحرارة باستخدام الغاز، وتطبيقاتها في الصناعات والعلوم الطبيّة للحفاظ على الأعضاء والكائنات الحيّة، ونتتبع أيضا دور التبريد في الصناعات الغذائيّة، وكيف تشكّل مفهوم التخزين، وخصوصا تقنية التجميد، التي ساهمت بتغيير سلوكنا الاستهلاكي المرتبط بالغذاء، لكن ما يغفله المعرض، هو السياسات التي تتحكم هذا "التبريد"، بوصفه محرّضا على الاستهلاك السريع والمستمر، بحيث يُحكم الفرد بمدة الصلاحيّة، بوصفها عتبة "التسمم"، المصنّعة خصيصا كي تهدد صحة المستهلك، إثر تغيّر الخصائص الفيزيائيّة للطعام.

ندخل نهاية قسما يشبه المخبر الطبيّ، مجهّزا بصورة تتيح لنا اكتشاف "البرودة" كجزء من البحث العلميّ، وخصوصا الآليات المختلفة لفهم درجة الصفر المطلق، ومحاولات الوصول إليها، كما نتعرف على خطورة انخفاض درجة الحرارة صناعيا، وخصوصا التجارب التي تطبّق على الغازات، والتي لا بد من التعامل معها بحذر ودقة، فأيّ خطأ بسيط، قد يؤدي للتجمد الآني، إذ نرى في تجهيز تفاعليّ، كيف تتغيّر طبيعة وشكل المواد المختلفة، إن ألقيت في مستودع يحوي غاز الآزوت بدرجة حرارة 196- سيلسيوس، إذ يمكن للزائر، بالتعاون مع مختصّين إجراء تجارب بسيطة، لاختبار تأثير البرودة الشديدة على ما حولنا من أغراض، كوردة، أو قطعة حلويات.

يتيح كل من "برد" و"نار" الفرصة لطرح التساؤلات عن الشروط البشريّة، والظروف الصناعيّة التي يمكن توليدها لاستمرار الحياة، وخصوصا أن الكثير يؤمنون بأن الأرض وصلت إلى درجة من الخراب، لا يمكن إصلاحها، بالتالي هل يمكن للبشر استعمار كواكب أخرى وتوليد شروط مناسبة لحياتهم كما نرى في أفلام الخيال العلميّ، أم أن الشرط البشريّ مستحيل التحقيق إلا على الأرض؟ ما يجعل الجهود البشريّة ليست إلا تخريبا مُنهجا لشرط مثاليّ ما، عصيّ على التحقيق مرة أخرى.

تحولات الشجرة عبر الفصول

محاولات لتلمس البرد

وردة متجمدة

الإنسان بمواجهة البرد

العدو الودود للإنسان

معرض باريسي يتناول الظاهرة البشرية وعلاقتها بالنار

❏ لا يمكن الحديث عن النار دون مقدمات شعريّة وسرديّة، واسترجاع لتاريخ الأساطير والحكايات المختلفة، التي لا يمكن حصرها، فالإنسان حتى الآن مدين للنار، فلحظة اختراعها، شكّلت انقلابا نوعيّا في تاريخ البشريّة، ونقلت الإنسان من بدائيته، نحو الحضارة بمعناها الواسع، وحوّلت الكائن البشريّ إلى سيّد للكوكب، إذ مكّنته من تحويل عناصر الطبيعة والتلاعب بها، وتطويعها لخدمته، وعلى النقيض، تشكّل النار أيضا امتدادا لسلطة الخوف، سواء كانت طبيعيّة أو أسطوريّة، كونها محرّك الجحيم والخراب، هي التي تلتهم ولا تشبع، وقادرة على ابتلاع كل ما هو موجود.

تشهد مدينة العلوم والصناعة في العاصمة الفرنسيّة باريس معرضاً باسم " نار"، وفيه نتعرّف على تاريخ النار والجوانب المختلفة من استخدامها، إلى جانب علاقتها مع البشريّ، فطبيعيا، النار تسبق وجود الإنسان، أما هو، فقد اكتشف آلية تكوينها واستثمارها، إذ ترافق التطور العلميّ مع توظيف النار كشكل من أشكال الطاقة، التي يمكن نقلها وإنتاجها بضغطة زر، ويسعى المعرض عبر سلسلة من الصور وأعمال التجهيز والفيديوهات المختلفة، إلى تعريفنا بتحوّلات النار، وجعل تاريخها أقرب إلى رحلة اكتشاف لتاريخ البشر نفسه.

نشاهد في القسم الأول من المعرض، اللحظات الأولى لاكتشاف النار، منذ حوالي الـ400 ألف عام، عبر مجموعة من الأدوات والدلائل الأثرية على جهود البشر لتدجينها واحتوائها، والتحكم بأوقات استخدامها، سواء في الحياة المنزلية، أو ضمن المعارك في سبيل الانتصار على الآخر، حيواناً كان أم بشراً، كما نتعرف على الأغراض البدائيّة التي كانت النار سبب وجودها، كقدور الطهي وأوعية التسخين، ونتتبع التغيرات الاجتماعيّة التي سببتها النار، ودورها في خلق علاقات بين البشر، الذين يجتمعون حولها، ويتناوبون على حراستها، وحمايتها من الانطفاء، لتتحول إلى محرك للنشاط البشريّ، وإلى سبب لنشأة وتقسيم أدوار العمل.

بعد أن تحوّلت النار إلى جزء من حياة البشر، نرى في القسم الثاني من المعرض الجهود العلمية لفهم النار، والتساؤلات التي طرحت في القرن الثامن عشر، لفهم طبيعة تكوينها الفيزيائيّ، وتحديد التفاعلات الكيميائيّة التي تؤدي إلى نشأتها، وهذا ما نراه عبر عرض بصري تفاعليّ، يمكّن الزائر من مراقبة تكوّن شعلتين مختلفتين، ليتعرّف على العناصر الكيميائيّة التي تكوّن كل منها، وتحديد الاختلاف بين نوعي الاحتراق، كذلك نرى كيف تم توظيف النار في العلوم، إذ تحوّلت طاقتها إلى وقود لتشغيل الآلات مختلفة الأحجام، سواء كانت محركات تعمل على الفحم، أو شعلة بسيطة، تمكّن العالم من إتمام تفاعل كيميائي، فالنار طاقة تساهم بإعادة التكوين الذريّ للعناصر، والتحكّم بخصائصها الماديّة.

> يسعى المعرض عبر سلسلة من الصور وأعمال التجهيز والفيديوهات المختلفة، إلى تعريفنا بتحوّلات النار، وجعل تاريخها أقرب إلى رحلة اكتشاف لتاريخ البشر نفسه

يجذب الانتباه في القسم الثالث من المعرض، عمل تجهيز لمطبخ منزلي محترق، ليكون بداية لفهم الجهود البشرية للوقوف بوجه النار، فهي تختزن داخلها احتمالات الخراب، إذ نشاهد التكنولوجيا المختلفة التي طورها البشر لاحتوائها، والتي توظف الماء كالأسلوب الأول لإخماد النار، وقطع الأوكسجين عنها، ثم نتتبع كيف استعان العلماء ورجال الإطفاء لاحقا، بأساليب أخرى مختلفة عن الماء، كونه وسيلة لإشعال النار ضمن بعض التفاعلات الخاصة، كذلك نتعرف على الجهود الجنائيّة المختلفة لفهم ما بعد النار، إي محاولة دراسة آثارها ومسبباتها ضمن الحياة اليوميّة، كما يتيح أحد أعمال التجهيز للمشاهد اختبار تأثير الحريق، إذ يدخل ممرّا يحاول فيه الهرب من نار اصطناعيّة، مُختبرا أثناء ذلك على مجموعة من الخطوات الاحترازيّة لحماية نفسه من الخطر، كما يُدعى الزائر أيضا إلى تجربة بزة إطفائيّ، ليكتشف مكوّناتها وكيفية مقاومتها للنار، متلمساً بشكل شخصي أهميّتها، بوصفها الخط الفاصل بين الحياة والموت في الكثير من الأحيان.

* ع.م

الحريق بوصفه أثرا وتفاعلا كيميائيا

العودة إلى الواقعية الراسخة في السينما الإيطالية

«مربي الكلاب».. تحفة سينمائية ترقى إلى عذوبة الشعر

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

يتميز الفيلم بتفاصيله الواقعية في التصوير

❑ كان الفيلم الإيطالي "مربي الكلاب" Dogman للمخرج المرموق ماتيو غاروني، أحد أفضل الأفلام التي عرضت في مسابقة مهرجان كان الـ71، وبه عاد مخرجه إلى المسابقة للمرة الأولى منذ أن شارك بفيلم مختلف تماما في أسلوبه هو "حكاية الحكايات" (2015). أما الفيلم الجديد فهو يستند إلى شخصيات وأحداث حقيقية وقعت في روما عام 1980.

في أحد مشاهد "مربي الكلاب"، يتسلق بطلنا النحيف، الضعيف، البائس "مارشيللو" جدارا ليصل إلى نافذة شقة في طابق مرتفع عن الأرض، يفتحها ويدلف إلى الداخل ليسرق شيئا، فهو يمارس السرقة وتوزيع المخدرات من وقت لآخر ليزيد من دخله كرجل يرعى الكلاب التي يعهد إليه بها زبائنه في تلك البلدة الواقعة بالقرب من نابولي في الجنوب الإيطالي. الواضح أن هناك من سبقوا مارشيللو إلى اقتحام الشقة، والواضح أيضا أنه يعرف أنهم سبقوه، كما يعرف عما يبحث ويريد سرقته من الشقة، فهو يسارع بعد أن ينتشل حقيبة صغيرة من داخل خزانة ما في المطبخ، فيفتح درج الثلاجة لينتشل كلبة صغيرة متجمدة منكمشة من الواضح أن اللصوص الذين سبقوه وضعوها داخل علبة درج التجميد في الثلاجة ليضمنوا ألا تنبح فتكشف أمرهم.

يضع مارشيللو الكلبة تحت الصنبور.. يترك الماء الدافئ ينساب فوق جسدها النحيل.. يأخذ في تدليك جسدها كله وساقيها ووجهها بيده الخبيرة الحنونة التي تعرف ماذا تفعل وهو يتمتم بكلمات لاهثة حزينة "ماذا فعلوا بك ياصغيرتي.. ياحبيبتي.. هيا.. عودي إلي.. ابقي معي.. لا تتركيني". تذوب طبقة الثلج المتجمد على جسد الكلبة الصغيرة، تعود إليها الحياة تدريجيا، تفتح عينيها وتتحرك، يضعها مارشيللو على الأرض ويتركها وهي تتحرك وتبح نباحا ضعيفا، ثم تتجه ببطء معه ناحية باب الشقة، يخاطبها قائلا بكل رقة وعذوبة: "كلا يا حلوتي.. لا يمكنك أن تأتي معي.. يجب أن تبقي هنا".

> لا تكتمل واقعية الفيلم إلا من خلال الأداء التمثيلي المقنع والمعبر من دون أي مبالغات وخاصة أداء مارشيللو فونتي في دور مربي الكلاب. إنه يتماهى تماما مع الشخصية وينجح بشكل مؤثر في التعامل مع الكلاب بإقناع

هذا المشهد البسيط البديع، يكشف جانبا من سحر السينما الذي يكمن تحديدا في الخيال، في الصياغة البصرية للمشاهد واللقطات، والقدرة على نسج الصور كما يتخيلها الفنان الذي يقف وراء الكاميرا، وهو يقوم بتجسيد معالم سيناريو درسه جيدا، اشترك في كتابته مع خمسة من الكتاب طبقا لتقليد راسخ في السينما الإيطالية. لكن براعة المشهد ورقته لا تكمن فقط في تقنية الكتابة بل ترقى إلى مستوى الشعر بفضل التمثيل والتصوير والإخراج: لدينا هنا ممثل فريد هو مارشيللو فونتي في دور "مربي الكلاب"، هو شخص قصير، نحيل، ضعيف، منحني الظهر قليلا، ذو عينين واسعتين. وعندما يضحك يبدو أقرب إلى البلاهة بأسنانه البارزة ونظراته المندهشة وعينيه الواسعتين. نغمة صوته حادة غريبة، تجعله مع تفاصيل وجهه وجسده وفكه البارز، كما لو كان كائنا خرج لتوه من أحد أفلام التحريك.

مارشيللو نموذج للإنسان المسالم الذي يريد أن يتجنب المتاعب بكل الطرق. هو رقيق حنون مع الكلاب التي يرعاها، فهي كائنات بريئة، تفهمه ويفهمها، كما تتمتع بالكرامة والاعتزاز بالنفس. ومارشيللو لا يمانع من تناول الطعام مع أحد هذه الكلاب من نفس الصحن، بل وبنفس الملعقة، يصحب كلابه كل صباح بعد أن يقدم لها الطعام، في جولة على شاطئ تلك البلدة الفقيرة البائسة.

لدى مارشيللو ابنة صغيرة في الثامنة من عمرها تدعى "صوفيا"، تزوره بين وقت وآخر، فهي تعيش مع أمها المنفصلة عن مارشيللو، ويأخذها في جولات بحرية في عطلة نهاية الأسبوع. وهي تحب والدها كثيرا، تريده أن يأخذها معه إلى "كلابريا" موطنه الأصلي في أقصى الجنوب الإيطالي التي جاء منها ربما هربا من تفشي العنف هناك. لكن العنف موجود أيضا هنا في هذه البقعة حيث يوجد دكان مارشيللو الغريب الذي يضع فوقه لافتة تحمل كلمة واحدة بالإنكليزية هي Dogman أي "مربي الكلاب".

مارشيللو يرتبط بصداقة مع مجموعة من رجال البلدة الذين يترددون على المقصف، يأكلون ويشربون ويثرثرون، إنهم يشكلون معا عصبة، تجمعهم همومهم المشتركة. وهو يلعب معهم أحيانا الكرة في ساحة تلك الضاحية التي تقع خارج البلدة. ومن بين هؤلاء "فرانكو" وهو صاحب محل ملاصق لمحل مارشيللو يحمل لافتة تقول "المال مقابل الذهب" أي أنه يشتري المصوغات الذهبية نقدا. يحمل إليه مارشيللو محتويات الحقيبة التي سرقها من الحلي المطعمة بالمجوهرات، متصورا أنه سيجني من وراء ذلك ثروة، لكنه لا يحصل سوى على 300 يورو فقط، فالرجل يقول له إن ما يهمه منها الأجزاء الذهبية فقط.

في البلدة شاب طفولي الوجه لكنه عملاق ضخم الجثة، مفتول العضلات، متجهم يذكرنا في ملامحه بالملاكم جاك لاموتا بطل فيلم سكورسيزي "الثور الهائج" الذي تقمصه ببراعة روبرت دي نيرو. يقطع سوني البلدة طولا وعرضا، بدراجته النارية التي تصدر صوتا مزعجا، لا يتورع عن الفتك بكل من يقف في وجه حصوله على المخدر الذي أدمن عليه، الكوكايين. وهو يلجأ من وقت لآخر، إلى صاحبنا المسكين المغلوب على أمره "مارشيللو" يطلب منه أن يزوده بالمخدر، فمارشيللو يرتبط ببعض من يتاجرون بالكوكايين. لكن سوني لا يدفع ثمن ما يتعاطاه، وقد تراكمت عليه الديون بالآلاف. وإذا تجرأ مارشيللو أو التاجر الأصلي- كما نرى- على المطالبة بأن يدفع سوني الديون المستحقة عليه، أوسعه ضربا وكاد يفتك به. لكن مارشيللو يرتبط رغم كل هذا العنف، بصداقة مع سوني، يبدو منبهرا بشخصيته، فهو يخشاه لكنه في الوقت نفسه يكن له إعجابا ربما لأنه يمتلك ما يفتقده هو بتكوينه الضعيف.

مجموعة شباب البلدة، يجتمعون، ومعهم مارشيللو، يبحثون كيف يوقفون هذا العنف الجنوني الذي يهددهم جميعا، أي كيف يضعون حدا لحماقات سوني. يقترح أحدهم تصفية سوني لكن اقتراحه يلقى معارضة شديدة من جانب فرانكو. تفشل محاولة اغتيال سوني، فيصاب فقط برصاصة في كتفه، لكن من سخرية القدر أن يكون مارشيللو هو من ينقذه، ويحمله فوق دراجته النارية التي يقودها بنفسه إلى حيث تقطن والدته ويقوم هناك بنزع الرصاصة وتطهير الجرح. بعد مرور وقت يأتي سوني الباحث بشكل دائم عن المال إلى محل مارشيللو.. يقترح عليه أن يحدث فتحة في الجدار الفاصل بين دكانه ودكان تاجر الذهب المجاور. يرفض مارشيللو بقوة ويتشبث بالرفض. فهو يرى أن هذه الخطوة يمكن أن تؤدي إلى إنهاء علاقته بأصدقائه بل بالبلدة كلها. إنه يرفض تجاوز هذا الخط الأحمر الذي وضعه لنفسه في علاقته بالآخرين. لكنه سيضطر تحت التهديد، للرضوخ. وتكون النتيجة أن يدان هو ويفلت سوني بعد أن يرفض مارشيللو تحت الترغيب والوعيد من جانب ضابط الشرطة، أن يشهد ضده. يدخل مارشيللو السجن حيث يقضي عاما ثم يخرج ويعود إلى دكانه ليجده قد تحول إلى حطام وأصبح في حاجة إلى إعادة بناء وترميم. وهو بحاجة إلى المال، فيذهب إلى سوني يرجوه أن يفي له بوعده أي أن يعطيه نصيبه من سرقة الذهب. في حين أن سوني ليس لديه ما يعطيه. يحاول مارشيللو الانتقام بتدمير دراجة سوني النارية، لكي ينال علقة ساخنة من العملاق المدمن تتسبب في تشويه وجهه.

تستيقظ شهوة الانتقام، ويصبح هذا القصير الضعيف البنية قادرا على التخطيط والتدبير وإنفاذ قراره الخاص بالانتقام بأكثر الطرق بشاعة. يخرج أخيرا إلى شاطئ البحر مع مجموعة من كلابه وهو يشعر للمرة الأولى بالتحرر، لكنه أصبح أيضا وحيدا مقضيا عليه بالمغادرة، وينتهي أحد أفضل الأفلام التي خرجت من بلد الواقعية الجديدة في السنوات الأخيرة.

ماتيو غاروني (49 سنة) الذي أتحفنا من قبل بفيلمه الشهير "غومورا" (2008) Gomorrah عن عصابة المافيا الشهيرة ونال عنه "الجائزة الكبرى" في مهرجان كان، يعود هنا إلى أجوائه الواقعية التي يجيد تجسيدها ولكن من خلال دراسة شخصية رجل منسحق بائس يتحول إلى وحش كاسر، مع تصوير اجتماعي دقيق للبيئة المحيطة، فكل شيء في هذا الفيلم يبدو منقولا مباشرة من قلب الواقع؛ الأماكن والشوارع والبيوت والمقهى والمقصف والمحلات، الأركان المظلمة في البلدة، الساحة الخالية المليئة بالنفايات والقاذورات وعلى طرفها يوجد محل مارشيللو. أما الكلاب في الفيلم فهي تراقب وتشاهد المصير السيء الذي ينتهي إليه سوني في النهاية عندما يتم إدخاله أحد أقفاص الكلاب في محل مارشيللو، وما يعقب ذلك مما لا نريد الكشف عنه حتى لا نفسد الحبكة أمام من يريد أن يستمتع بمشاهدة هذا العمل البديع.

مدير التصوير نيكولاي بروبل يستخدم مصادر الضوء الطبيعي، يتابع بطله في المشاهد الخارجية وهو يلهث وراء سوني بالكاميرا المحمولة المهتزة التي تخلق طابعا تسجيليا، يجعل من زوايا التصوير خاصة في المشاهد الداخلية لمحل الكلاب، أداة لتجسيد علاقة مارشيللو بكلابه، ثم علاقته بابنته عندما تزوره، وتصويره المميز لمشهد نقل مارشيللو لسوني على الدراجة النارية وهو لا يفتأ يتطلع إلى سوني الذي يسند رأسه على كتفه كأنما مارشيللو قد أصبح يشعر الآن بالسيطرة عليه بعد أن كان يستجديه ويتضرع إليه في المشهد الأول من الفيلم أن يغادر المحل بعد أن حصل على لفة من الكوكايين، لكن سوني يصر على أن يستنشق المخدر داخل المحل، في وجود ابنة مارشيللو.

يتعمد السيناريو عدم إظهار أي شيء يتعلق بالفترة التي قضاها مارشيللو في السجن، رغم تحذيرات ضابط الشرطة له من أنه سيتعرض داخل السجن نتيجة ضعفه وجبنه، لشتى صنوف الاعتداءات في إشارة إلى الاعتداء الجنسي، من دون أن يثنيه هذا عن رفض "التورط" بتقديم شهادة ضد سوني من أجل إدانته وبالتالي يخرج هو من القضية تماما ويعود إلى بيته كما يعده الضابط. هل كان إصراره هذا نتيجة الخوف، أم بسبب الجشع والرغبة في الحصول على قسط من الغنيمة؟ أم للسببين معا؟ لكن يمكن للفيلم عبر الكاميرا إضهار تحول رجل جبان إلى الشدة والعنف بعد أن كان يحاذر أن يتجرأ ويرفع صوته في وجه سوني، هل أصبح العنف في هذه البلدة البائسة بحياتها الرتيبة الفارغة، قدرا لا فكاك منه؟ ليس المهم هنا أن نضع أيدينا على تفسير نفسي للدراما التي نراها فهناك الكثير من الأمور الخفية في النفس البشرية، وكل هذه التفسيرات ممكنة، لكن المهم هنا هو ذلك التصوير البارع المؤثر للشخصية في علاقتها بالعالم، بعالمها الضيق المحدود الخانق، حيث يصبح العيش في السجن الصغير ربما أكثر ضمانا من الحياة في السجن الكبير.

لا تكتمل واقعية الفيلم إلا من خلال الأداء التمثيلي المقنع والمعبر من دون أي مبالغات وخاصة أداء مارشيللو فونتي في دور مربي الكلاب. إنه يتماهى تماما مع الشخصية وينجح بشكل مؤثر في التعامل مع الكلاب بإقناع. وقد وصفه المخرج غاروني بأنه "بستر كيتون الإيطالي" فهو قادر على التعبير الصامت بوجهه وحركاته الجسدية، وقد سبق أن ظهر في دور ثانوي في فيلم "عصابات نيويورك" لسكورسيزي، وقال إنه ظل يتدرب لمدة ثلاثة أشهر في بيت مخصص لتربية الكلاب إلى أن أصبح يجيد التعامل معها ويعرف كيف يكتسب ثقتها، قبل أن يبدأ تصوير أول بطولة سينمائية مطلقة له في هذا الدور الذي أخرجه من الظل إلى دائرة الشهرة بعد فوزه بجائزة أفضل ممثل في مهرجان كان.

الممثل مارشيللو فونتي الفائز بجائزة التمثيل في كان

يتعرض مربي الكلاب باستمرار للعنف من جانب سوني

جمال وعراقة يونانيان يظهران في أندروس وتينوس

جزيرتا بحر إيجه تحملان السياح في جولة بين الماضي والحاضر

منارة تطل من جزيرة صغيرة بأندروس

إقبال على الجزر اليونانية

نهج معماري واحد

تحمل جزيرتا أندروس وتينوس اليونانيتان الراغبين في الابتعاد عن صخب الحياة المدنية إلى عوالم تمتاز بالأجواء الريفية الهادئة وسط جمال طبيعي خلاب، كما توفران لهم فرصة اكتشاف تاريخ عريق والتلذذ بأشهى الأكلات التقليدية.

❑ أثينا – تتمتع اليونان بشهرة سياحية كبيرة نظرا لموقعها الفريد وامتلاكها الكثير من الجزر الساحرة، مثل أندروس وتينوس (جزيرتان في مقاطعة كيكلاديس اليونانية في الجزء الجنوبي من بحر إيجه). وتبعد هذه الجزر مسافة بضع ساعات بالعبّارة عن العاصمة أثينا، وهي تمتاز بأجواء ساحرة وشواطئ بديعة وقرى ريفية هادئة.

وفي ظل الأجواء الهادئة يظهر بيتروس مارمارينوس منحنيا على كتلة من الرخام الأبيض وهو يصب عليها كامل تركيزه، ويمسك بيده مطرقة وأزميلا للبدء في نحت خط رفيع؛ حيث يستغل هذه الكتلة الرخامية في نحت مركب شراعي.

> جزيرة أندروس تضم كهف فوروس وخمس غرف تحت الأرض يرجع عمرها إلى 5 ملايين سنة

ويوجد بالإضافة إلى هذا الفنان الكثير من النحاتين من قرية بيرجوس، التي تقع في الشمال الغربي لجزيرة تينوس، وعلى مقربة من هذه القرية، التي يبلغ عدد سكانها 400 نسمة، توجد العديد من محاجر الرخام، التي يُستخرج منها الرخام الأبيض والرمادي، وبالتالي فإن هذه المحاجر قد شكلت طبيعة الحياة في هذه القرية لعقود طويلة، حتى أنه تم إنشاء مدرسة للنحت في بيرجوس منذ عام 1955.

كنز سياحي

لا تقتصر شهرة جزيرة تينوس السياحية على التماثيل والمنحوتات الرخامية، ولكنها توفر للسياح أيضا العديد من المزايا الأخرى؛ حيث إنها تتمتع بتاريخ عريق مثل جزيرة أندروس المجاورة، وقد سيطرت مدينة فينيسا على هذه الجزر لفترة طويلة، ولها باع طويل في زراعة الخضروات، وتنتشر القرى في أندروس وتينوس على الجبال، هربا من القراصنة في بحر إيجه، حيث تعرف تينوس بالقرى الرائعة المنتشرة عبر التلال والجبال المذهلة، والتي يمتاز كل منها بخصائص مميزة مع العديد من الكنوز السياحية التي تستحق الاكتشاف.

ويمكن للسياح حاليا في تريبوتاموس مشاهدة كيف كان سكان جزيرة تينوس يحاولون خداع القراصنة من خلال كثرة الأزقة والشوارع الضيقة، والتي تتعرج حول المنازل المطلية باللون الأبيض، وهناك ممرات لا تؤدي إلى شيء.

كما أن الجزيرة تتمتع بالأجواء المناخية الممتعة على مدار العام، ولكن ينصح الراغبون في الابتعاد عن الحشود السياحية، بالسفر في الفترة الممتدة من مارس إلى مايو، ومن سبتمبر إلى أكتوبر.

وتفتخر تينوس بالكثير من الشواطئ الأكثر جمالا في اليونان، بما في ذلك شاطئ كوليبيثرا الذي يقع في منطقة هادئة جميلة بالجزيرة، والذي يتيح للزائرين الاستمتاع بركوب الأمواج، والتجديف، فضلا عن الاسترخاء واكتشاف الثقافة المحلية.

وقالت صوفيا باسا، عالمة جيولوجيا، "لقد كان السكان يستغلون أسطح المنازل للتنقل من مكان إلى آخر"، مضيفة أنها تبعت والدتها إلى جزيرة تينوس، ووجدتها مكانا رائعا للغاية، وترغب في العيش والإقامة بها، بعيدا عن ضجيج وضغوط المدن الكبيرة.

ولا تعتبر باسا الحالة الوحيدة هنا، بل إن هناك الكثير من الشباب الذين يعودون إلى الجزيرة ويقيمون بها، بل إن بعضهم يقوم بافتتاح مطعم ويطهو ما توفره الجزيرة، أو يقوم بإنتاج المواد الغذائية مثل الجبن والنبيذ والأطعمة التقليدية.

في جزيرة أندروس أيضا تزخر قوائم الطعام في المطاعم والحانات بالعديد من المنتجات المحلية والأطباق التقليدية.

وأوضحت كاترينا ريموندو، إحدى القاطنات بالجزيرة، أن الوضع لم يكن كذلك خلال السنوات الماضية، مضيفة "عندما ذهبت قبل سنوات إلى المزارعين لشراء القرع أخبرني المزارع ما الذي أغذي به حيواناتي؟"، وقد عملت ريموندو في السابق كناقدة للمطاعم في العاصمة اليونانية أثينا، وتقوم اليوم بطهي الطعام بنفسها من منتجات الحديقة الخاصة بها وما ينتجه المزارعون في الجزيرة.

وهناك أشخاص آخرون لم يغادروا الجزيرة، ويعملون حاليا بنشاط لإحياء تقاليد أبائهم، مثل يانيس، الذي يعمل بمفرده وسط خلايا النحل الموزعة في العديد من مدرجات الحقول في بلانكا، بالإضافة إلى الجمعيات التعاونية الخاصة بالنساء في باتسي، والتي تقوم بإنتاج الكعك والحلويات، وتقوم إحدى الجمعيات التعاونية في كورا بإنتاج الصابون برائحة تشبه رائحة الجزيرة، من الليمون والبرتقال والورود واللافندر والأعشاب البرية، ولعقود طويلة قامت النساء بالأعمال التجارية في جزيرة أندروس، في حين ينطلق الرجال للصيد في البحر.

كما تضم جزيرة أندروس مجموعة من أجمل الشواطئ اليونانية، والتي تشمل شاطئ أجيوس بيتروس وشاطئ أكلا، وفي هذه الجزيرة يمكن لزائريها زيارة بعض المتاحف المميزة، مثل متحف أندروس الأثري، ومتحف الفن المعاصر ومتحف كيكلاديس للزيتون، الذي هو في الواقع مطحنة زيتون مستعادة بشكل أصلي.

وتعتبر تشورا القرية الرئيسية في الجزيرة، وتتميز بشكل خاص بالعمارة الرائعة والقصور الأنيقة في جميع أنحاء الجزيرة.

كهف فوروس

ويوجد في جزيرة أندروس كهف فوروس وخمس غرف تحت الأرض، والتي يرجع عمرها إلى 5 ملايين سنة، وتظهر بعض التكوينات الغريبة من الهوابط والصواعد والرخام والحجر الرملي، وعادة ما تستقر درجة الحرارة في الكهف على 18 مئوية.

غير أن درجة الحرارة تكون أكثر دفئا على الكثير من الشواطئ والخلجان المنتشرة في الجزيرة، وأوضحت أريانا ماسلو، إحدى القاطنات بالجزيرة، قائلة "تمتاز بعض هذه الشواطئ بالروعة والجمال، غير أنه لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة القوارب".

وقد يحتاج الأمر إلى سيارات الدفع الرباعي أو أحذية التجول الجيدة، وهناك الكثير من الشواطئ التي يمكن الوصول إليها بواسطة السيارة، والتي يتم بها نصب المظلات والكراسي الشاطئية، وينعم السياح في مقاهي الشواطئ بالمشروبات اللذيذة والاستماع إلى الموسيقى.

أين تذهب

جولة سياحية ثقافية لاستكشاف باريس العربية تاريخيا

عبدالناصر نهار

❑ فرصة سياحية إضافية فريدة من نوعها بدأت العاصمة الفرنسية توفيرها في شهر مايو 2018 لمن يرغب من الزوار والسياح، وبشكل خاص لكل من يودّ استكشاف الجانب العربي الخاص من باريس على مدى التاريخ. ويشمل ذلك زيارات وورش عمل ميدانية ومحاضرات خلال عطلة نهاية الأسبوع بسعر مناسب، بما يتيح للزائر الاطلاع على الروابط المميزة بين العالم العربي وفرنسا.

وتنطلق الزيارة من معهد العالم العربي وتنتهي في مسجد باريس، حيث يبدأ استقبال الراغبين في المشاركة ظهرا في ساحة المعهد. وقد تميّزت جولات شهر مايو الجاري بخصوصية وشاعرية من خلال مرافقة المسرحي الفرنسي ليون بونافه للزوار.

ويتألف مسار كل جولة من أربع مراحل على مدى ما يزيد عن ساعتين من الاكتشافات الغنية بالتراث الثقافي والأدب واللغة وحوار الأديان. وتكون نقطة البداية بشكل دائم من أمام معهد العالم العربي؛ المؤسسة الثقافية الفرنسية التي تحمل منذ العام 1980 مهمة التعريف بالعالم العربي؛ لغته وقيمه الثقافية والروحية، حتى أن بناءه ذا الهندسة المعمارية المعاصرة مخصّص كذلك للإسهام في الحوار بين الثقافتين الغربية والعربية، فضلا عن فعاليات شهرية غنية.

كما بالإمكان زيارة المتحف في المعهد حيث يتضمن مساره الماضي والحاضر، ويغطي العالم العربي بأبعاده الثقافية والدينية والاجتماعية والأنثروبولوجية، وذلك في خمسة أقسام (جزيرة العرب، المقدس وتصوير المعبودات، المدينة العربية، الجمال، وفنون العيش). وتتشابك في الزيارة الألوان والمواد الثقافية والزخارف التي تروي للزائر قصة على غرار قصائد الشعراء وقصص الرواة وأخبار الكتبة في العالم العربي.

> فرصة سياحية فريدة بدأت مايو الحالي للراغبين في استكشاف الجانب العربي من باريس

ويمر بعد ذلك مسار الجولة من أمام كلية فرنسا وجامعة السوربون، حيث يتم التطرق إلى دروس اللغة العربية الأولى في عهد فرانسوا الأول ملك فرنسا (1515–1547م) والذي كان أوّل من وجّه بأهمية تعليم اللغة العربية في أوروبا، والحديث حينها يطول في هذه المحطة عن الشغف الفرنسي بالشرق في القرن الثامن عشر وخلال الحقبة الإمبراطورية.

ويتناول من ثمّ، وفي إحدى أقدم الكنائس في باريس، كنيسة القديس جوليان لو بوفر الشهيرة، الحديث مع الزوار أماكن عبادة المسيحيين العرب في فرنسا. ويتخلل ذلك التنويه بالجاذبية السياحية والثقافية التي تمارسها باريس على العالم العربي، وبوجود الإصلاحيين والعلماء العرب في القرن التاسع عشر في مختلف المدن الفرنسية، والجدالات الفكرية والعلمية التي شغلتهم آنذاك، حيث ولدت هناك أوائل المطابع، وانطلقت أوائل الصحف الصادرة باللغة العربية في فرنسا، لا سيّما وأنّ المكتبات العربية الموجودة اليوم في باريس على وجه الخصوص ليست سوى ملك في غالبها لورثة تلك الصحف.

وتنتهي النزهة أو الجولة بزيارة إلى مسجد باريس الكبير، الذي يُعتبر أحد أضخم المساجد في القارة الأوروبية، وتمّ تدشينه في العام 1926، ومنذ ذلك الحين والمسجد يلعب دورا هاما وأساسيا في الحياة اليومية للجاليات العربية والإسلامية في فرنسا وفي الحوار الديني وتعزيز التسامح في البلاد. وقد بُني هذا الصرح الإسلامي بطابع أندلسي مغربي مميّز في الهندسة المعمارية التي تجمع بين الطابع القديم والحديث على حدّ سواء، حتى من خلال إنارة أرجاء المسجد بالطريقة التقليدية.

بصمة عميقة تؤرخ للعرب بالعاصمة الفرنسية

الثورة الرقمية في عالم الطب تواجه النكسات

الهاكر يضعون حياة المريض في كفة المساومة على الفدية

يزداد استخدام الكومبيوتر والإنترنت في المجال الطبي والأجهزة الإلكترونية التي تزرع في جسم المرضى. ويترافق ذلك مع ازدياد خطر فيروسات الكمبيوتر وقراصنة الإنترنت الذين يمكن أن يتحكموا في الأجهزة الطبية مقابل فدية. ونظرا إلى إمكانية الاتصال بمجموعة كبيرة من الأجهزة، فإن اختراق الأجهزة يمكن أن يؤدي إلى عواقب أكثر خطورة من فقدان المال، فماذا عن صحة الإنسان وحياته؟

الأجهزة القابلة للزرع سلاح القراصنة الجديد

❏ **واشنطن** – تصدر عن جهاز تنظيم نبضات القلب شحنة كهربائية قوية جدا أو مضخة تضخ فجأة كمية كبيرة من الأنسولين. بالنسبة لأولئك الناس الذين تعتمد حياتهم بصفة مستمرة على جهاز طبي فإنه من المرعب تخيل إمكانية أن الأجهزة الذي تعتمد عليها حياتهم يمكن اختراقها والتلاعب بها. ما مدى ضعف التكنولوجيا الطبية؟ وما هو الخطر الذي يمثله هذا بالنسبة للمتضررين؟

وحذرت الأكاديمية الملكية للهندسة البريطانية من أن عدد أجهزة الرعاية الصحية المعرضة للقرصنة في تزايد مستمر، الأمر الذي لا يشكل تهديدا للأفراد فحسب، بل يوفر أيضا طريقة للوصول إلى شبكات كاملة.

وأشار خبراء إلى أن أجهزة ضبط نبضات القلب والمراقبة الصحية المرتبطة بشبكة الإنترنت أو شبكات الكمبيوتر الداخلية يمكن أن تكون بوابة للقراصنة الذين يستغلونها في عرقلة النظام للمطالبة بفدية.

> أجهزة ضبط نبضات القلب والمراقبة الصحية المرتبطة بشبكة الإنترنت أو شبكات الكمبيوتر الداخلية يمكن أن تكون بوابة للقراصنة

وقال البروفيسور "نيك جينينغز" من الأكاديمية الملكية في لندن "يمكن استخدام الأجهزة الطبية كبوابة دخول لأجزاء أخرى من الشبكة، لذلك إن كان الجهاز غير محمي بشكل جيد فمن السهل استغلاله للعبور إلى أجهزة أخرى".

وأكد أنه "لا يمكننا تجنب فشل الجهاز أو تجنب الهجوم بشكل تام، لكن يمكننا تصميم أنظمة مرنة فعليا ويمكن إصلاحها بسرعة".

يُذكر أن النظام الصحي البريطاني تعرض لهجمات إلكترونية العام الماضي، حيث تم تشفير بعض البيانات في المستشفيات، وطلب المهاجمون فدية مالية مقابل فك التشفير. وسبق أن هاجم مجرمو الإنترنت المستشفيات مرارا باستخدام حصان طروادة "تروجان" وغيره من البرمجيات الخبيثة الشائعة. على سبيل المثال، في سنة 2015 أصاب العديد من فيروسات الفدية المراكز الطبية في الولايات المتحدة الأميركية، منها "المركز الطبي المشيخي بهوليوود" في لوس أنجلس.

ودفع مستشفى لوس أنجلس مبلغا قدره 17 ألف دولار مقابل استعادة تسجيلاته. ولكن عندما حاول "مستشفى كنساس للقلب" أن يفعل الشيء نفسه رفض اللصوص استرجاع الملفات وطالبوا بالمزيد من المال.

في المقابل يؤكد أطباء قلب أميركيون أنه في ما يتعلق بالأجهزة القابلة للزرع مثل جهاز تنظيم نبضات القلب والرجفان، فإن درجة الخطر الحالي على المريض الفرد ليست مرتفعة بصورة مثيرة للقلق، مُقرّين بأن احتمال القرصنة يبقى قائما، لكن "احتمال أن يتدخل الهاكر بنجاح في جهاز إلكتروني للقلب والأوعية الدموية سيتم زرعه، أو يهاجم مريضا معينا، يظل احتمالا محدودا للغاية"، كما يقول الدكتور دهانونغايا لاكراديدي البروفيسور في كلية طب جامعة كنساس، وهو أيضا عضو في الرابطة الأميركية لأمراض القلب التي نشرت مؤخرا تقييما لمخاطر هذا النوع من الحالات.

لم يتم الإبلاغ في الولايات المتحدة عن أيّ حالات للقرصنة حتى الآن. لكن في ألمانيا، على سبيل المثال، حذر المعهد الفيدرالي للأدوية والأجهزة الطبية المصنعين والمستخدمين من نقاط الضعف المحتملة في بعض أنظمة الشبكات منذ عامين. وأشار إلى أنه "في الاختبارات التي أجريت، تمكن المهاجمون -في حالات محددة- من فك شفرة الواي فاي الخاص بالجهاز، والذي لم يتم تأمينه بشكل كاف، وبالتالي استطاعوا التلاعب بكميّة الأدوية".

يذكر أنه في عام 2016 وفي خطوة احترازية اضطرت شركة "جونسون & جونسون" إلى الاتصال بأكثر من أحد عشر مستخدما لأقلام حقن الأنسولين الموصولة بشبكة الإنترنت بعد اكتشاف إخلالات أمنية في البرنامج.

وفي عام 2017 كان على شركة "سميث ميكال" أن تجري تعديلات على هذه الأجهزة. وفي العام نفسه طلب مزود الخدمة "سانت جود ميديكال" الطبية من قرابة نصف مليون مريض ممن لديهم أجهزة تنظيم نبضات القلب أو أجهزة إنعاش القلب الذهاب إلى مراكز المستشفيات لتزويد أجهزتهم بأحدث المستجدات الآمنة.

يقول البروفيسور لاكراديدي "يبدأ الأمن السيبراني الحقيقي بتصميم البرمجيات المحمية منذ البداية"، ينطبق هذا المبدأ أيضا على أكبر تقنية طبية مستخدمة في المستشفيات متصلة بالشبكة العنكبوتية، مثل أجهزة التنفس الاصطناعي أو التخدير. من جانبه يشدد هانز مولسن، مدير السلامة في شركة "دراغر" لصناعة التكنولوجيا الطبية، على "وجوب حماية معدات المستشفيات بشكل منهجي ضد التلاعب الذي يمكن أن يطال وظائفها".

ويضيف مولسن أنه يمكن القيام بذلك عن طريق تعزيز أنظمة التشغيل وإلغاء الوظائف التي لا يتم استخدامها. بالإضافة إلى ذلك يجب أن تكون الأنظمة قادرة على إضافة تعديلات الأمان وتحديث البرنامج لاحقًا ليكون بمقدورها أن تستجيب بسرعة عند الضرورة. وأيضا في حالة سقوط الشبكة أو انهيارها، يجب أن تكون الأجهزة قادرة على مواصلة العمل.

تكمن المشكلة في أن الأجهزة الطبية الضخمة باهظة الثمن، وغالبا ما يتم تشغيلها لسنوات عديدة، وبالتالي لا تحتوي بالضرورة على آخر التحديثات أو غير مزودة ببرامج لإضافة هذه التحديثات تلقائيا.

على الرغم من ذلك، من الواضح أن اتصال الأجهزة بالشبكة لاسلكيا وإمكانية التأثير عليها دون لمسها يعدان من الخصائص التي تعود بفوائد عديدة من وجهة النظر العلاجية، وهذا لا يسري فحسب على الأجهزة القابلة للزرع، التي يمكن التحكم فيها دون إجراء عمليات إضافية.

ففي حالة دخول المريض وحدة الرعاية المركزة على سبيل المثال يحاط بشكل مستمر بلمبات تضاء وتطفأ بالتزامن مع صدور أزيز متقطع أو رنات الأجهزة التي تواصل عملها آليا، لتزويده بالأكسجين، وقياس معدل الوظائف الحيوية، وإعطاء جرعات الدواء اللازمة وفقا لمؤشرات الأجهزة المتصلة لاسلكيا بالشبكة.

وغالبا ما تقوم هذه الأجهزة العديدة بمراقبة الحالة الصحية الدقيقة للمريض لتوفير العلاج الطبي. في حالة الطوارئ، ترسل هذه الأجهزة إنذارا إلى غرفة المراقبة الطبية. من الناحية الطبية تعتبر مساعدة سخية جدا، لكن من حيث الأمان التكنولوجي تعد مجالا مفتوحا لبعض الاحتمالات.

يبدو من الواضح أن الحماية ضد الهجمات السيبرانية وسرقة البيانات ستظل مسألة مقلقة باستمرار للمرضى ومقدمي الرعاية.

الجيل الجديد من الأجهزة للوقاية والعلاج الرقمي يقترب، خاصة في الولايات المتحدة، في صورة تطبيقات جديدة يتم تطويرها لقياس نسبة السكر في الدم، والمساعدة في التعامل مع الأمراض المزمنة وفي التعرف على الجلطات الدماغية أو سرطان الجلد وعدم انتظام نبضات القلب. ماذا يحدث مع كل هذه البيانات؟ وفقا للخبراء يجب أن يكون أمن تكنولوجيا المعلومات جزءا من المنظومة الشاملة منذ البداية.

كاميرات المراقبة الذكية تحرس المنازل والأطفال

❏ **لندن** – يواصل إنترنت الأشياء التغلغل في حياتنا أكثر فأكثر، ومع هذا التغلغل تصبح الأجهزة أكثر ذكاء. كاميرات المراقبة كغيرها من الأجهزة التقنية، تطورت وتحسنت واتصلت بالإنترنت لتشكل ما يسمى بالمنزل الذكي، أما الشركات المصنعة فهي مستمرة في التنافس على نيل رضاء واستحسان الزبائن الذين يخافون على منازلهم أو ممتلكاتهم فليجأون إلى تلك الكاميرات التي تراقب منازلهم أثناء غيابهم، بل حتى الأشخاص الذين يقطنون أكثر الأحياء أمنا، ممن يريدون مراقبة أطفالهم ربما أو إدارة منازلهم عن بعد.

كاميرات المراقبة الذكية نوعان؛ إما كاميرا سلكية أو كاميرا لا سلكية، والنوع الثاني هو الذي يمكن أن يتصل بالمودم أو الراوتر عبر شبكة الواي فاي، ويمكن أن يتصل بالشبكة المحلية أو حتى بشبكة الإنترنت، فالاتصال بالإنترنت يسمح لصاحب المنزل بالمراقبة والتحكم عن بعد، ويمكن أن يشاهد ما يجري أمام العدسة من أي مكان وعبر التطبيقات المخصصة لكل جهاز.

وتقدم شركة أمازون كاميرا مراقبة ذكية متصلة بخدمتها السحابية التي تقدم جزءا من خدمتها بشكل مجاني، ويمكن شراء الكاميرا والتمتع بالاشتراك في الخدمة السحابية من أجل مشاهدة الفيديوهات المسجلة وتحميلها من سيرفرات الشركة بشكل مجاني، فالخدمة السحابية المجانية تسمح باستعراض الفيديوهات المسجلة خلال 24 ساعة فقط، ومن أراد الزيادة في المدة وعدد الكاميرات يلزمه الاشتراك المدفوع.

بشكل عام الكاميرا الاحترافية فيها خاصية استشعار الحركة الذكي وإمكانية التصوير في الظلام

والتنبيهات الذكية التي تصل إلى الهاتف مباشرة، وكذلك التصوير بدقة عالية وزاوية تصوير عريضة، أيضا يمكن ربطها بالمساعد الذكي (أليكسا)، فمثلا يمكن أن يأمر صاحب المنزل أليكاس بأن يبث له ما تصوره الكاميرا على شاشة التلفزيون مباشرة وهو جالس في مكانه.

وتقدم شركة "نست" كاميرات مراقبة ذكية مختلفة الاستخدامات بالإضافة إلى جرس باب ذكي يوفر العديد من الخصائص منها التحدث الصوتي مع زوار المنزل، فضلا عن أنها تصور بدقة عالية، وثمة عدة ميزات أخرى.

وهناك كاميرات خارجية تتحمل تغيرات الطقس والمناخ، مقدمة من شركة "أرلو" المتخصصة في كاميرات المراقبة الذكية وملحقاتها، وهي تصور بدقة عالية وتقدم خاصية التحاور الصوتي والرؤية الليلية والتنبيهات التي تصل إلى الهاتف أو الإيميل، كما أن الشركة تتيح اشتراكا مجانيا في الخدمة السحابية والتي تسمح بالوصول إلى الفيديوهات المسجلة لآخر 7 أيام. إحدى الخصائص المثيرة للاهتمام والمتوفرة في عدد قليل من كاميرات المراقبة الذكية هي خاصية التعرف على الوجه، ومن هذه الخاصية يمكن أن تنفتح أبواب لعدة استخدامات في الحياة اليومية، فمن الناحية الأمنية قد لا يريد صاحب البيت أن يستقبل إشعارات حين يدخل فناء المنزل أحد أفراد الأسرة، لكن حين يكون الشخص غريبا ولم تتعرف عليه الكاميرا يصبح صاحب المنزل بحاجة إلى استقبال إشعار مباشر إلى هاتفه أينما كان.

وتتميز بعض الكاميرات بقدرتها على التعرف على وجوه أفراد الأسرة، حيث يتم إنشاء بروفايل لكل فرد في الأسرة ومن خلاله يمكن متابعة الشخص وسجل تواجده أثناء اليوم، ويمكن أن يستقبل صاحب البيت تنبيهات حين يصل ابنه إلى المنزل، وحين لا يتعرف الجهاز على الشخص يخبره بذلك أيضا، كما يمكن أن يستخدم الكاميرا للبث المباشر ثم المشاهدة الحية عبر الهاتف الذكي أو الجهاز اللوحي، وكذلك الساعات الذكية.

بما أن كاميرا المراقبة يتم تركيبها في مكان ثابت وتبقى هناك طيلة الوقت، فلماذا لا تتم الاستفادة منها في بعض الأمور الأخرى، مثل قياس درجة الحرارة والرطوبة، والقيام ببعض مهام الأمن والحماية مثل إحداث بعض الضوضاء في المكان للتمويه على اللصوص، وغيرها من الخصائص التي يمكن ان تضاف إلى الكاميرا لتؤدي مهام أخرى في الوقت ذاته، المنتج التالي يؤدي تلك المهام.

جديد الهواتف الذكية

«آيفون إكس تسلا» بالطاقة الشمسية

❏ أطلقت شركة كافيار الروسية هاتفا ذكيا فاخرا يحمل اسم "آيفون إكس تسلا"، وهو عبارة عن هاتف آبل موضوع داخل غلاف بطارية تعمل بألواح الطاقة الشمسية مع تطعيم الخلايا الشمسية المركبة في الجانب الخلفي بالذهب، والتي تعمل على شحن البطارية الإضافية.

ولشحن الهاتف بالطاقة الشمسية يجب وضعه تحت أشعة الشمس لفترة وجيزة، بحيث يكون الجانب الخلفي متجها نحو الأعلى.

هاتف هيدروجين ون بشاشة «ثري دي»

❏ قامت شركة ريد ديجيتال سينما بتنظيم حدث صحافي من أجل إلقاء الضوء على هاتفها هيدروجين ون الذي يعد أول هاتف ذكي بتقنية الإسقاط المجسم لحقول الضوء.

ولم تذكر الشركة بالتحديد تاريخ توافر الهاتف الرائد أو تكلفة الهاتف الذكي الذي يحمل نظام أندرويد مفتوح المصدر، لكنها قالت إنه سيصل خلال الصيف.

يذكر أن الهاتف يتضمن شاشة مجسمة ثلاثية الأبعاد بدقة 2560×1440 بيكسل قادرة على عرض الوسائط المتعددة ثنائية الأبعاد إلى جانب إمكانية عرض محتوى الواقع الافتراضي والمعزز.

سمارتيزان هاتف بذاكرة 1 تيرابايت

❏ أعلنت شركة سمارتيزان الصينية عن إطلاق جهازها "سمارتيزان أر 1" الجديد، والذي يعتبر أول هاتف ذكي بذاكرة داخلية بسعة 1 تيرابايت.

"سمارتيزان أر 1" الجديد بذاكرة وصول عشوائي سعة 8 غيغابايت. ويمتاز الهاتف الجديد بشاشة قياس 6.17 بوصة وتعمل بدقة وضوح 2242×1080 بيكسل، مع دعم وظائف 'ثري دي تاتش"، وتعمل الكاميرا الأمامية بدقة 24 ميغابيكسل، بالإضافة إلى وجود كاميراتين على الجانب الخلفي للهاتف.

غطاء هاتف ثقيل لتمرين العضلات

❏ صممت شركة صينية ما يمكن اعتباره أثقل غطاء هاتف في العالم، يمكن استخدامه للتمرين ومشاهدة مقاطع الفيديو في الوقت نفسه.

ويزن غطاء الهاتف الذي صممته شركة "سوفت بانك" 10 كيلوغرامات، حيث يمكن دمج هاتف آي فون مع أثقال من الحديد. وأثناء ممارسة التمارين يكون الهاتف مائلا بزاوية 25 درجة، وهي الزاوية المثالية لمتابعة الأفلام ومقاطع الفيديو.

الصيام يقلل الوزن ويحافظ على حجم العضلات

خلال الصيام تصبح الدهون المصدر الأساسي للطاقة

يختلف الكثير من الناس حول تأثير صيام رمضان على الوزن والكتلتين الدهنية والعضلية للجسم، فهناك من يرى أن التوقف المؤقت عن الأكل يرفع الشهية ويزيد النهم والرغبة في الطعام أكثر من ذي قبل، خلال الإفطار. وهناك من يرى في الشهر فرصة لا تعوض لكبح جماح الشهية المفتوحة، طوال النهار، والعمل على تعديل نظام الأكل.

❑ **لندن** – كشف الباحثون أن الصيام والالتزام بوجبتي إفطار وسحور صحيتين وخاليتين من السعرات الحرارية العالية يساعدان في الحصول على جسم رشيق ومتناسق ويحافظان على حجم العضلات.

ونشرت هيئة الخدمات الصحية الوطنية في بريطانيا قائمة من المعلومات حول ما يحدث داخل جسم الإنسان خلال شهر رمضان عندما يكون صائما. وأكدت أن للصيام فوائد صحية، لكن إذا كان بطريقة صحيحة.

وبعد الشروع في الصيام الذي يتواصل حوالي ثماني ساعات أو أكثر خلال شهر رمضان، تبدأ آثاره، مباشرة بعد انتهاء القناة الهضمية من امتصاص العناصر الغذائية من الطعام.

ويفسر الباحثون أن المصدر الرئيسي للطاقة في الجسم، خلال الأيام العادية، هو الغلوكوز الذي يتم تخزينه في الكبد والعضلات. لكن مع الصيام ونفاد الغلوكوز، تصبح الدهون هي المصدر التالي لطاقة الجسم، وهو ما يعني أن رمضان فرصة رائعة لإنقاص الوزن.

وأضافوا أن رمضان يختلف عن الجوع والمجاعة والإضراب عن الطعام، إذ مع استمرار الجوع العادي لفترات طويلة من أيام أو أسابيع عديدة، يبدأ الجسم باستخدام البروتين وكسر مركباته للحصول على الطاقة. لكن رمضان شيء مختلف ولا يسبب هذه الأضرار، إذ يؤكد مستشار أكسفورد، رازين مهروف "من غير المحتمل أن تصل إلى مرحلة المجاعة خلال شهر رمضان، لأن الصيام ينتهي يوميا". وفي رمضان يعرف الجسم "انتقالا لطيفا من الغلوكوز إلى الدهون"، وفق موقع الهيئة البريطانية، إذ أن التغير في توقيت الوجبات يوفر انتقالا لطيفا من استخدام الغلوكوز كمصدر رئيسي للطاقة إلى استخدام الدهون، ويمنع انهيار العضلات بسبب استهلاك البروتين.

ويساعد استخدام الدهون للحصول على الطاقة في فقدان الوزن، لكنه يحافظ على حجم العضلات، ويقلل في نهاية المطاف من مستوى الكولسترول، كما يساعد على تحسين السيطرة على مرض السكري ويقلل من ضغط الدم.

ومع مرور أيام الصيام تتزايد مستويات الإندورفين في الدم، ما يجعل الصائم أكثر يقظة، كما يمنح صحة نفسية عامة.

لكن الهيئة تستدرك بأن الصائم لن ينال فوائد رمضان إذا لم يعتمد على نظام غذائي صحي، فالكلى تساهم في الحفاظ على الماء والأملاح في الجسم، لكنهما يتناقصان بسبب العرق.

ولمنع انهيار العضلات، يجب أن تحتوي الوجبات الغذائية على ما يكفي من الطاقة، مثل الكربوهيدرات وبعض الدهون، بشرط أن تظل الوجبات متوازنة حتى لا تتسبب بزيادة في الوزن.

وأجرت الدكتورة كريستا فارادي من جامعة إلينوي في شيكاغو تجربة على مدار ثمانية أسابيع للمقارنة بين مجموعتين يعاني أفرادهما من زيادة الوزن حال تطبيق "صوم يوم بالتناوب".

ونقلا عن هيئة الإذاعة البريطانية بي.بي.سي، قالت فارادي "إذا التزمت بأيام الصوم، لن تجد مشكلة حال تناول أطعمة مرتفعة أو منخفضة الدهون في الأيام التي لا تصوم فيها وذلك في ما يتعلق باحتمالية الإصابة بأحد أمراض القلب والشرايين".

وأضافت "رأيت أنه لا يمكنني تحمل نظام 'صوم يوم بالتناوب'، وأنه غير عملي بدرجة كبيرة. ولذا اتبعت نظاما أسهل، من خلال تناول الطعام بصورة طبيعية لمدة خمسة أيام أسبوعيا. ولا توجد قواعد حاسمة لأنه لم يجر حتى الآن سوى القليل من التجارب.

ووجدت أني في أيام صومي أفضل عند تناول إفطار خفيف (نحو 300 سعرة حرارية) مع الكثير من المياه وأعشاب الشاي نهارا ووجبة عشاء خفيفة (مثل سمك مشوي مع الكثير من الخضروات). وخلال الأيام التي لا أصوم فيها أتناول الطعام كالمعتاد ولم أشعر بأني لدي رغبة في تناول الكثير من الطعام".

وأوضحت أنها التزمت بهذا النظام لخمسة أسابيع فقدت خلالها بعضا من وزنها. كما تحسنت قراءات الدم، ومنها الكولسترول والغلوكوز. وأشارت إلى أنها إذا تمكنت من الاستمرار في ذلك، سيقلل كثيرا من احتمالية إصابتها بالأمراض المرتبطة بالتقدم في العمر مثل السرطان والسكري.

وفي السابق، كان الباحثون يشددون على أن التمارين الرياضية أكثر أهمية من النظام الغذائي في مواجهة البدانة، ذلك أن الصيام المتقطع لا يمكن، وفق رأيهم، أن يقود إلى نتائج مماثلة لما يحققه أولئك الذين يواظبون على ممارسة التدريبات. غير أن هذه النظرية تختلف تماما مع نتائج إحدى الدراسات.

وتقول الدراسة التي أجريت على أفراد من قبيلة هادزا في تنزانيا والتي يعمل أفرادها في صيد الحيوانات، إن كمية السعرات الحرارية التي نحتاجها هي من الخصائص الثابتة للإنسان.

ويشير هذا إلى أن الأشخاص في أوروبا والولايات المتحدة يزدادون بدانة نتيجة الإفراط في تناول الطعام وليس من خلال أنماط الحياة غير النشطة، كما يقول العلماء.

ومن المتوقع أن يكون هناك شخص من بين كل ثلاثة أشخاص تقريبا من إجمالي سكان العالم يعاني ازدياد الوزن، وذلك وفقا للأرقام الصادرة عن منظمة الصحة العالمية.

ويُعتقد أن نمط الحياة الغربية هو الذي يُلام إلى حد كبير كسبب للبدانة.

وهناك عوامل عدة مسؤولة أيضا، بما في ذلك الأغذية المصنعة التي تحتوي على نسب عالية من السكر والدهون، ونمط الحياة غير النشط حيث توجد السيارات والآلات التي تقوم بأكثر الأعمال يوميا.

ولا يزال التوازن النسبي بين الإفراط في تناول الطعام وعدم ممارسة الرياضة مثار جدل مستمر.

ويعتقد بعض الخبراء أن حاجتنا إلى السعرات الحرارية قد انخفضت بشكل كبير منذ قيام الثورة الصناعية.

وتم إجراء الدراسة التي نقلتها بي.بي.سي عن مجلة "بلاس ون" العلمية، من خلال النظر إلى الطاقة الصادرة من الأشخاص الذين يعيشون في قبيلة هادزا في تنزانيا والذين يعملون في الصيد، وقد استخدموا نموذجا لنمط الحياة لدى الإنسان القديم. ويصطاد أعضاء هذه القبيلة، البالغ عددهم نحو ألف شخص، الحيوانات ويجمعون الثمار مثل التوت والفواكه الأخرى وهم على أقدامهم وذلك باستخدام السهام وأدوات القطع البسيطة والصغيرة، ولا يستخدم هؤلاء أي أدوات حديثة أو بنادق للصيد. وقد قاس فريق من العلماء من الولايات المتحدة وتنزانيا، والمملكة المتحدة تصريف الطاقة لدى 30 من الرجال والنساء في القبيلة من الذين تتراوح أعمارهم بين 18 عاما و7 أعوام.

ووجد الباحثون أن مستويات النشاط البدني كانت أعلى بكثير لدى الرجال والنساء في هذه القبيلة، ولكن عندما تم قياس معدل التمثيل الغذائي لديهم في ما يتعلق بالحجم والوزن، لم يكن هذا المعدل يختلف عن المعدل الخاص بالأشخاص الآخرين في أوروبا وأميركا. وقال هيرمان بونتزر من قسم الأنثروبولوجيا في كلية هنتر في نيويورك، كان يفترض أن الصيادين يحرقون المئات من السعرات الحرارية يوميا أكثر من البالغين مثلا في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا.

وقال إن هذه البيانات جاءت مفاجئة، وهي تسلط الضوء على التعقيدات المتعلقة بتصريف الطاقة. لكنه شدد على أن ممارسة الرياضة البدنية لا تزال أمرا مهما للحفاظ على صحة جيدة.

وأضاف "هذا يعني بالنسبة إلي أن السبب الرئيس وراء البدانة لدى الغربيين هو لأننا نأكل كثيرا، وليس بسبب ممارستنا للقليل جدا من التمارين".

نظام الصيام المتقطع يعتمده الغرب أيضا لإنقاص الوزن

> التغير في توقيت الوجبات يوفر انتقالا لطيفا من استخدام الغلوكوز كمصدر رئيسي للطاقة إلى استخدام الدهون ويمنع انهيار العضلات

الإحماء يقلل حدة الوخز الجانبي أثناء الركض

❑ **برلين** – يعاني البعض من ألم جانبي أثناء الركض، ولا يوجد حتى الآن تفسير علمي قاطع له، إلا أنه من السهل مواجهته والوقاية منه. وقال البروفيسور كلاوس فولكر إن الألم الجانبي أثناء ممارسة الركض يظهر في صورة وخز شديد على الجانب الأيمن أو الأيسر للبطن. ولم تتمكن الأبحاث العلمية حتى الآن من تحديد سبب الألم والمكان الذي يأتي منه الوخز بشكل قاطع.

وأضاف عضو الجمعية الألمانية للطب الرياضي والوقاية أنه توجد نظريات تفسيرية عديدة، بعضها يُرجع السبب إلى زيادة حجم الدم بمقدار عشرين مرة خلال ممارسة الركض، وأخرى إلى تمدد حواف الأمعاء الغليظة بسبب تكون فقاعات غازية أثناء الركض.

ومن جانبه أشار دانييل لاي، من الجامعة الرياضية الألمانية في كولن، إلى أن بعض النظريات تربط بين الألم الجانبي والحجاب الحاجز، في حين ترجح نظريات أخرى أن السبب يكمن في الوضعية الخاطئة للجسم كالانحناء أثناء الركض.

وقد يحدث الوخز الجانبي بسبب أداء التمارين الرياضية بشكل خاطئ أو بسبب العودة إلى ممارسة الركض بعد فترة توقف طويلة.

ومن الأسباب المحتملة أيضا الأكل قبل الركض، وهو ما يمكن أن يسبب تهيّجا في المعدة. ويرى لاي أن الألم الجانبي أثناء الركض يعود لمزيج من الأسباب. والشيء الثابت هو أن الوخز الجانبي أمر غير سيء، فهو يزول بعد التمارين الرياضية ولا يترك وراءه أي أضرار. وللوقاية من الألم الجانبي يتعين على الرياضي مواءمة البرنامج الرياضي مع قدراته الخاصة، وعدم المبالغة وإثقال الكاهل. ومن الأمور المفيدة أيضا إجراء عمليات الإحماء بشكل جيد والتدرج في زيادة الحمل التدريبي، كما ينبغي تقوية عضلات الجذع بشكل مستهدف لمنع التشنجات في منطقة البطن.

كما شدّدت أخصائية العلاج الطبيعي الألمانية أوته ريبشليغر، على ضرورة إجراء عملية الإحماء لمدة 3 إلى 5 دقائق قبل ممارسة الرياضة، لا سيما تمارين تقوية العضلات، موضحةً أهمية ذلك بقولها "يعمل الإحماء على تهيئة العضلات والمفاصل للتحميل عليها بشكل سليم، وحمايتها من التعرض لتحميل زائد".

ويجب عدم تناول وجبات الطعام الكاملة قبل أداء التمارين الرياضية بساعتين أو ثلاث ساعات لإعطاء الجسم الوقت الكافي لعملية الهضم، مع مراعاة الإقلال من الأطعمة المسبب للانتفاخ لتقليل فرص تكون الفقاعات الغازية. وفي حال حدوث الألم ينبغي الركض ببطء أو التوقف لفترة قصيرة لتقليل الضغط وإراحة الحجاب الحاجز. كما يمكن مواجهة الألم من خلال تمارين التنفس، مثل اتخاذ وضعية قائمة للجسم وفرد الذراعين لأعلى وإطالة العضلات المشاركة في عملية التنفس. ذكر الموقع الأميركي "مايو كلينيك" أن الركض على المدى الطويل يفقد الجسم الكثير من السوائل، مما يتسبب في ظهور حالة من الجفاف، بالإضافة إلى ظهور بعض الأعراض الأخرى مثل التعب والصداع. كما يؤثر الركض على المدى الطويل على الركبتين ويزيد من خطر التهاب المفاصل.

ويشار إلى أنه على عكس الإصابات التي تنتج عن بعض الصدمات، فإن التهاب "الأوتار أخيل"، وهو الوتر الذي يربط عضلات الساق وكعب العظام، يسبب الإجهاد المتكرر. وأعراض هذا الالتهاب يمكن أن تشمل الوتر في ربلة الساق وألم الكعب والتصلب والتورّم. ووفقا للأكاديمية الأميركية لجراحي العظام، تحدث معظم حالات التهاب الأوتار أخيل بسبب زيادة سرعة الركض، مع زيادة المسافات بسرعة كبيرة جدا دون أخذ قسط من الراحة.

وتعرّف الكلية الأميركية للقدم والكاحل لجراحة العظام والطب المشط كمجموعة من الأعراض التي يمكن أن تتضمن الشعور بالآلام الحادة والتنميل والالتهاب في إحدى القدمين أو كلتاهما. ويحدث المشط مع الركض أو المشي غير الطبيعي وبسبب الضغوط التي يمكن أن تسبب الإجهاد. ومن بين الأسباب الأخرى الشائعة التي يمكن أن تحدث أيضا من الركض على المدى الطويل ارتداء الأحذية غير المناسبة أو التي لا تحتوي على الخصائص الأساسية والضرورية لسلامة المتدرب.

ويؤكد تقرير سابق نشر في الموقع الألماني "دويتشه فيله" أن ممارسة الركض، بشكل معتدل ومنتظم لها فوائد جمة على صحة الإنسان، حيث تساهم في تدريب عدد كبير من عضلات الجسم في نفس الوقت. بيد أن الإسراف والمبالغة في ممارستها على المدى الطويل يمكن أن يؤديا إلى الإضرار بالجهاز القلبي الوعائي. وتوصلت الدراسة الدنماركية إلى أنه يمكن الوقاية من التعرض لهذا الخطر من خلال ممارسة الرياضة "باعتدال". كما حذر الباحثون الذين أجروا الدراسة من الركض السريع للغاية وأكدوا أنه لا يمكن الاستفادة من فوائد رياضة الركض إلا عند ممارستها على هذا النحو.

> الألم الجانبي أثناء ممارسة الركض يظهر في صورة وخز شديد على الجانب الأيمن أو الأيسر للبطن

تجدر الإشارة إلى أنه تم نشر هذه الدراسة في المجلة العلمية الأميركية المتخصصة "جورنال أوف ذا أميركان كوليدج أوف كارديولوجي". ووفقا للدراسة، يفضل ممارسة رياضة الركض لمدة ساعتين ونصف أسبوعيا تقريبا، بحيث يتم توزيعها على أكثر من ثلاث مرات أسبوعيا. وتشير جملة من الدراسات التي أجريت في هذا المجال إلى الفوائد الصحية لممارسة رياضة الركض، لا سيما بالنسبة إلى المصابين بأمراض القلب والأوعية الدموية، ولكن عند ممارسته بشكل معتدل.

ويقول خبراء الصحة إنه يمكن الحد من الشعور بالضغط العصبي عند المواظبة على ممارسة رياضة الركض، وإنها تساعد على تقوية العضلات والوقاية من الإصابة بهشاشة العظام ناهيك عن دورها في إنقاص الوزن، الأمر الذي يساعد على الحد من الحد من خطر الإصابة بالأمراض الناجمة عن زيادة الوزن كالسكري مثلا.

الوخز الجانبي قد يرجع إلى التدرب بشكل خاطئ

الفراغ الفكري يفتح أبواب الصراع على عقول الشباب

ضعف المنطلقات الفكرية مفتاح لمن يملك التأثير والقدرة على الإقناع لتحريك الشباب

الفشل في الحياة العامة والعجز عن التطوير والابتكار والاستسلام للموروث السلبي والتقاليد والنمطية الفكرية، كلها نتائج للفراغ الفكري الذي يعيشه الكثير من الشباب العربي اليوم، لكن القضية الأكثر خطورة هي السيطرة على العقول واستمالتها وإعادة توجيهها نحو الأفكار المتطرفة.

❏ **تونس** – تلتقي المخاوف من تسرب الفكر المتطرف أو الإلحاد عند قضية واحدة يعاني منها أغلب الشباب العربي وهي الفراغ الفكري وغياب الهدف، اللذان يجعلان الشباب أكثر سهولة وميلا لتبني آراء ومواقف منحرفة أو سلبية، وفقا لقدرة الطرف الآخر على التأثير والإقناع.

ويرى العديد من الاختصاصيين الاجتماعيين أن الشباب بمختلف شرائحهم وانتماءاتهم يعانون مشكلات وأزمات، دون وجود جهات داعمة تستمع لشكواهم وتتفهم احتياجاتهم ومعاناتهم. وهذه الخطوة تجعل من الممكن لمن يمتلكون التأثير والقدرة على الإقناع أن يصلوا إلى قلوب الشباب وأن يحركوها كما يريدون.

منزلقات متطرفة

لا تخلو الممارسة الإقناعية من خطورة قد تحيد بالشباب إلى منزلقات فكرية متطرّفة، وقد تكون خطوة نحو البناء والإيجابية. ويكمن التحدي الحقيقي في البحث عن الدواء الأنسب لحاجات الشباب وإقناعهم بوعي بمدى أهمية العلاج وتحسين أحوالهم النفسية بالدرجة الأولى لتعزيز ثقتهم بأنفسهم وقيمهم.

ويذهب بعض المختصين إلى القول إن ضعف المنطلقات الفكرية لدى الشباب، تعود إلى الثورة التكنولوجية المتسارعة ومواقع التواصل الاجتماعي، خصوصا فيسبوك، حيث أصبحت مرجعيتهم الفكرية التي يستمدون منها مصادر معلوماتهم دون إمكانية التحقق من صحة تلك المعلومات، إضافة إلى عدم صلاحية تلك الوسائل، تشكل مصادر موثوقة يمكن الاعتماد عليها لتشكيل هوية فكرية لحاملها.

ويلاحظ أحمد أبوحجل، اختصاصي فلسطيني في علم الاجتماع، أن حجم الفراغ الفكري الذي يعاني منه الجيل الشاب، يعود إلى النمط الاستهلاكي الذي يعيش عليه شباب اليوم بقضاء معظم أوقاتهم في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، على حساب القراءة والاطلاع على العلوم.

ويضيف في تصريحات لـ"العرب"، أن ذلك يحمل خطورة كبيرة باعتبار وسائل التواصل الاجتماعي ولا سيما فيسبوك، ليست لها أي هوية أو مرجعية فكرية يمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها كمصدر للمعلومات.

> تأسيس أرضية فكرية ثابتة، يعمل على تقوية الشخصية والفكر وإيجاد مناعة ضد المؤثرات السلبية التي قد تطمس المعالم الإنسانية السوية والقيمية لدى الفرد، عندها لا حاجة للخوف من الانفتاح على الثقافات الأخرى

وتترتب على حالة الفراغ الفكري لدى الشباب الكثير من السلبيات منها عدم القدرة على المشاركة في صنع القرارات وعدم القدرة على حل المشكلات التي قد تواجههم والشعور بانعدام الأهمية.

يضاف إليها الفشل في الحياة العامة والعجز عن التطوير والابتكار، والاستسلام للموروث السلبي والتقاليد والنمطية الفكرية.

ويرتبط الفراغ الفكري ارتباطا وثيقا بغياب الهدف.

ويؤكد موسى مطارنة اختصاصي علم النفس في الأردن على أهمية هذا الجانب، بالقول "الهدف عنصر رئيسي وأساسي في حياة الإنسان، وعليه يجب على الآباء مساعدة الأبناء على تحديد أهدافهم في الحياة تجنبا لجعل الأبناء يعيشون فراغا يخلق عندهم حالة من الارتباك".

وأضاف، "للأسف نرى الجيل الجديد يهتم بمظهره متأثرا بثقافات غربية أكثر من اهتمامه بتحقيق هدف يضعه نصب عينيه، وهذا نتيجة غياب الثقافة، لذلك هناك أهمية كبيرة لدور المؤسسات التربوية والأسرة والمدرسة في تعليم الطلبة كيفية وضع الهدف وتحقيقه وكيف يبنون خارطة طريقهم نحو هذا الهدف، وكيف يصنعون أولوياتهم ومتطلباتهم لأجل تحقيقه، وتعليمهم المهارات اللازمة وصقل شخصياتهم، وجميعها تولد لديهم تفاعلا داخليا يبني عندهم ثقافة مختلفة".

لا هدف واضحا

قنوات تواصل سلبية

ومن جهتها ترى رجاء البوعلي، أن حالة التذبذب الفكري والعقدي التي يعيشها الكثير من الشباب اليوم، هي نتيجة طبيعية لحركة التبادل المعرفي والثقافي عبر قنوات التواصل العالمية.

وأضافت خلال ندوة بعنوان "الفراغ الفكري والشباب المعاصر"، عقدت في العاصمة الأردنية عمان هذا الأسبوع، أن المجتمع يعيش حالة من التحدي على مستوى الفكر، وعليه أن يهب لإدراكه وكسبه في نهاية المطاف.

واعتبرت أن الشباب هم الأكثر تأثرا وتأثيرا بهذا المخاض الفكري، متأملة ولادة حالات إيجابية بناءة، تساعد في تقويم الفكر واستعادة قوته وضمان نتاجه الصاعد لدى الشباب.

وفي مداخلة للاختصاصية التربوية منى عبدالله الصالح، لفتت إلى أن الفكر عبارة عن إنتاج لفكرة جديدة، لم تكن موجودة لكنها تشكلت نتيجة تمازج أفكار متنوعة مع بعضها البعض، وهذا التفعيل الإيجابي للتفكير يعود بالغنى والثروة الفكرية على الإنسان، بينما يظل المتجاهل له يعيش فراغا فكريا كبيرا.

وعرفت الفراغ الفكري بأنه خلو العقل من الوعي، بمعنى أن العقول تحتوي على أفكار ولكنها لم تصنع وعيا، فكلما زاد وعي الإنسان كلما زادت قدرته على الإبداع والتفكير النقدي والإنتاج الخصب.

وأرجعت، حقيقة وجود حالة من الفراغ الفكري لدى الشباب، إلى المؤسسات الحاضنة؛ كالأسرة والمدرسة.

وشددت على أنها تنتقل بسلاسة وانسيابية من المربين إلى الأجيال الشابة، فالبيئة الحاضنة التي ينشأ فيها الأبناء تتحمل وزر الضياع الذي يعيشه بعض الشباب.

ونوهت أنه على العكس تماما؛ فإن توفير مساحات حرة للتساؤل والاعتراض والنقد حول مختلف الموضوعات الحياتية، يخلق حالة من الوعي والنضج الفكري والسلوكي مع مرور الوقت.

وعبّرت عن أسفها لاستمرارية منهج التلقين لدى بعض المناهج والأساتذة في المدارس والجامعات وعدم منح الطالب فرصة كافية لطرح فكره المختلف، ما يؤثر سلبا في بعض الأحيان على النشاط الذهني والطموح لدى المتعلمين.

ورأت أن المؤسسات التربوية والاجتماعية يجب أن تمنح الفرد الحق في التعبير عن الرأي والرغبة الشخصية والميول، دون أن تهمل دورها في التوجيه والإرشاد المعقول، لأن ذلك يصنع فكرا نقديا ومنتجا يثري الوسط الشبابي في المجتمع.

وأكدت أن تأسيس أرضية فكرية ثابتة لدى الأبناء، يعمل على تقوية الشخصية والفكر وإيجاد مناعة ضد المؤثرات السلبية التي قد تطمس المعالم الإنسانية السوية والقيمية العالية لدى الفرد، عندها لا حاجة للخوف على الأبناء من الانفتاح على الثقافات الأخرى، بل إن ذلك قد يفتح لهم آفاقا بعيدة مليئة بالوعي والنضج.

وتطرقت إلى أن دور الإعلام في تسطيح الفكر وتحجيم مدارك العقل لدى الأجيال الشابة، يأتي نتيجة لبساطة البرامج وضحالة المحتوى الفضائي بشكل عام، فنسبة البرامج البناءة والهادفة لا تقارن قياسا بالأعداد الهائلة من البرامج الهابطة والخاوية من السمو الفكري والأخلاقي، ومع هذا فإن الإعلام الحديث يعد عاملا رئيسا في تحريك الثقافة والوعي بتلاقح الأفكار وتمازج الرؤى وتوفير المصادر المتنوعة والثمينة، الأمر الذي لم يكن متوافرا في السابق.

خطة عمل

وأظهرت نتائج دراسة بعنوان "الشباب في مواجهة الفكر المتطرف" أعدها صندوق دعم البحث العلمي في الأردن، أن الجهل والفراغ الفكري من أبرز أسباب تطرف الشباب.

وتهدف الدراسة التي اشتملت على خطط تنفيذية لكل محور من محاورها، إلى البحث في أسباب انتشار الفكر المتطرف وتأثيره على الشباب، ووضع خطة عمل وطنية تتضمن مجموعة من الإجراءات التنفيذية العملية لمواجهته ومحاصرته وتحصين الشباب من الوقوع فريسة لهذا الفكر.

وعرض عبدالناصر أبوالبصل في الدراسة نتائج المحور الديني، وقال إن من أهم أسباب انتشار هذا الفكر: الجهل، والفراغ الفكري، وقلة التحصين، ووجود شبهات لا يملك الشباب القدرة على ردها بسبب المعرفة السطحية لها، ومرور الشباب بظروف خاصة بسبب الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المحيطة، وانتشار المخالفات الشرعية دون معرفة لفقه الدعوة الصحيح، بالإضافة إلى وجود هجوم مبرمج وفق منهجية علمية من قبل الجماعات المتطرفة موجهة للشباب من مستخدمي وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي المتاحة وغيرها من التقنيات الحديثة.

وتوصلت الدراسة من حيث علاج ظاهرة التطرف إلى مجموعة من الإجراءات التي يتوجب اتخاذها بين مؤسسات الدولة كافة ذات العلاقة وكلٍ حسب اختصاصه.

وبينت أهمية تخصيص برامج متخصصة للشباب في وسائل الإعلام وإيجاد وسيلة لإيصاله من خلال رسائل التواصل الاجتماعي، وتدريب وتأهيل العاملين في المؤسسات التعليمية ليتمكنوا من التصدي لأي أفكار قد تؤدي إلى انزلاق الشباب، والتركيز على رسالة عمان وإدخالها في المناهج الدراسية، وتدريب الطلبة على إدارة الوقت وتكثيف البرامج اللامنهجية في أوقات الفراغ وغيرها من الإجراءات.

وعلى النقيض يرى بعض الباحثين أن الفراغ الفكري قد يقود إلى الإلحاد.

ويقول الدكتور عبدالفتاح العواري، عميد كلية أصول الدين بالقاهرة، إن فلسفات الغرب تدفع بأفكارها وكتاباتها المستهجنة الرخيصة والمترجمة إلى لغتنا في قصص جذابة يقرؤها شبابنا فيجد فيها رفعا لسائر الحواجز، وتفتّح لهم الباب واسعا أمام رغباتهم وشهواتهم الإباحية، وتصور لهم الدين عائقا أمام تلك الرغبات، وأن الإلحاد هو الذي يحقق لهم كل ما يتمنون، فلا أمر ولا نهي ولا حدود ولا دين، كما أن الأجندات السياسية الدولية وبعض قوى الشر في الداخل، ليست بغائبة عن المشهد، من خلال بث الأفكار المتطرفة المتلبسة بالدين زورا وبهتانا لدفع الشباب إلى اعتناقها بغية تدمير المجتمع وتفكيك أواصره وتقسيمه إلى طوائف متناحرة، تخدم أعداء الإنسانية، وما يحدث في المنطقة العربية خير شاهد على ذلك.

ما يرغب الشباب العرب في قوله للعالم

❏ تناقش كل من لورا بونفورا ومريام كاتوس ما يرغب الشباب العرب في قوله للعالم والرغبة في التعرف بصورة أفضل على واقع المجتمعات التي تعيش منذ عام 2011 تقلبات لم يسبق لها مثيل، وذلك في كتاب "الشباب العرب من المغرب إلى اليمن.. أوقات الفراغ، الثقافات والسياسات".

ويتجاوز الكتاب الأحكام المسبقة المختزلة وغيرها من البديهيات المغلوطة التي انتشرت منذ عام 2011، حين كان الشباب العرب مدعوين إلى إعطاء معنى للربيع الذي يتصف بالصفة ذاتها ولجملة التحولات التي أطلقتها هذه المسارات الاحتجاجي، وذلك حسب ما ذكرت دار النشر على موقعها الرسمي.

وترى مؤلفتا الكتاب أن الواقع يشي بغير ذلك، فالشباب العرب، بين بلد وآخر وبين شريحة اجتماعية وأخرى، يفتقرون إلى التجانس في أنماط عيشهم. وقد تتصف أوقات فراغهم بأنها انتهاكية، كتفحيط الشباب السعوديين بسياراتهم، واسترجال شقيقاتهم "البوية"، أو الجرأة الذكورية لدى الفتاة التونسية، أو التفلت من الضوابط لدى بعض الطالبات المغربيات.

بيد أن ثمة ما يفوق ذلك. فهؤلاء الشباب يرفضون تحجيمهم إلى مجرّد ردة وراثية. وغالباً ما يفضل الشباب إعادة تفسير موروثهم الاجتماعي والثقافي، وإعادة بنائه وتوليفه بدلاً من دفنه.

ما العمل إذن لمعرفة ما "يعد به" هؤلاء الشباب؟ سوى التقرب من حياتهم اليومية، "بعيدا من الخطب التقليدية"، وتعلّم لغاتهم، وفك رموز شعائرهم القديمة والجديدة، وتفهم لهفتهم.

تعليم النساء ثروة مهدورة في المجتمعات العربية

حق المرأة العربية في التعليم مضمون بالدساتير ومهضوم في الواقع

العالم العربي يسير إلى الوراء في مسألة تحقيق التكافؤ بين الجنسين في مجال التعليم، مما يقوض جهودا أشمل لمكافحة الفقر ويهدد الأمن والاستقرار، ويبقى الحل الأمثل لمجابهة هذه المشاكل وضع مسألة تعليم الفتيات ضمن الأولويات حتى لا تدخل المجتمعات العربية في دورة إنتاج نفس الأزمات.

يمينة حمدي
صحافية من تونس مقيمة في لندن

❏ فشلت معظم الدول العربية في تحقيق المساواة بين الجنسين في التعليم، ولا تزال الملايين من الفتيات خارج مقاعد الدراسة، ويتوقع أن يتفرغن للعمل المنزلي ورعاية الإخوة الصغار والعمل في الأنشطة الزراعية عوضا عن التوجه إلى المدارس. كما تتزوج العديد منهن وهن صغيرات السن، وهو ما يقضي على أي أمل في حصولهن على قدر من التعليم.

وفي وقت تتمحور فيه النقاشات المتعلقة بالتعليم في الدول المتقدمة حول مواضيع تتعلق بجودة التعليم وأهمية تكافؤ الفرص بين الجميع، بغض النظر عن الجنس والخلفية الاجتماعية أو الاقتصادية، وتُمنح الفتيات المزيد من الفرص والامتيازات لتحقيق تطلعاتهن المهنية وضمان حصولهن على وظائف لائقة في حياتهن، ما زالت العديد من الأسر في المجتمعات العربية تنظر لتعليم الإناث على أنه مضيعة للوقت، ويتمحور مستقبلهن في الغالب حول الزواج والعناية بالأسرة.

ورغم الجهود التي تبذلها بعض الحكومات العربية لسد الفجوة بين الجنسين في مجال التعليم، إلا أن نسبة الأمية قد وصلت في صفوف النساء العربيات إلى حوالي 25.9 بالمئة في حين لم تتجاوز النسبة 14.6 بالمئة في صفوف الذكور، بحسب ما كشفت عنه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الألكسو".

ويعكس ارتفاع نسبة الأمية في صفوف النساء تشابك العوامل التشريعية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، حيث تواجه المرأة في المنطقة العربية مجموعة من الضغوط تحد من فرص تعليمها.

وتمثل الصراعات المسلحة التي تشهدها عدة دول عربية عقبة بارزة تحول دون التحاق الفتيات بالمدارس وتسهم في حرمانهن من اكتساب المهارات اللازمة، التي تؤهلهن للحصول على فرصة عمل مستقبلا، مما يجعلهن على الأرجح يتحملن جانبا أكبر من المعاناة الناتجة عن الفقر في مجتمعاتهن مقارنة بالرجال.

توسع دائرة الأمية

يرى الباحث السعودي في القضايا الاجتماعية عبدالعزيز الكلثم، أن الأمية ظاهرة عالمية موجودة في كل المجتمعات البشرية، سواء أكانت هذه المجتمعات متقدمة أم نامية، ولكن معدلاتها تختلف طبقا لمستويات الوعي المجتمعي والبعد الحضاري والثقافي لكل مجتمع.

وقال الكلثم في حديث لـ"العرب"، "الأمية قضية معقدة وتدخل فيها العديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية"، مشددا على أن معدلات الأمية في المجتمعات العربية قد وصلت إلى مؤشرات خطيرة.

وأضاف "تقف العديد من الأسباب خلف توسع دائرة الأمية بين النساء في العالم العربي، ومنها تدني المستوى التعليمي للوالدين، وافتقار بعض الدول العربية إلى القوانين التي تلزم الأسر بإلحاق أبنائها بالمدارس، وتتمسك بعض المجتمعات العربية بالعادات والتقاليد التي لا تتقبل مشاركة المرأة في الحياة العامة، بالإضافة إلى انعدام الاستقرار السياسي والحروب، والفقر وضعف الميزانيات المخصصة للتعليم".

وأكد أن ظاهرة الأمية تؤثر بشكل سلبي على التنمية الاجتماعية داخل البلدان، وتساعد على انتشار الجهل بين الناس وقلة الوعي الثقافي والحضاري والفقر والبطالة، وتكون سببا بارزا في تدني مستوى المعيشة وانخفاض دخل الأسرة.

وختم الكلثم بقوله "الشرائح غير المتعلمة تكون على الأرجح الأكثر استدراجا من قبل الجماعات المتطرفة، والأكثر إقداما على ارتكاب السلوكيات المنحرفة كالسرقة وتجارة المخدرات أو إدمانها".

الاستثمار في الاقتصادات القوية

يمكن لتعليم الفتيات أن يحل العديد من المشاكل في المجتمعات، فهو يتعلق بالاستثمار في الاقتصادات القوية والمجتمعات الأكثر صحة، كما أن له دورا مهما في إنهاء الصراعات والمحافظة على السلام، وهو في الأساس يعمل على إعطاء الحياة في العالم بأسره قيمة أكبر.

وكشفت إحصائيات دولية أن التحسن في التحصيل العلمي لدى الفتيات في الـ50 عاما الماضية كان عاملا رئيسيا في دفع عجلة النمو الاقتصادي في البلدان المتقدمة، وأتاح للمرأة المزيد من الفرص، بالاعتماد على ما اكتسبته من مؤهلات علمية، ولكن الطريق أمام الطموحات العلمية والمهنية للمرأة العربية ما زالت محفوفة بالكثير من الصعوبات، بسبب القيود المفروضة على مستقبل الفتيات وتوقعاتهن الوظيفية.

وبيّن تقرير مؤشر التنمية البشرية الذي يصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن الدول العربية تتذيّل قائمة الدول التي تخوض فيها المرأة معترك سوق العمل، فمعدل مشاركة المرأة في القوى العاملة لا يتجاوز 23 بالمئة. وهذا يجعلها النسبة الأدنى في العالم مقارنة بـ65 بالمئة في شرق آسيا التي تعتبر الأعلى و59 بالمئة في دول منظمة التعاون الاقتصادي.

وذكر التقرير أن الدول العربية تخسر ربع قيمة دليل التنمية البشرية إذا أخذ بعين الاعتبار عدم المساواة في التعليم والصحة والدخل. واعتبر التقرير أن عدم المساواة، خاصة في مجال التعليم، سبب رئيسي في تفاوت الفرص واختلاف التجارب التي يعيشها سكان العالم العربي، إذ يصل مستوى التفاوت في التعليم إلى 38.9 بالمئة مقابل متوسط عالمي قدره 26.8 بالمئة.

وأعرب عدد من الخبراء عن تخوّفهم من إمكانية أن يزيد استمرار ارتفاع نسبة الأمية وسط النساء في اختلال أسس العدالة الاجتماعية، مما يوفر بيئة ملائمة للصراع الاجتماعي وعدم الاستقرار السياسي.

وأشار المحلل المالي العراقي وضاح الطه إلى أن الأمية تتفشى في صفوف النساء العربيات أكثر مما تتفشى بين الرجال، معتبرا أن الأعراف والتقاليد البالية لا تزال سائدة في العديد من المجتمعات العربية لتحرم المرأة من أبسط حقوقها الإنسانية.

وقال الطه في حديث لـ"العرب" "إهمال أو تجاهل تعليم المرأة أو تعمد عدم تعليمها، كل ذلك يسهم وبشكل 'تدميري' في إضعاف الاقتصاد، حيث يتم حرمان قوة العمل الوطنية من فرصة إضافة أيد عاملة متعلمة أو ماهرة، وتنحسر فرص إنشاء شركات تحتاج إلى متطلبات معرفية مختلفة، ويعدّ (كل ذلك) عاملا طاردا للاستثمار الأجنبي، وهذا سيقود إلى التباطؤ الاقتصادي على المديين المتوسط والطويل".

وأضاف "التأثيرات السلبية تتعدى التوظيف وفرصة خلق دخل إضافي للأسرة وتحسين المستوى المعيشي، بل بدل أن تكون تلك الطاقات الكامنة طاقات دافعة وإيجابية في المجتمع ستكون 'مبطئة' لتقدم المجتمع".

وتابع "لا نريد هنا فقط الإشارة إلى أن محو الأمية يهدف إلى التشغيل والعمل والتأثير التراكمي المباشر على الناتج المحلي الإجمالي فحسب، بل يمتد إلى تأثير غير مباشر، من خلال النظرة الأوسع التي تدعو إلى خلق مجتمع متعلم بناءً على عدم تهميش المرأة. فالتعليم يقود إلى استخدام الموارد المتاحة للأسرة بشكل أفضل، ويساهم في حماية الأسرة وفي الوقاية من العديد من الأمراض، ويساهم أيضا في تقليص فاتورة الصحة على صعيد الاقتصاد الوطني والقدرة على التفاعل مع المجتمع بدلا من التهميش".

وشدد الطه على أن محو الأمية يمثل بداية حقيقية للاستثمار في الإنسان والعمود الفقري للتنمية الاقتصادية.

وأكد الطه أن العديد من الحكومات العربية فشلت فشلاً ذريعاً في تبني استراتيجيات فعالة لمحو الأمية، وبشكل خاص بين النساء، إلى الحد الذي عادت فيه نسب الأمية للارتفاع خلال السنوات الماضية، مشددا على أن الركون إلى الجهود الحكومية لن يحل المشكلة بقدر ما سيفاقمها ولأسباب عديدة، لعل في مقدمتها الفساد المستفحل في عدة بلدان.

ومن جانبها اعتبرت الاستشارية النفسية والتربوية الإماراتية ناديا بوهنّاد أن التعليم يمثل سبيلا للقضاء على الفقر ومحركا أساسيا للتقدم الاقتصادي.

وقالت بوهناد لـ"العرب" "المرأة تمثل نصف المجتمع، وعندما تصير أمًا تصبح كل المجتمع، لأنها هي من تربي الطفل وتعلمه وتوجهه حتى يكبر ويصبح رجلاً، لذلك تكتسي مسألة تعليمها أهمية بالغة".

وأضافت "توفير التعليم للمرأة من شأنه أن يرفع من معدلات القراءة والكتابة وبالتالي يعمل على تنمية المجتمع على جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية. كما أن الناتج المحلي يرتفع عندما تتعلم المرأة، وعندما تعمل المرأة المتعلمة تُساهم في المزيد من كسب المال وتحسين الوضع الاقتصادي، حتى وإن كانت تعاني من الفقر". واستدركت بوهناد "لكن التعليم لا يزيد فقط القدرة على كسب المال، بل يسهم بشكل كبير في تعزيز الثقة بالنفس وفي إحساس المرأة بقدراتها، لذلك فالدول التي تخصص جزءا من ميزانيتها لتطوير القطاع التعليمي تعتبر من أقوى الدول اقتصاديا".

التحيز ضد المرأة الأمية

يبدو أن حرمان المرأة من التعليم لا يخلق فوارق اجتماعية واقتصادية داخل المجتمعات فحسب، بل يحدث أيضا نوعا من التحيز الاجتماعي والتمييز الخفي، وهو ما من شأنه أن يخلف عدة نتائج سلبية على غير المتعلمين.

وقدمت الأبحاث أدلة واضحة على أن الناس ينحازون بشكل ضمني ضد من هم أقل تعليماً منهم، وأن لذلك انعكاسات على نفسياتهم وعلى نظرتهم لأنفسهم ونظرة الآخرين إليهم.

العلم يبني بيوتا لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والكرم

ولا تعد فكرة التمييز ضد الأشخاص الأقل تعليماً جديدة، ففي الثمانينات من القرن الماضي أطلق عليها عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو وصف "عنصرية الذكاء لدى الطبقة المهيمنة"، والتي تفيد أبناء هذه الطبقة المهيمنة في تبرير وتعزيز موقعهم في المجتمع.

وكشفت دراسات أن الناس ينظرون في الغالب للشخص غير المتعلم على أنه هو المسؤول عما هو فيه، وقد يبدون تجاهه مواقف سلبية، حتى مع معرفتهم أنه غير مسؤول عن تدني مستواه التعليمي أو انعدامه.

وفضلت التونسية هدى ألا تظهر في الأضواء، مكتفية بذكر اسمها الأول، خوفا من أن يتعرف عليها أحد من أصدقائها أو معارفها ويعيّرها بالجهل والأمية.

وقالت لـ"العرب" "من سوء حظي أنني ولدت في بيئة لا تقدر العلم، فالمستوى التعليمي لوالدتي لم يتجاوز السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، أما والدي فلا يعرف ولَوْ حرفا واحدا، وقد سارت الأمور على ما يرام بالنسبة لإخوتي الذكور ونالوا حظهم من التعليم، ولكنني حرمت من ذلك لسبب أجهله، وكل تبريرات والديّ لا يمكن أن تخفف حجم ما أشعر به من قهر وإحساس بالظلم والدونية، وأحيانا كثيرة يحدوني شعور بأن حياتي بلا معنى".

وأضافت "لقد كان والداي يعتقدان أن الفتاة لا تحتاج إلى التعليم بما أنها ستتزوج وسيعيلها زوجها، ولكنني تزوجت من رجل فقير، وأشعر بالعجز لأنني غير قادرة على مساعدته، وقد حاولت مرارا البحث عن شغل ولكن دون جدوى، من سيشغل امرأة ليس لديها مؤهل علمي؟".

وباستثناء بعض الكلمات البسيطة التي اجتهدت هدى لتعلمها بمساعدة إخوتها، لم تمارس القراءة إلا في ما ندر أثناء التحاقها بدروس تنظمها بعض الجمعيات.

وتمنت هدى أن تنشر قصتها لتصل إلى كل أسرة، حتى لا تفكر ولو مجرد التفكير في حرمان بناتها من حقهن في التعليم، وتحكم عليهن بالعيش عاجزات، على حد تعبيرها.

ورغم أن قصة هدى غير قابلة للتعميم في المجتمع التونسي، خاصة وأن قضية تعليم المرأة قد احتلت موقعا متقدما في أولويات الدولة التونسية المعاصرة، إلا أنها ليست استثناء على مستوى النساء العربيات، إذ ثمة الملايين من الأمثلة.

وأثنى صلاح الدين رجب -الناشط التونسي في المجتمع المدني- على التجربة التونسية في القضاء على الأمية في صفوف النساء، قائلا "الاستراتيجية التونسية لمحو الأمية وتعليم الكبار أعطت ثمارها، حيث شكّلت المرأة بفضل ذلك حزام أمان داخل المجتمع، وكان لها دور بارز وفعّال في الحفاظ على مدنية الدولة من جهة، وفي المساهمة بشكل مباشر في النهوض بالوضع الاقتصادي والاجتماعي من جهة أخرى".

وأضاف رجب لـ"العرب" "بلغت نسبة النساء حاملات الشهادات الجامعية لسنة 2017 أكثر من 60 بالمئة، وكلّما كانت المرأة متعلّمة ساهمت في تقدّم بلدها وكانت عنصرا فعّالا، والعكس بالعكس".

دور المرأة غير المتجانس

ويتيح تعليم المرأة فرصا كثيرة على مستوى الفرد والمجتمع، ولكن المشكلة تكمن في أن دور المرأة في بعض المجتمعات العربية مشتت وغير متجانس، فيمكن مثلا للمرأة التي تعيش داخل أسرة منفتحة ومتعلمة أن تدرس وتعمل في مركز مرموق، بينما يمكن لامرأة أخرى أن تمنع من مغادرة المنزل تماما. وهذا لا يؤثر على النساء وأسرهن فحسب، بل يهدد جهودا أشمل لمكافحة الفقر في المجتمعات.

ويرى الدكتور السعودي محمد اليوسف -استشاري الطب النفسي- أن "مشاركة المرأة العربية في النهوض بالمجتمع ودورها في تحقيق تقدمه الاقتصادي والثقافي، قد أصبحا من الضروريات الملحّة، وليسا مسألة رفاهية كما يظن البعض".

وقال اليوسف لـ"العرب" "المتأمل في ما وصلت إليه المجتمعات المتقدمة يدرك أنها لم تحقق هذا التقدم العلمي والتكنولوجي والإنساني دون الاستعانة بكافة أطياف المجتمع".

وأضاف "لا يمكن لأي مجتمع التقدم والتحليق في فضاء الحضارة دون جناحين، وبالتأكيد فإن المرأة تمثل أحد هذين الجناحين كما يمثل الرجل الجناح الآخر".

وأوضح "ما يحدث في بعض الدول العربية من تهميش لدور المرأة وعدم تعليمها وتركها ضحية للأمية لأسباب واهية، سيعود دون شك بأثر رجعي خطير على هذه الدول، لأن تربية النشء وتنشئة الأجيال يجب أن ترتكزا أساسا على الأم المتعلّمة والواعية".

وختم اليوسف بقوله "وجود المرأة المتعلمة في حياة الرجل يزيده تحضراً، ومشاركتها الفعالة في المجتمع تساهم في رقيه وتقدمه".

وما لم تتغير النظرة الدونية في التعاطي مع قضايا المرأة العربية وفي مقدمتها حقها في التعليم الجيد، ستبقى طموحات المجتمعات الراغبة في الانعتاق من ربقة الفقر معلقة.

وضاح الطه:
محو الأمية يمثل البداية الحقيقية للاستثمار في الإنسان والعمود الفقري للتنمية الاقتصادية

محمد اليوسف:
وجود المرأة المتعلمة في حياة الرجل يزيده تحضرا، ومشاركتها الفعالة في المجتمع تساهم في رقيه وتقدمه

ناديا بوهنّاد:
المرأة تمثل نصف المجتمع وعندما تصير أما تصبح كل المجتمع، لأنها هي من تربي الطفل وتعلمه

عبدالعزيز الكلثم:
الشرائح غير المتعلمة تكون الأكثر استدراجا من قبل الجماعات المتطرفة، والأكثر اقداما على السلوكيات العنيفة

صلاح الدين رجب:
كلما كانت المرأة متعلمة ساهمت في تقدم بلدها وكانت عنصرا فعالا، والعكس بالعكس

لماذا تفشل العلاقة الزوجية

المجتمع يغذي الخلافات بين الزوجين دون اللجوء إلى حلها

فشل الحياة الزوجية قد يعود دائما إلى عدة عوامل منها فارق السن بين الزوجين والمستوى العلمي والثقافي، وكذلك افتقاد الحياة الاجتماعية الحميمة التي تجعل الزوجين في رباط لا يتمزق أبدا رغم المشاكل والعقبات الكثيرة. وقد يكون بخل الزوج وغيرته الشديدة أو خيانته من أهم أسباب فشل الزواج، كما أن عدم اهتمام الزوجة بمظهرها في البيت، وافتقاد الزوج إلى حبها العميق، وعدم تفهمها لأحوال زوجها العملية أو النفسية، تفاقم الخلافات في الحياة الزوجية.

سعاد محفوظ

❏ من واقع تجربتها الزوجية الحديثة تقول رائدا وجدي، التي كانت تعمل محاسبة في أحد البنوك، "يبدو أن تحقيق السعادة الزوجية، واكتساب رضا الزوج لا لهما علاقة بالعمل أو التفرغ للمنزل، فأنا لا أعمل حاليا ومتفرغة لرعاية أبنائي، وزوجي مشغول دائما عن المنزل والأولاد، وفي الوقت نفسه مشاعري نحوه جياشة، ولكنها تضيع أمام غيابه المستمر عني! ويبدو أنني أخطأت لعدم استمراري في العمل، فزوجي دائما بعيد، ولا أستطيع خلق حوار معه لأنه متشدد في آرائه ولا يقبل النقاش!".

وتشكو فتاة مقبلة على الزواج من أن النساء نقطة ضعف خطيبها، وهي تحبه ولا تستطيع السيطرة على هذا العيب فيه، لأنه أيضا "سي السيد" يفعل كل شيء لأنه رجل، بينما ليس من حقها لفت نظره إلى خطئه، وإلا ثار ودب بينهما خصام، ولا يصفح عنها إلا بعد الاعتذار عن غلطتها الكبرى وندم ووعد بأنها ستغمض عينيها، فهي تحبه!

> الذهاب إلى المأذون مرة ثانية قد يتسبب فيه أهل الزوجين، لذا فبمجرد الخروج من عباءة الأسرة يجب على الزوجين تحمل المسؤولية دون الرجوع إلى أحد

وكان بخل الزوج المتهم الأول لدى زوجة شابة صدمت في زوجها، حيث اكتشفت أنه بخيل إلى درجة لا تستطيع وصفها، وتشعر بالاختناق من شدة بخله.

وهناك نموذج آخر لزوجين جمع الحب بينهما، وبعد الزواج أصبح الزوج بالنسبة لزوجته الابن والحبيب والصديق، ولكنه لا يطيق أن تحدث غيره رجلا كان أو امرأة، وكلما علم بحديث دار بينها وبين أحد ما أخذ يعدد عيوب هذا الشخص، ويؤكد لها أن الجميع دون المستوى، وأنهم لن يفيدوها في شيء، ورويدا رويدا أصبحت الزوجة وحيدة في البيت، ودون أن تشعر وجدت نفسها تحد من صداقاتها حتى أصبحت بلا أصدقاء، بينما الزوج غائب عن المنزل باستمرار!

ولكن الزوج ليس المتهم الدائم في مشكلات الزواج العصرية، فهذا زوج يعتبر نفسه ضحية أم زوجته "حماته" التي يرى أنها ستتسبب في عودة ابنتها إلى حضنها من جديد، فهي كثيرة التدخل في حياتهما، ودائمة النصائح التي تأتي بنتائج عكسية، ولا تبقي على استقرار البيت، ومن ناحية أخرى فالابنة لا تقوى على إحراج أمها أو مواجهتها، وتضطر إلى الامتثال لنصائحها.

وحول الأسباب التي قد تجعل المتزوجين حديثا يزورون المأذون للمرة الثانية، تقول الدكتورة سامية الساعاتي أستاذة علم الاجتماع موضحة "رغم أن الزوج الشرقي لم يعد يمانع في عمل الزوجة الآن وخاصة في ظل الظروف الاقتصادية التي يمر بها العالم، إلا أنه دائما يشعرها أن العمل يجعلها مقصرة في حق البيت والأولاد، مما يجعل الزوجة تشعر بعدم الرضا وتنمو بداخلها عقدة الذنب والتقصير نحو الآخرين، وتصبح هدفا دائما للوم؛ وهذا يجعلها تعيش في صراع نفسي بلا مبرر، وقد تذهب إلى المأذون حلا للمشكلة".

وأشارت الساعاتي إلى وجود أسباب أخرى مثل زواج الأطفال المنتشر خاصة في الريف حيث تتفق بعض العائلات على تزويج الأبناء منذ صغرهم، والعروسان الصغيران لا يعرفان شيئا عن معنى الزواج فتواجه العروس- الطفلة- مشكلات نفسية كبيرة وأخرى صحية وسرعان ما يشعر الطرفان أنه ليس بينهما أي انسجام أو توافق.

كما أن الزوجة في مصر تربى على أنها أم للرجل إلى جانب كونها زوجة فعليها أن تحبه وتحتويه وتستوعبه وتفهم تفكيره جيدا، بينما يربى الابن على كبح جماح مشاعره سواء تجاه زوجته أو عموما، فإذا بكى وهو طفل قالوا له "عيب.. أنت رجل ولست بنتا" فيتعلم كيف يكبح أحاسيسه المرهفة، ويصبح غير قادر على التعبير عن حبه لزوجته ولو بكلمات بسيطة، ويصبح الحب في نظره مجرد توفير الماديات أو توفير متطلبات الحياة.

وتؤكد الساعاتي أنها مشفقة على المرأة العربية لأنها شديدة الرومانسية في مراحل عمرها المختلفة، فهي بتكوينها الفسيولوجي أكثر تفهما للتعبيرات الرومانسية التي تصدر عن الرجل، هذا إذا صدرت.

وتضيف أن الذهاب إلى المأذون مرة ثانية قد يتسبب فيه دون قصد أهل الزوجين، لذا فبمجرد الخروج من عباءة الأسرة يجب على الزوجين الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية دون الرجوع إلى أحد، لأنه إذا حدث العكس ففي ذلك بداية زعزعة العلاقة بين الزوجين، والمشكلة أن من الشباب من يتخيل أن زوجته ستكون صورة طبق الأصل من أمه، وأنه سيكون الفتى المدلل، لكنه يفاجأ بأنه أمام فتاة جميلة مرحة، لكنها لا تعتمد على نفسها في إدارة بيتها.

ومن جانبه يرى الدكتور ممتاز عبدالوهاب أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة أن الزواج مودة ورحمة وعلاقة مشاركة في كل شيء؛ الحب، المسؤولية، العلاقات الاجتماعية.. هو رباط إنساني يجب فهم معانيه جيدا حتى يتفادى الزوجان الوقوع في المشاكل، والحقيقة أن المجتمع الصغير إذا صادف زوجين مختلفين يغذي الخلافات بينهما دون اللجوء إلى حلها بالقدر الكافي، فالزوجة تحتمل غياب الزوج عنها، وتقدر عمله وسعيه من أجل أسرته، بينما إذا خرجت المرأة للعمل تعرضت لحرب باردة في المنزل لأسباب ليست جوهرية.

وأضاف "من خلال حالات كثيرة زارتني وجدت أن أسباب الخلافات بسيطة لكنها متنوعة، ومنها أن الزوج لا يقدر المعاناة والصراعات التي تتعرض لها الزوجة في عملها فيتولد لديها شعور بالظلم، وأنها غير سعيدة في حياتها وأن الزوج يحاول قهرها بشكل أو بآخر".

وأشار إلى أن البعض يعاني الوسواس القهري الذي يصل إلى حد الوقوع في مشاكل زوجية وأسرية تؤدي إلى انهيار العلاقة الزوجية، فبعض الأزواج يعانون الزوجة النمطية أي التي تحب النظام أكثر من اللازم، وتحرص على ترتيب كل شيء بشكل شبه مرضي، فهناك طقوس معينة عند الأكل، والنوم والحمام، وإذا حدث ما يؤثر على نظامها تتوتر وتختلق المشاكل لأبسط الأسباب.

رمضان محطة لتجديد العلاقات والوجدان الجمعي

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ لا قيمة للزمن إلا من خلال تقييم الناس له، شأنه شأن المكان الذي لا قيمة له أيضا إلا في عيون مرتاديه. شهر رمضان محطّة زمنية شديدة الأهمية والقداسة لدى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فهو شهر وحدة الوجدان الجمعي العميق للمعاني الروحية للإسلام. ما يثير الاهتمام في الموضوع أن المظاهر الاحتفالية بشهر رمضان تختلف اختلافا قد يصل في بعض الأحيان إلى حدّ التناقض أو المفارقة.

للاحتفال برمضان ثلاثة مسارات يتفق حولها المسلمون جميعا مهما اختلفت البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينتمون إليها.

المسار الأوّل ديني بامتياز يظهر من خلال ارتفاع منسوب التعبّد لدى الجميع، فبالإضافة إلى الصلوات الخمس تضفي صلوات التراويح بعدا روحيا إضافيا فتغصّ المساجد والجوامع بالمصلين ويكثر ترحيبهم ببعضهم البعض. كما يكثر توادهم وتراحمهم، وتتغير ملامح وجوههم فتبدو أكثر انشراحا وابتهاجا، حتى الملابس تختلف فيبدو جليا ظهور القمصان الطويلة، كما تُغطى الرؤوس. أما النسوة فإنهن أيضا يشاركن التعبّد بطرقهن الخاصة وتغص بهن الأماكن المخصصة لهن في المساجد. وما يضفي على المشهد المزيد من الاحتفالية وجود الأطفال فيه. داخل الفضاءات الأسرية يكون شهر رمضان موعدا لقراءة القرآن والتسبيح بنسب مرتفعة على غير العادة ويدعى الأطفال للمشاركة في الجهد التعبّدي ولا يخلو الأمر حتى من المنافسة.

أما المسار الثاني فهو اجتماعي يتعلّق بطبيعة العلاقات العائلية والاجتماعية التي تتوطّد على غير العادة، فتنتفي بعض المظاهر السلبية كالأنانية والانتهازية، ويصبح الأفراد أكثر ودّا، فبالإضافة إلى موائد الإفطار التي تجمع الصائمين حولها، هناك أيضا جلسات أخرى للسمر في الفضاءات الأسرية أو في الفضاءات الاجتماعية كالمقاهي وأماكن الترفيه والفضاءات الثقافية كالمسارح وغيرها.

للأطفال نصيب أيضا في رمضان من خلال السمر بممارسة الألعاب على اختلافها، أو سرد الحكايات الشعبية أو ممارسة ألعاب إلكترونية بطريقة جماعية، خاصة في الأحياء الشعبية ذات الكثافة السكانية العالية والتي تكون فيها العلاقات وطيدة.

إنه موسم السمر الذي لا يطيب في غيره من الأيام لأن أولياء الأمور لا يسمحون بذلك في غير رمضان.

المسار الثالث في احتفالية رمضان لا يمكن أن يكون خارج "مائدة الإفطار"، حيث الطعام يشغل بال الصغير والكبير والمرأة والرجل على حدّ السواء، فتكثر الشهى (جمع شهوة) وتتسع مجالات الرغبة وتصبح العين مقياسا للتبضّع الذي يغيب فيه "العقل" وتحضر العواطف.

يبدو الأمر طبيعيا إذا ما نظرنا إلى ساعات الصيام الطويلة والتي قد تتجاوز الست عشرة ساعة في بعض البلدان الإسلامية، كما يبدو الأمر طبيعيا أيضا إذا ما نظرنا إلى حاجة الجسم إلى الغذاء لتجديد الطاقة. ولكن غير الطبيعي هو لماذا كل هذا النهم واللهفة؟ ولا يقتصر الأمر على فئة أو شريحة أو نوعية معينة من الأسر، بل هو شكل احتفالي بالشهر الكريم وبالصيام رغم أن النصوص الدينية قرآنا وسنة تنهى عن التبذير، ولكن لا أعتقد بأن هناك أسرة لا تبذر ولا تسرف في رمضان.

السؤال الأهمّ: كيف يحتفل الفقراء والمعدمون والمهمشون بشهر رمضان؟ ما طعم رمضان في حياتهم البائسة؟

القول الشعبي المأثور "للفقراء والمساكين رب كريم" يلخص حجم المعاناة وحجم افتقاد السند العائلي والاجتماعي لشريحة من الناس ليس في مقدورها أن تحتفل حتى بالمناسبات الدينية التي يتجسد فيها الفائض الوجداني والروحي لكل المسلمين في كل بقاع الدنيا.

ولكن في الأمر مفارقة أيضا فهؤلاء الناس هم أكثر قربا من الله يدعونه في كل أوقاتهم، وهي كثيرة وطويلة طول لياليهم البائسة، ويتضرعون للخالق طلبا أو أملا في المعونة والفرج الذي عجز عن توفيره المخلوق ولكن الله قادر على تغيير الأحوال وتعديلها.

إنهم الشريحة الأكثر صبرا في شهر الشهوات، إنهم يتقنون الانتظار ويحاولون أن يوطدوا علاقاتهم ببعضهم وبالآخرين بتعففهم- باستثناء الشريحة التي تمتهن التسوّل في رمضان وفي غيره من الأيام والأشهر- احتفالات هذه الشريحة صادقة سواء كانت في طريقة تعبدهم أو في حميمية العلاقات الأسرية التي تجمعهم أو بالفرح العارم الذي يملأ قلوبهم حينما يجدون- دون شروط مسبقة- ما يكون إفطارهم بعد صيام طويل، النوعية ليست مهمة بقدر توفر الكمية التي تقدر على إشباع البطون.

رمضان إذن هو المناسبة الدينية والأسرية والاجتماعية الأكثر أهمية يتعانق فيها الديني بالاجتماعي في سمفونية احتفالية تغلب عليها الأبعاد الروحية والقيمية والأخلاقية، ولكنه أيضا لا يخلو من العادات السيئة على رأسها التبذير واللهفة على الأطعمة دون القدرة على استهلاكها، والعصبية أحيانا خاصة لدى المدخنين والمدمنين على شرب القهوة والمنبهات عموما، كما لا يخلو من مناكفات بين الصائمين وغير الصائمين في اتجاهين؛ احترام العقيدة من ناحية وممارسة الحرية الشخصية من ناحية ثانية. ولكنه يبقى الشهر الاحتفالي المميز دون منازع.

طبق اليوم

طبق الكوسة بالبشاميل

* **المقادير:**
- كيلوغرام كوسة مقطعة مكعبات
- نصف كيلوغرام من اللحم المفروم
- بصلة كبيرة مفرومة
- ملعقتان من الزيت أو السمن.
- توابل، قرفة، ملح، وفلفل
- لتر من الحليب لإعداد البشاميل و5 ملاعق كبيرة من الدقيق، وملعقة من الزبدة.
- كوبان من الجبن المبشور أومن الموتزاريلا.
- كوبان من الكريمة الطازجة وملح وفلفل.

طريقة الإعداد
- تقلى الكوسة في الزيت وتترك جانبا.
- في وعاء يضاف البصل واللحم المفروم، تتبل بالقرفة والتوابل والملح والفلفل. لإعداد البشاميل تشوح ملعقة من الدقيق مع الزبدة جيدا على النار.
- يقلب باقي الدقيق مع جزء من اللبن جيدا.
- يضاف الحليب إلى خليط الزبدة والدقيق على النار بالتدريج مع التقليب المستمر.
- يضاف الحليب الممزوج بالدقيق ويقلب جيدا، ثم يضاف الملح، الفلفل وجوزة الطيب، تضاف الكريمة الطازجة ويقلب جيدا.
- يوضع خليط من الكوسة واللحم المفروم في قالب الطبخ البلوري، ثم يوضع البشاميل، ويوضع الجبن المبشور على الوجه.
- يدخل طبق الكوسة بالباشميل الفرن على 200 درجة لمدة نصف ساعة ثم يزين بالريحان.

موضة

الهدوء والفخامة يميزان عباءات رمضان

❏ لم تحد آخر مجموعة عباءات دار الأزياء الإماراتية «موزان» الخاصة بشهر رمضان والعيد، عن أسلوبها الذي يمزج بدقة وذكاء بين العملي والهدوء، والفخامة الهادئة، حيث اتشحت العباءات بتصاميم اعتمدت على النعومة والبساطة، بعيدا عن كثافة المشغولات، خصوصا مع اشتهار الدار باللمسات اليدوية الدقيقة التي تنتشر في مناطق مختلفة من العباءات.

قدمت "موازن" مجموعة متنوعة وكبيرة من العباءات، بتفاصيل مختلفة تتناسب مع جميع الأوقات، كالعباءات العملية للعمل والدراسة والخروج اليومي، وتلك الأكثر فخامة للسهرات الرمضانية والعيد، في اعتماد كامل على القصات الواسعة المريحة والعملية، والتنويع في المشغولات واللمسات اليدوية، بين تلك التي تنتشر في مناطق مختلفة من العباءات، أو تلك التي تتزين بالكامل للعيد.

وأوضحت المدير الإبداعي لدار «موزان»، رفيعة هلال بن دري، أن «هناك الكثير من العلامات التجارية التي تقدم تصاميم العباءات المختلفة والمتنوعة، إلا أن النجاح يكمن في خلق منتج راق، يعكس تماما نظرة وروح الدار، والرغبة في خلق منتجات للمرأة التي تفضل الشعور بالراحة وبأنها عملية، دون الانتقاص من أناقتها وأنوثتها».

وأشارت إلى أنه وبالرغم من الانتشار الكبير للعباءات الملونة، إلا أن "العباءة السوداء الكلاسيكية ستحتفظ دائما بسحرها الأنيق والغامض، خصوصا أنه اللون الأنسب لجميع أنواع الملابس التي تختفي تحته".

ساد اللون الأسود على غالبية المجموعة، إلا أن دخول فصل الصيف بأجوائه الحارة فرض وضع تصاميم قليلة من العباءات ذات الدرجات الفاتحة، مثل الكريمي، والبطيخي، إضافة إلى الأزرق الداكن، دون المبالغة في فرض الألوان، كما استطاعت المجموعة إبراز فكرة اللون من خلال تقديم عباءات ذات أجزاء شفافة من الدانتيل المخرم، ما يفرض لون الملابس تحتها.

أرسين فينغر ما زال يعيش صدمة فراقه لأرسنال

أساطير في طي النسيان وآخرون يبحثون عن الخلافة

أرسنال يستنجد بإيمري لكتابة حقبة ما بعد فينغر

أسدلت معظم الدوريات الأوروبية والعالمية الستار على الموسم 2017–2018، الذي شهد نهاية حزينة لنجوم كرة قدم، قرروا الرحيل عن أنديتهم بعد سنوات طويلة قضوها في صفوفها، سواء كانوا لاعبين أو مدربين. "العرب" تحاول قدر الإمكان الإلمام بمجموعة من الأساطير في عالم التدريب الذين اختاروا أن ينهوا حقبة طويلة على رأس الأندية التي دربوها. فبعد نهاية الأسطورة السير أليكس فيرغوس جاء الدور على أسطورة جديدة هو أرسين فينغر الذي قرر وضع حد لمسيرة 22 عاما مع أرسنال الإنكليزي.

مراد بالحاج عمارة
صحافي تونسي

❏ وضع المدرب الفرنسي أرسين فينغر حدا لعصر ذهبي مع نادي أرسنال الإنكليزي، بعد تولي تدريبه لفترة 22 عاما، حيث قرر الرحيل عنه مع نهاية الموسم.

ونجح فينغر (68 عاما) خلال مشواره التدريبي مع "المدفعجية" الذي انطلق عام 1996، في تحقيق 17 بطولة، أبرزها لقب الدوري الإنكليزي موسم 2003 – 2004 دون خسارة.

ويمتلك فينغر رقما تاريخيا بحفاظ فريقه على سجله خاليا من الهزائم في "البريميرليغ" في 49 مباراة متتالية استمرت خلال الفترة من مايو 2003 حتى أكتوبر 2004. ومن البطولات التي توج بها أرسنال تحت قيادة فينغر الدوري الإنكليزي (3 مرات) في مواسم 1997–1998، 2001–2002، 2003–2004، وحصل على المركز الوصيف (6 مرات). وتوج الأسطورة الفرنسي بلقب كأس الاتحاد الإنكليزي وكأس الدرع الخيرية 7 مرات في كل منهما.

وعيّن أرسنال الإنكليزي الإسباني أوناي إيمري، المدرب السابق لباريس سان جرمان الفرنسي، مدربا له بدءا من الموسم المقبل، ليبدأ "حقبة جديدة" خلفا للفرنسي المخضرم أرسين فينغر. وبعد 22 عاما مع النادي اللندني، أعلن فينغر رحيله عن أرسنال في نهاية الموسم الماضي، بينما لم يتم تمديد عقد إيمري الذي أمضى موسمين مع النادي الباريسي المملوك من شركة قطر للاستثمارات الرياضية.

حقبة جديدة

انضم أوناي إيمري إلى النادي اللندني بعد فترة سنتين أمضاهما مع باريس سان جرمان حيث نجح مؤخرا في إحراز الثلاثية المتمثلة بالدوري المحلي، كأس فرنسا وكأس الرابطة. وجاء الاختيار على أوناي لكي يخوض الفصل المقبل من تاريخ المدفعجية بإجماع كبير من قبل المشرفين على أرسنال.

ولا شك أن إيمري يحظى بسجل رائع من النجاحات خلال مسيرته، حيث قام بتطوير أداء بعض المواهب الشابة في أوروبا ويلعب بأسلوب مثير ومتطور يتناسب تماما بصفة عامة مع الدوري الإنكليزي وبصفة خاصة مع فريق أرسنال. ويبدو أن المدرب الإسباني متحمس للانضمام إلى أحد أعظم أندية كرة القدم. حيث يحظى أرسنال بحب في مختلف أنحاء العالم من خلال أسلوب لعبه، التزامه بمنح الفرصة للاعبين الشبان، ملعبه الرائع (ملعب الإمارات في لندن) والطريقة التي يدار بها النادي.

ونظرا لسجله الزاخر منحت إدارة النادي هذه المسؤولية لإيمري لكي يبدأ هذا الفصل الهام في تاريخ أرسنال. ورحب ستان كرونكي المساهم الأكبر في أرسنال بالمدرب الجديد بقوله "نحن سعداء بالترحيب بأوناي إيمري في أرسنال. لقد أثبت أنه مدرب ناجح. نحن واثقون من أنه الرجل المناسب لهذا المنصب وسيعمل من أجل جلب النجاحات لأنصارنا، الجهاز الفني وكل من له علاقة بأرسنال".

وشكل التعاقد مع إيمري نوعا من المفاجأة، فيما كان الخيار المرجح للنادي حسب التقارير الصحافية في الفترة الماضية، الإسباني ميكيل أرتيتا، اللاعب السابق لأرسنال ومساعد مواطنه بيب غواردیولا في تدريب مانشستر سيتي الذي أحرز هذا الموسم لقب الدوري الإنكليزي الممتاز. ويبدو أن مجلس إدارة نادي أرسنال دهش من الثقافة الكروية التي يحظى بها الشاب الإسباني. وأظهر المدرب ثقافته الكروية وحيويته تصميمه وحبه للعبة، وأبرز معرفته الكبيرة بالنادي واللاعبين وبالدوري الإنكليزي الممتاز واللعبة في أوروبا.

> فينغر يمتلك رقما تاريخيا بحفاظ فريقه على سجله خاليا من الهزائم في «البريميرليغ» في 49 مباراة متتالية استمرت خلال الفترة من مايو 2003 حتى أكتوبر 2004

ومن المؤكد أن إيمري يتقاسم رؤية الفاعلين في النادي الإنكليزي للمضي قدما، للبناء على منصة خلقها أرسين فينغر ومساعدة النادي على التمتع بنجاحات كبيرة.

إشادة واسعة

كان غواردیولا من أوائل المرحبين بمواطنه في الدوري الإنكليزي، معتبرا أن "مدربا جيدا آخر سيأتي إلى هنا". وأضاف أن مسيرة إيمري تتحدث عنه. لقد قام بعمل مثالي في إسبانيا لسنوات مع فرق مثل فالنسيا وإشبيلية، كما أبلى بلاء حسنا في فرنسا. وقبل انضمامه إلى سان جرمان، قاد إيمري إشبيلية إلى لقب الدوري الأوروبي ثلاث مرات توالیا (2014، 2015، و2016) بعدما تلمس خطواته التدريبية الأولى مع أليريا وفالنسيا. ومع نادي العاصمة الفرنسية، أحرز إيمري في الموسم الماضي ثلاثية محلية شملت الدوري والكأس وكأس الرابطة، علما وأنه أحرز في موسمه الأول كأس فرنسا وكأس الرابطة، بينما آل لقب الدوري إلى موناكو. واختير إيمري كأفضل مدرب في فرنسا لموسم 2017–2018.

إلا أنه فشل في نقل نجاحه الأوروبي مع إشبيلية إلى سان جرمان، إذ لم يتمكن خلال موسمين من إيصال الفريق إلى أبعد من ثمن النهائي. وخرج في 2016–2017 أمام برشلونة الإسباني بعد "ريمونتادا" تاريخية للنادي الكتالوني (6–1 إيابا بعد الخسارة 0–4 ذهابا)، وفي 2017–2018 أمام ريال مدريد (1–3 ذهابا في مدريد و1–2 إيابا).

وبينما أوكل سان جرمان إلى الألماني توماس توخيل مهمة خلافة إيمري، سيكون الأخير أمام تحد صعب في أرسنال، يتمثل بالتأسيس لمرحلة ما بعد فينغر الذي أمضى على رأس الجهاز الفني للنادي، فترة تعد الأطول في تاريخ الأندية الأوروبية الكبيرة. ويأمل إيمري في أن يتمكن من مصالحة مشجعي أرسنال مع الألقاب، لا سيما لقب الدوري الإنكليزي الممتاز الذي توج به النادي للمرة الأخيرة عام 2004.

2018 موسم وداع أساطير الساحرة المستديرة

جيانلويجي بوفون

❏ أنهى جيانلويجي بوفون علاقته مع نادي يوفنتوس الإيطالي التي استمرت 17 عاما، حيث حقق معه لقب الدوري المحلي (9 مرات) إضافة للقبين آخرين تم إلغاؤهما، وكأس إيطاليا (4 مرات) وكأس السوبر الإيطالي 5 مرات.

وتعد بطولة دوري أبطال أوروبا الوحيدة التي فشل في التتويج بها مع فريق "السيدة العجوز". ويعتبر الحارس الأسطورة أكثر اللاعبين فوزا بـ"الكالتشيو"، وهو إنجاز لم يحققه أحد من قبل بإجمالي 9 ألقاب.

فيرناندو توريس

❏ قرر فيرناندو توريس الرحيل عن أتليتكو مدريد، حيث نشأ في أتليتكو وارتدى قميص النادي في سن الـ17 عاما عام 2001، قبل أن يحمل شارة القائد.

وانتقل توريس في عام 2007 إلى ليفربول الإنكليزي، حيث أمضى ثلاثة أعوام وبعدها إلى تشيلسي (2011–2014) وميلان الإيطالي (2014)، قبل أن يعود إلى نادي العاصمة الإسبانية في يناير 2015.

وأعلن الإسباني رحيله عن صفوف "الروخيبلانكوس" في نهاية الموسم الحالي بعد 10 أعوام متقطعة مع أتليتكو مدريد.

يايا توريه

❏ خاض يايا توريه (34 عاما) مسيرة حافلة بقميص مانشستر سيتي منذ عام 2011 حتى الآن، شارك خلالها في 316 مباراة، وتوّج معه بسبعة ألقاب.

وسجل توريه 79 هدفا وصنع 50 أخرى ولم يتلق سوى بطاقة حمراء واحدة إضافة إلى 54 صفراء. وقال بيب غواردیولا في كلمة وداعه للنجم الإيفواري، إن توريه يعد أحد أعظم لاعبي النادي. وتوج توريه مع السيتي بالدوري الإنكليزي بإجمالي 3 مرات، وكأس الاتحاد الإنكليزي ودرع الاتحاد المحلي (كأس السوبر) بواقع مرة واحدة في كل منهما.

أندريس إنييستا

❏ وضع أندريس إنييستا حدا لعلاقته مع برشلونة في الدوري الإسباني "الليغا"، بعدما لعب بقميص الفريق الكتالوني 16 موسما، وتوج مع ناديه ومع منتخب بلاده بالعديد من البطولات المحلية والأوروبية والعالمية.

ويعد إنييستا اللاعب الثاني الأكثر مشاركة في تاريخ النادي الكتالوني، خلف زميله السابق، تشافي هيرنانديز الذي يخوض تجربة احترافية في السد القطري. ولم يغادر إنييستا (33 عاما) الفريق الكتالوني منذ أن انتقل إليه وهو صغير في السن عام 1996 عندما كان يبلغ من العمر وقتها 12 عاما.

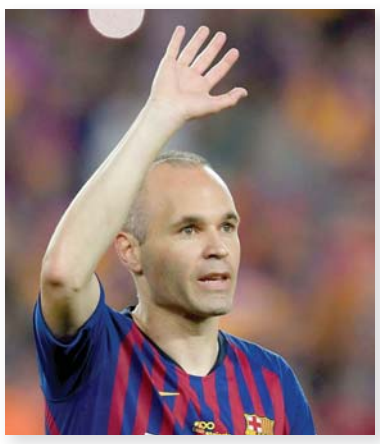

نادال يعود إلى رولان غاروس بآمال عريضة

زفيريف وتييم يقفان أمام الماتادور الإسباني ولقبه الحادي عشر

يبحث الإسباني رافاييل نادال عن تتويج موسمه على الملاعب الترابية، بالسعي إلى تعزيز رقمه القياسي وإحراز لقبه الحادي عشر في بطولة فرنسا المفتوحة، ثاني البطولات الأربع الكبرى، والتي تنطلق الأحد على ملاعب رولان غاروس.

❑ **باريس** – سيكون المصنف أول عالميا الإسباني رافاييل نادال (31 عاما) المرشح الأبرز لنيل اللقب السابع عشر في بطولات الغراند سلام، في ظل منافسة مرجحة من لاعبين شابين أظهرا قدرتهما على التراب، هما الألماني ألكسندر زفيريف والنمساوي دومينيك تييم.

ويدخل نادال الأحد البطولة الفرنسية رولان غاروس، التي تستمر حتى العاشر من يونيو القادم، بعدما أحرز هذا الموسم اللقب الحادي عشر أيضا في دورتين ترابيتين هما مونتي كارلو وبرشلونة الإسبانية، ولقب ثامن في دورة روما الإيطالية.

وقال الماتادور الإسباني في تصريحات خلال الفترة الماضية، إن بطولة فرنسا التي أحرز لقبها للمرة الأولى عام 2005 هي دورة "عرفت فيها نجاحات كبيرة، وتبقى البطولة الأهم بالنسبة إليّ".

> طوال مسيرته في البطولة الفرنسية التي بدأت في 2005، حقق نادال 79 فوزا وخسر مرتين فقط، وتعود الخسارة الأخيرة للماتادور إلى ربع نهائي 2015 أمام الصربي نوفاك ديوكوفيتش

وخلال مسيرته في البطولة التي بدأت أيضا في 2005، حقق نادال 79 فوزا وخسر مرتين فقط، وتعود الخسارة الأخيرة للماتادور إلى ربع نهائي 2015 أمام الصربي نوفاك ديوكوفيتش.

وعلى الرغم من معاناة الصربي للعودة إلى مستواه المعهود في الفترة الماضية بعد خضوعه لعملية جراحية بسيطة لمعالجة إصابة في المرفق في فبراير، إلا أن نادال اعتبر أن ديوكوفيتش قادر على تشكيل خطر في البطولة، قائلا "نوفاك هو أحد أفضل اللاعبين في تاريخ هذه الرياضة". وأضاف "جوابي أنه لن يعود إلى المنافسة بقوة، هو حاضر دائما.. أحيانا عندما تعود من الإصابات يكون من الصعب اللعب بشكل جيد من البداية، إلا أنه قدم أداء جيدا في روما"، وهو الذي بلغ الدور نصف النهائي ليخسر أمام الإسباني بنتيجة 6–7 (4–7) و3–6. واعتبر نادال أن ديوكوفيتش المتوج بـ12 لقبا في البطولات الكبرى، منها لقب في رولان غاروس 2016، "هو دون شك من المرشحين هنا".

ونال الإسباني مسارا سهلا بموجب قرعة البطولة التي سحبت الخميس، ويستهل مشواره ضد الأوكراني ألكسندر دولغوبولوف المصنف 54.

وسيتفادى نادال مواجهة ديوكوفيتش والسويسري ستانيسلاس فافرينكا بطل 2015 إضافة إلى تييم، إذ وقعوا في النصف الآخر من القرعة، حيث حل زفيريف المصنف ثانيا في باريس والثالث عالميا خلف السويسري روجيه فيدرر الغائب هذا الموسم عن الدورات الترابية، كما فعل العام الماضي.

وقد يواجه نادال في طريقه إلى النهائي صديق طفولته الفرنسي ريشار غاسكيه في الدور الثالث، والكندي دنيس شابوفالوف في دور الـ16، وأيضا الجنوب أفريقي كيفن أندرسون الذي تغلب عليه في نهائي فلاشينغ ميدوز 2017، والكرواتي مارين سيليتش الثالث في نصف النهائي.

ولم يتخط زفيريف الذي خسر نهائي روما الأسبوع الماضي أمام نادال، الدور الثالث في باريس وخرج من الدور الأول العام الماضي، ويستهل زفيريف مشواره ضد الليتواني ريكارديس بيرانكيس. أما ديوكوفيتش الذي تراجع إلى المركز 22 عالميا، فيواجه متأهلا من التصفيات وقد يلتقي البلغاري غريغور ديميتروف في الدور الرابع.

ويعد زفيريف بمثابة المنافس الجدي الأبرز لنادال في رولان غاروس، فاللاعب الذي يعتبر من أبرز المواهب الشابة في كرة المضرب حاليا، توج هذا الشهر بلقب دورة مدريد، ليحرز بذلك ثالث ألقابه في دورات الماسترز للألف نقطة، وهو لم يزل في الحادية والعشرين من العمر.

نحو رقم قياسي جديد

وخسر زفيريف أمام نادال في نهائي دورة روما الإيطالية، وذلك للمرة الخامسة في خمس مواجهات بين اللاعبين، إلاّ أن هذه الخسارة كانت الأولى لزفيريف بعد 13 فوزا متتاليا، ما يجعل من الألماني مرشحا جديا وليكون بذلك أول لاعب من بلاده يحرز لقب رولان غاروس منذ 81 عاما.

وقال زفيريف "أحاول أن ألعب بالطريقة نفسها، ألعب بالطريقة نفسها لفترة طويلة، وهذا ما سأحاول القيام به في باريس".

وأضاف في تصريحات مؤخرا "حاليا، في الأيام القليلة المقبلة، سأحاول عدم التفكير بكرة المضرب.. وبعدها سأذهب إلى باريس وأقوم بأفضل ما يمكن فعله للاستعداد ومحاولة المنافسة في بطولة فرنسا المفتوحة".

وتابع "بالطبع –رافا– (نادال) سيكون الترشيح الأبرز هناك، لا جدال حول هذه النقطة، سأكون في النصف الثاني من القرعة، وهذا أمر جيّد"، وهو ما يعني أن المصنفين الأولين لن يلتقيا قبل المباراة النهائية، في حال واصل كل منهما مسيرته.

والمنافس الآخر هو تييم (24 عاما) المصنف ثامنا عالميا، والذي يعد من أبرز اللاعبين حاليا على الملاعب الترابية، إذ خسر أمام زفيريف في نهائي مدريد، وهي الدورة نفسها التي تكبد فيها نادال خسارة في الدور ربع النهائي.

وكانت هذه الخسارة الأولى لنادال على الملاعب الترابية بعد 21 فوزا متتاليا، والأولى منذ لقب رولان غاروس 2017، والثانية خلال عامين أمام النمساوي الذي تفوق عليه في ربع نهائي دورة روما العام الماضي.

وفي مجموع المواجهات المباشرة، فاز نادال على تييم في ست مباريات من أصل تسع جمعتهما، وكان آخر فوز للإسباني في ربع نهائي مونتي كارلو هذه السنة وبنتيجة ساحقة 6 – صفر و6–2، إلاّ أن نادال اعتبر في تصريحات قبل هذا اللقاء، أن تييم "هو أحد أفضل ثلاثة لاعبين على الملاعب الترابية حاليا".

الحكيم واللئيم

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ يحكى عن رجلين عاشا في الأزمنة الغابرة، كان من صفوة القوم وقد اختارهما ملك ذلك الزمان على رأس جيشين، جيش يحرس حامية الجنوب وآخر يرابط في المدخل الشمالي، كان هدفهما المشترك هو نيل رضاء الملك وخدمته بكل السبل، لأن الغاية الأسمى هي قيادة الجيش مجتمعا متى انتهت الحرب مع "الجيران".

كان قائد الجنوب رصينا وهادئ الطباع، يحسن التعامل مع جنوده ويغدق عليهم كلما تحقق نصر في إحدى ساحات الوغى. كان يختار بدقة متناهية أفضلهم ويعينهم في الصفوف الأمامية، كان عندما يتأهب لغزوة أو معركة لا يستثني أحدا ويمنح الفرصة أمام الجميع لإثبات الجدارة.

أما قائد الشمال فقد كان في طبعه مختلفا تماما، إذ يعمد دوما إلى ترهيب جنوده المتقاعسين ولا يتورع عن معاقبة قليلي الخبرة، والأكثر من ذلك أنه لا يتردد بالمرة عندما يقرر إقصاء جنوده المخلصين ويمنح الفرصة لمساعدين يفتقدون للقوة، كان تعامله مع جنده يعتمد ببساطة على سياسة "فرق تسد".

في نهاية المطاف وبعد أن وضعت الحرب أوزارها "فاز باللذة" الحكيم وتم تعيين "حارس حامية الجنوب" قائدا عاما على كل الجيوش، أما القائد الآخر اللئيم فقد أعفي نهائيا من مهامه وأجبر على العزلة وتجرع طعم المرارة والخسارة.

حديثنا المطول عن هذين القائدين يجرنا حتما للحديث عن مدربي بعض المنتخبات التي تتأهب للمشاركة في كأس العالم روسيا 2018. لم أجد أبلغ من هكذا توصيف واستدلال عند الحديث عن مدربي منتخبي ألمانيا يواكيم لوف وفرنسا ديدييه ديشامب.

فالأول حافظ على منصبه للسنة الثانية عشرة تواليا، أما الثاني فقد يغادر من الباب الصغير في أعقاب المونديال، خاصة وأنه حمل معه بذور الفشل وحافظ عليها بعناية.

فقائد حامية "جرمانيا" ذلك الحكيم لوف، اهتم بأبسط التفاصيل وأقلها أهمية وواصل عملية البناء التي بدأت منذ خسارة الدور نصف النهائي في مونديال ألمانيا سنة 2006. لقد أعاد تشكيل "الجيش" ونصّب نفسه قائدا متواضعا حكيما رصينا تماما مثل قائد الجنوب، كان يحرص على حماية لاعبيه ويحسن انتقاء الأفضل منهم دون غطرسة وعجرفة.

ثم واصل المسيرة بثبات بعد أن كسب التعاطف من جنده والتأييد من "المملكة"، ففي كل مرة يتم تجديد عقده لأنه أثبت مهارة وشطارة في كسب الحروب وتأليف "جيش جرار" مكن "المملكة الجرمانية" من حصد كأس العالم في المونديال الأخير 2014.

فالحكمة التي يتحلى بها لوف جعلته يحسن دوما انتقاء الأفضل والأجدر والأقدر على حمل اللواء. لم يكن أبدا ظالما لأي من جنوده، لم يغدر بأحد بل بنى جدارا عاليا للغاية من الثقة المتبادلة، أعلى حتى من جدار برلين، أهّله لمواصلة قيادة هذا الجيش قبل التوجه إلى ساحة المعركة الروسية.

كل الأطراف في ألمانيا اتفقت على أن لوف لم يهضم حق أي لاعب هو جدير بأن يكون ضمن "المحاربين"، استدعى كل لاعب له من الخبرة والموهبة ما يسمح له بخدمة هذا الجيش، وحتى الحارس مانويل نوير الذي داهمته الإصابة منذ أشهر عديدة وجد لنفسه مكانا رغم أنه لم يخض منذ سبتمبر الماضي أي معركة إعدادية.

لقد زرع لوف بذور النجاح منذ سنوات واليوم يحق له ولحاميته أن يقتحم ساحة "الحرب" العالمية بجيش مكتمل الصفوف سلاحه الأول الثقة والاعتداد بالنفس وصفاء القلوب.

أما ديشامب قائد كتيبة فرنسا، فإنه شابَه إلى حد التطابق قائد جند الشمال، فالذي اتخذ اللؤم طبعا لن يتغير، والمال للغدر والتجاهل أكثر من الإيمان بالعدل والميزان سيكون مصيره مماثلا حتما لما حصل له في "المعركة" الأوروبية التي خسرها في الدور النهائي منذ سنتين ضد منافسه البرتغالي والذي أقيم من سوء حظه العاثر على الأراضي الفرنسية.

لقد دفع ديشامب غاليا ثمن غطرسته وكبريائه المزيف، دفع ثمن تجاهله لبعض الجنود وعدم تقديره للاعبين كانوا قادرين على تقديم الإضافة، ففي تلك "الحرب الأوروبية" استغل مشكلة كريم بن زيمة مع زميله فالبوينا فأغلق أمامه الباب نهائيا، رغم أن كريم كان قادرا في تلك الفترة على أن يكون أحد أبرز الجنود.

ديشامب أقصى أيضا دون أي سبب سمير نصري المتألق آنذاك مع مانشستر سيتي الإنكليزي، أبعده دون أي وجه حق، فكافأه القدر بهزيمة موجعة وجرح فرنسي لن يندمل.

أما اليوم فقد أصرّ هذا "اللئيم" على غيّه وتمسك بعنجهيته واختار الركوب على صهوة الأخطاء ونكران الجميل، لقد أبعد بعض "الجنود" الرائعين مثل أدريان رابيو نجم باريس سان جرمان ليتجاهله رغم أن هذا اللاعب قدم أداء راقيا في أغلب مراحل التصفيات.

ديشامب المتغطرس والمتردد واصل تجاهل كريم بن زيمة، وأكد للمرة المليون أنه يناصب العداء لكل من لا يتفق معه حتى وإن كان قادرا على تقديم الدعم والمساندة.

الأمر ذاته حصل مع وسام بن يدر نجم إشبيلية الإسباني، لقد كان ديشامب لئيما وخبيثا للغاية في تعامله مع هذا اللاعب، إذ لم يترك سبيله ولم يسمح له باختيار منتخب بلد أجداده، أي المنتخب التونسي، حيث وجه له الدعوة منذ فترة وجيزة للمشاركة في معسكر تدريبي، وأكد له أنه سيشارك مع منتخب فرنسا في المونديال، لكن في نهاية المطاف أخلف بوعده وجعل اللاعب يخسر حلمه المونديالي.

بلا شك ستكون خاتمة ديشامب مثل قائد حامية الشمال، سيعود منكسرا محبطا خائبا، سينزوي ويختار العزلة، أما لوف وحتى إن خسر المعركة الروسية فإن الشرف له والتاريخ أيضا لأن كسب الحرب البرازيلية منذ أربع سنوات سيغنيه ويكفيه وسيخلده قائدا حكيما لدى الملك.

بلاتيني يهاجم الفيفا ويتمسك بالبراءة

❑ **برن** – انتقل الرئيس السابق للاتحاد الأوروبي لكرة القدم الفرنسي ميشال بلاتيني السبت إلى مرحلة الهجوم على الاتحاد الدولي "الفيفا"، مطالبا برفع الإيقاف المفروض بحقه بعد إعلان القضاء السويسري عدم ملاحقته حاليا في قضية دفعة مالية غير مشروعة.

وعادت قضية النجم الدولي السابق إلى الضوء ليلة الجمعة، مع كشف صحيفة "لوموند" الفرنسية عن قرار من القضاء السويسري يبيض صفحته من تلقي 1.8 مليون يورو من الرئيس السابق للفيفا جوزيف بلاتر، في قضية أدت إلى إيقاف الرجلين لأعوام عن مزاولة أي نشاط يتعلق باللعبة.

وفيما بدا الإجراء السويسري هو "التبرئة"، فإن الادعاء العام قد أوضح السبت أن القضية "لم تنته بالكامل"، وشدد الفيفا على أن إيقاف بلاتيني يعود إلى مخالفته "قانون الأخلاقيات" الخاص به وليس للقوانين السويسرية.

وأوقف بلاتيني (62 عاما) من قبل الاتحاد الدولي في العام 2015 على خلفية الدفعة المالية التي تلقاها في 2011 من قبل بلاتر لقاء خدمة استشارية قدمها قبل تسعة أعوام من ذلك، ولم تكن مرتبطة بعقد مكتوب. وأوقف بلاتيني بداية لثمانية أعوام من قبل القضاء الداخلي للفيفا، قبل أن تخفض العقوبة في الاستئناف لدى الاتحاد لستة أعوام، ولاحقا لأربعة أعوام من قبل محكمة التحكيم الرياضي، وتنتهي العقوبة في أكتوبر 2019، إلا أن بلاتيني شدّد على أنها يجب أن ترفع سريعا.

وقال بلاتيني، الحاصل على جائزة الكرة الذهبية ثلاث مرات، "ما يثير حنقي على وجه الخصوص، هو أنه عندما يقوم أحفادي بالبحث عن اسمي على موقع ويكيبيديا، يقرأون في السطر الأخير ميشال بلاتيني موقوف عن مزاولة أي نشاط مرتبط بكرة القدم بسبب دفعة غير مستحقة، بعد كل ما قمت به من أجل كرة القدم".

وأضاف "الآن وقد صدر هذا القرار من القضاء، لا يمكن أن أبقى تحت الإيقاف.. هذا ما أطالب به".

وتابع بلاتيني "أمل في أن يحظى الفيفا بالشجاعة واللياقة لرفع الإيقاف عني"، مشددا على أنه في حال عدم حصول ذلك، سيقوم محاموه "بإطلاق كل الإجراءات المطلوبة لكسر الإيقاف من قبل الفيفا.. القضية ستستمر".

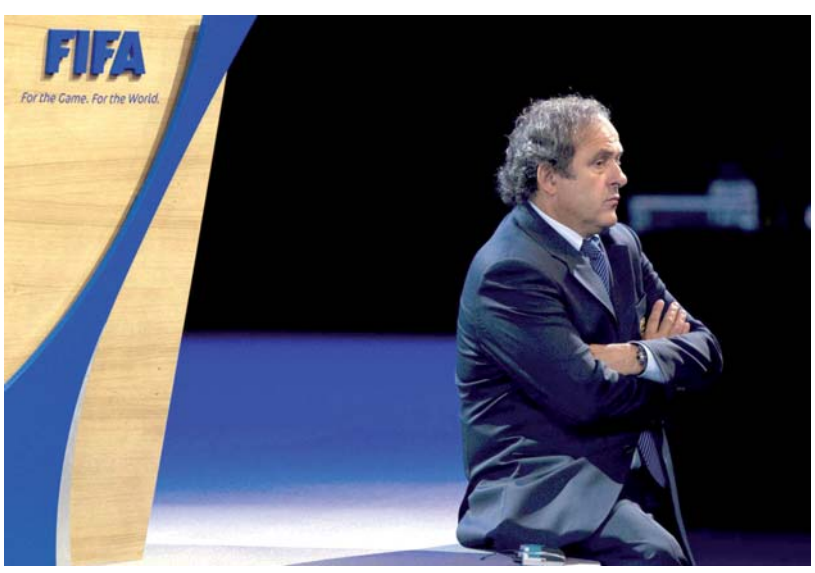

قضية لم تنته بعد

أميركا تستعد للتصدي لكويكب قاتل قبل مئة عام

كوّن باحثون أميركيون فريقا وطنيا للدفاع عن الأرض من خطر كويكب قاتل تشير تقديرات العلماء إلى إمكانية ارتطامه بها بعد أكثر من مئة عام من الآن.

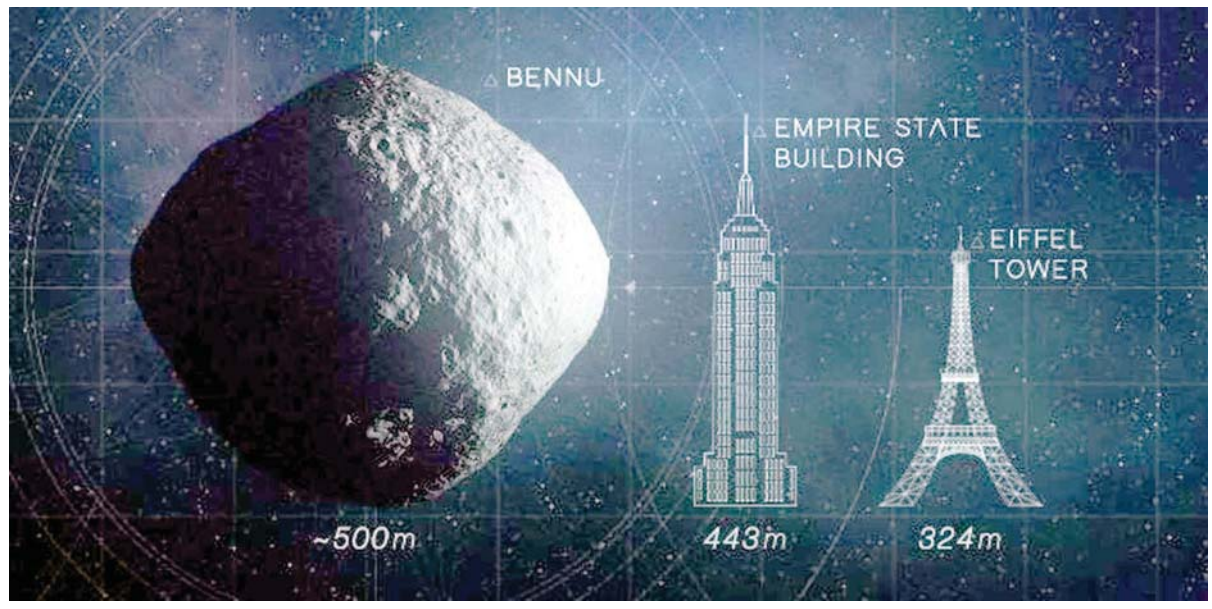

❑ **واشنطن** – لن يلقي عليك أحد باللائمة إذا لم تنشغل بما قد يحدث لكوكب الأرض يوم 25 سبتمبر عام 2135، ولكن العلماء يشعرون بالقلق نظرا لأن هناك احتمالا ضئيلا لا تتجاوز نسبته 1 إلى 2700 وفق الحسابات الحالية أن يرتطم بالأرض كويكب أطول من مبنى "إمباير ستيت" في الولايات المتحدة وأثقل 1664 مرة من وزن السفينة المنكوبة تيتانيك التي غرقت في المحيط الأطلسي في القرن الماضي.

وإذا ما حدث هذا الارتطام، فإن التقديرات تشير إلى أن الطاقة الحركية الناجمة عنه سوف تساوي 1200 ميغاطن، بما يمثل 80 ألف ضعف الطاقة الناجمة عن القنبلة الذرية التي ألقيت على مدينة هيروشيما اليابانية في أواخر الحرب العالمية الثانية.

وقال كيرستن هاولي عالم الفيزياء في مختبر "لورانس ليفرمور" الوطني في ولاية كاليفورنيا الأميركية إن "فرص حدوث هذا الارتطام تبدو ضئيلة حاليا، ولكن العواقب سوف تكون وخيمة إذا ما حدث بالفعل". ويكرس المختبر جهوده لتوظيف العلوم والتكنولوجيا لخدمة الأمن القومي الأميركي.

ويعمل الباحثون في مختبر لورانس ليفرمور ضمن "فريق وطني للدفاع عن الكوكب". ويضم هذا الفريق في عضويته وكالة علوم الفضاء والطيران الأميركية (ناسا) ووكالة الأمن النووي الوطنية ومختبر "لوس آلاموس" الوطني. وصمم الفريق سفينة فضاء تخيلية مهمتها تحويل مسارات الكويكبات المتجهة إلى الأرض.

وأجرى هذا الفريق تقييما بشأن ما إذا كان سوف يستطيع تحويل مسار الكويكب العملاق الذي أطلق عليه اسم "101955 بينو" والذي قد يرتطم بالأرض عام 2135.

وتصنف وكالة ناسا الكويكب "بينو" باعتباره من أخطر الأجرام الفضائية التي تم رصدها بالقرب من كوكب الأرض حتى الآن، والتي يزيد عددها عن 10 آلاف جسم فضائي. ومن أجل معرفة المزيد بشأن هذا الكويكب القاتل، أطلقت ناسا عام 2016 سفينة الفضاء "أوزيريس ريكس" من أجل ترسيم خارطة لهذا الكويكب وإحضار عينات منه. وهي أول رحلة من نوعها تقوم بها الولايات المتحدة.

خطر داهم يحمل سر نشأة الحياة على الأرض

ويصل قطر هذا الكويكب إلى حوالي 500 متر، وهو غني بالكربون ويعتقد أنه ربما يحتوي على مواد عضوية أو دلائل جزيئية بشأن احتمالات وجود حياة، ويزن هذا الجسم الفضائي قرابة 79 مليار كيلوغرام، وهو يدور حول الشمس بسرعة تزيد عن 100 ألف كيلومتر في الساعة. ويقترب هذا الكويكب من الأرض مرة كل ست سنوات.

ومن المتوقع أن تبدأ المركبة أوزيريس ريكس اقترابها من بينو في أغسطس المقبل قبل أن تصل إليه في ديسمبر المقبل. وسوف تستخدم المركبة خمسة أجهزة على متنها لاستشعار ومسح سطح الكويكب عن بعد لتحديد تكوينه. وفي عام 2020، من المقرر أن تجمع ما بين 60 غراما وكيلوغرامين من المواد التي يتكون منها سطح الكويكب قبل أن تعود إلى الأرض عام 2023.

وسوف تساعد معرفة الخصائص الفيزيائية والكيميائية للكويكب العلماء على تطوير استراتيجية لدرء خطره إذا ما اقتضت الضرورة.

وأطلق على سفينة الفضاء التي صممها العلماء لتحويل اتجاه الكويكب بينو اسم "هامر" أي "المطرقة" وهي كلمة مختصرة للتعبير عن "البعثة الفضائية للاستجابة الطارئة لتخفيف أثار الكويكب فائق السرعة".

ويقول العلماء الأميركيون إن الطريقة المفضلة هي الارتطام بالكويكب بغرض تحويل مساره التصادمي مع الأرض، ولكن ليس بقوة كبيرة بحيث يتسبب الارتطام في تفتيته. أما طريقة تحويل مسار الكويكب عن طريق الانفجار النووي، فهي تقوم على إحداث انفجار نووي على مسافة من الكويكب، وليس على سطحه.

وفي دراسة حديثة ذكر العلماء أنه في حالة اتخاذ القرار بتحويل مسار الكويكب بينو، فإن بناء المركبة الفضائية وتخطيط الرحلة والسفر إلى الكويكب سوف يستغرق 7.4 عاما على الأقل.

ويؤكد العلماء أن تأجيل الرحلة سوف يعقد بشكل كبير هدف تحويل مسار الكويكب، حيث أن القوة اللازمة لتغيير مسار بينو بشكل كاف تزداد كلما اقترب من الأرض. وتشير تقديرات العلماء إلى أن تحويل مسار الكويكب وهو على بعد 25 عاما من الأرض سوف يتطلب إرسال ما بين 7 إلى 11 سفينة فضاء من نوعية هامر، أما إذا وصل الكويكب إلى مسافة عشر سنوات من الأرض، فإن تحويل مساره سوف يحتاج ما بين 34 و53 سفينة هامر.

ورغم أن أبحاث العلماء لم تتضمن محاكاة لسيناريوهات تغيير مسار الكويكب عن طريق التفجير النووي، إلا أنهم يقولون إن أبحاثهم أظهرت أن تحويل مسار جسم فضائي ضخم مثل بينو سوف يتطلب خيارات نووية أكثر قوة، من أجل إحداث تأثير كبير في سرعة الكويكب ومساره.

ورغم أن بينو قد يقتل الكثير من الأحياء على الأرض، إلا أنه يحمل دلائل بشأن كيف بدأت الحياة على كوكبنا في المقام الأول.

وقال إدوارد بيشور، نائب كبير الباحثين في مهمة أوزيريس ريكس بناسا، إن "خبرات بينو سوف تخبرنا الكثير بشأن من أين جاء نظامنا الشمسي وكيف تطور".

صباح العرب

عدلي صادق

يومان في دبلن

❑ يقطع شقيقي باسم، جواً، رحلة سفر لثماني ساعات، وصولاً إلى العاصمة الأيرلندية دبلن، للمشاركة في مؤتمر علمي دُعي إليه. فهو أستاذ للكيمياء الدوائية في كلية الطب في جامعة الإمارات. وللأسف، لن تتاح للزائر إقامة لأكثر من يومي عمل. فالمؤتمر يتزامن مع الامتحانات في الجامعة. ومن ذا الذي بمقدوره أن يفك واحدا من أسرار دبلن، في سويعات محدودات، وهي المدينة التي سطر عنها الأيرلندي جيمس جويس، في العام 1918 أحد أعظم الكُتّاب المؤسسين للرواية الأوروبية الحديثة ملحمته الروائية الطويلة "يوليسيس" التي استعادت "أوديسة هوميروس" ووازنت أشخاصها بأشخاص سواهم وبفحوى آخر، وأجمع النقاد، على كونها واحدة من أفضل مئة رواية باللغة الإنكليزية في القرن العشرين. ومن المفارقات أن جيمس جويس، سخر روايته كلها، لوصف حركة الناس في يوم دبلني واحد. فقد ظلت مدينته الأثيرة، مصدر وحيه وإلهامه، بل كان حضورها في"يوليسيس" أعظم وأغرب حضور لأي مدينة في أي رواية أوروبية على الإطلاق!

التطير من التقاليد الكاثوليكية الصارمة التي تكثفت في أسرته، هو الذي اضطر جويس لأن يرحل إلى إيطاليا. لكنه في مهجره الطلياني، ظل شغوفا بوطنه الأم، يدافع عنه ويتأسى على بلاده الرازحة تحت النير الاستعماري. يستذكر مناضلي أيرلندا وشهدائها، ويُحذر من مغبة الخيانة، ويُحدّث قراءه عن المناضل "بارنيل" الذي غدر به رفاقه على مذبح سقطات أخلاقية ضيقة وشائنة، ويُسهب في وصف آلام وطنه في ظل الهيمنة الإنكليزية.

قبلها كان الكاتب نفسه، قد نشر روايته البديعة "صورة الفنان في شبابه" التي تُرجمت إلى اللغة العربية، فجعل مدينته دبلن الشخصية الرئيسة في العمل الروائي، وتلك جاءت بعد مجموعته القصصية "أهالي دبلن" التي أقلع بها إلى حياته الأدبية!

حتى اليوم، تحافظ دبلن على ملامحها الأولى، إذ رفضت مبضع الجرّاح الذي يشق بطون المدن بالجسور والأنفاق، ويفتح الفجوات في بطونها لفتح الطرق لقطارات تحت الأرض، ويزج بمحطات الركاب في خواصر الشوارع العتيقة، ولو إن ثمن ذلك، كان الزحام وبطء حركة المرور.

اليوم تُختزل المدن بالزيارات القصيرة والانطباعات المقتضبة، لا سيما بعد أن فعلت العولمة فعلها، لكي تتشابه الحواضر بأنموذج "المولات" المتكررة ومراكز التسوّق. لم يتبق من الملامح الأولى للمدن العتيقة التي إتسعت رقاعها، إلا آثار الغابرين وما كُتب عنها قديما. تضمحل علائم الذكرى وتتبدى الصور الجديدة، ويتبدد ما يستثير الحنين. تتفشى جدران الإسمنت المتلاصقة، التي تبدو من الجو كشواهد قبور مرصوصة!

تلسكوب جديد يتيح الاستماع إلى السماء ومشاهدتها في آن

❑ **ساذرلاند (جنوب أفريقيا)** – كشف علماء فضاء في قلب صحراء كارو بجنوب أفريقيا عن تلسكوب بصري سوف سيستخدم إلى جانب مقراب راديوي عملاق في سابقة عالمية في سبر أغوار الكون على نحو أفضل.

وتم تثبيت هذا الجهاز الجديد المسمى ميرليخت، ما يعني "المزيد من الضوء" بالهولندية، في موقع ساذرلاند في وسط حوالي عشرين قبة أخرى تنتشر في هذا الموقع الجاف والمعزول في الناحية الجنوبية من جنوب أفريقيا.

هذا التزاوج العلمي غير المسبوق بين العلوم البصرية والسمعية، هو ثمرة شراكة بين علماء فضاء من جنوب أفريقيا وهولندا وبريطانيا.

وأوضح بول غروت، أحد مطوري المشروع من جامعة نايميخن الهولندية، "ما سنفعله هو الاستماع إلى السماء ومشاهدتها في الوقت عينه، وهي فكرة جديدة تماما في علم الفضاء".

وصمم التلسكوب البصري الجديد لدرس الأجزاء الواسعة من السماء بدقة عالية للغاية. وهو قادر على تغطية مساحة توازي ثلاث عشرة مرة تلك التي يحتلها القمر المكتمل ورصد تفاصيل أصغر بمليون مرة من أصغر الأشياء المرئية بالعين المجردة.

أكبر مائدة إفطار رمضانية بالعالم انتظمت على شرف اليتامى

❑ **الجزائر** – قال التلفزيون الحكومي الجزائري إن ملعبا بمدينة البليدة جنوب العاصمة احتضن "أكبر مائدة إفطار رمضانية في العالم" نظمت لفائدة الأطفال اليتامى وحضرها أكثر من 6 آلاف شخص.

وبث التلفزيون صورا لإفطار جماعي بملعب مصطفى تشاكر الأولمبي بمدينة البليدة، شاركت فيه مئات العائلات إلى جانب ممثلين عن جمعيات وهيئات حكومية.

ونظمت الإفطار جمعية كافل اليتيم (مستقلة) والتي تعنى بجمع المساعدات للأطفال اليتامى، والتي أعلنت توزيع 4 آلاف كسوة عيد على أطفال يتامى بالمناسبة.

وقال علي شعواطي رئيس فرع الجمعية بولاية البليدة للتلفزيون الحكومي "هذا الرقم القياسي للمشاركين في الإفطار الجماعي نريد من خلاله تمرير رسالة التكافل والتآزر بين كل أطياف الشعب الجزائري".

وأكدت غنية إيداليا، وزير التضامن، بالمناسبة "نريد أن نزرع في الأجيال القادمة روح التضامن والتآزر من خلال هذه المبادرة".

وقال بلقاسم شيحاوة، عضو بالجمعية، في تصريحات على هامش الحدث إن "الهدف كان تحطيم الرقم القياسي العالمي الذي كان بحوزة لبنان".

ونظمت جمعية "أجيالنا" غير الحكومية العام الماضي في لبنان أكبر مائدة إفطار جماعية في العالم شارك فيها 5200 شخص وفق منظميها.

زينة رمضانية موزعة على طول أحد شوارع مدينة بيكانبارو التابعة لمقاطعة رياو الإندونيسية، تخطف أنظار طفلين

وقع حذف اسم الممثلة التونسية درة زروق من الشارة الدرامية للمسلسل الرمضاني «نسر الصعيد» بعد مرور أكثر من أسبوع على انطلاق عرضه، ويتردد أن شركة العدل غروب عدلت الشارة بطلب شخصي من درة، وهو ما يرجح صحة الأخبار المتداولة حول وقوع خلافات بينها وبين زميلتها في العمل الممثلة المصرية وفاء عامر حول ترتيب الأسماء على شارة المسلسل.